

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يوليه ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهـذا هو العـدد ١١ من الطبعة العربيـة . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . و يرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . و يسرّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات أنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : **فؤاد صروف**

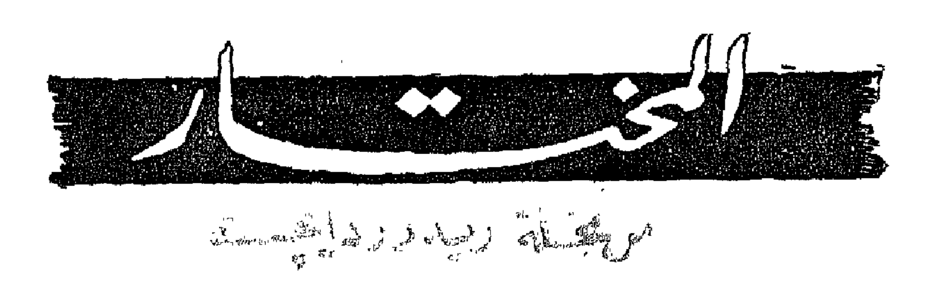
مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سـوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

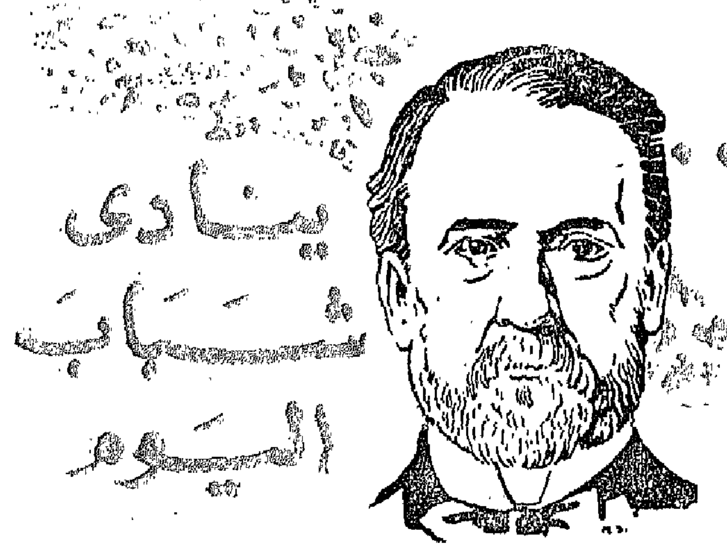


كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

السنة الاولى المجلد ٢ العدد ١١

« القصة الخالدة لبطل من أبطال الحرب التى شنها البشر على الميكروبات »

باستير،



مقتبسة من كتاب "صيادو الميكروبات" مع مراجعات من المؤلف

بول دى كروف

خلال كافة عصور التاريخ البشرى ، ذهب ملايين من الناس ضحايا ميكروبات ، لم تكن ترى ، بل ولم يكن وجودها نفسه يخطر على بال . ثم فجأة ، ومنذ حوالى مائة عام ، أخذت تتطامن شرّة ذلك العدو الذى هو أقتل أعدائنا ، فتضاعف أمد الحياة البشرية فى الأجيال الثلاثة الماضية .

وإننا لنميل إلى قبول هذا الظفر الباهر كما لو كان قد تم من غير نضال . وإلى أن ننسى أن رجلا ، هو لويس باستير ، خاض المعركة وحده ، واقتحم بشجاعته تلك المخاطرة التى تعد ألمع المخاطرات البشرية ، رغم ما لقى من العالم المستريب من زراية واستهزاء .

قل فى هذا الرجل الفرنسى الأفطس المفلوج (المشلول النصف) ما شئت إلا أنه ساحر ، إذ لم يكن له من آيات الإعجاز إلا ذلك المسّ الذى جعل من بدنه الناحل ، رغم فورانه بالنشاط ، مثوى لعدة أنواع من الرجال عدا صياد الميكروب وحسب .

كان باستير أعظم عارض للميكروبات ، إذ وجه إليها أنظار الناس ، بتجارب هى

أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، أجراها في شوارع باريس ، وفي حقول فرنسا . وكان فوق ذلك واعظاً دينيا يدعو العالم إلى التكفير عن ذنوبه وخطاياه ، وكان مناضلا لا يفتأ بارحاً مكمنه ، شاهراً قبضتيه على فظائع الموت والآلام في الإنسان .

وكان لويس باستير نجل دبّاغ ، وكان جدّه الأعلى عبداً رقيقاً ، وفي العشرين الأولى من سني حياته لم يُظهر دليلا ما على أنه سيصير نحّاتة ، ولم يكن حينئذ أكثر من صبي يقظ كدود ، وكان يمضي وقت لعبه في تصوير النهر الذي يحاذي مدبغة أبيه في أربوا بشرق فرنسا . وفي سنة ١٨٤٢ (وكان عمره إذ ذاك عشرين عاماً) نال دبلوم الكلية الملكية في بيزانسون ، ولكن درجته في الكيمياء كانت « متوسط » .

على أنه لم يمض إلا عام حتى هيّجت شوقه الغامر إلى الكيمياء محاضرات ج . ب . دوماس في السوربون بباريس . وذات يوم خرج من محاضرة لدوماس العظيم مستطار اللب ، مخضل العين بالدموع ، متمتما : « ياللكيمياء من علم ! » . وقد أدرك منذ اليوم أنه سيصير كصاحبه كيميائيا عظيما ، وأن شوارع باريس الشهباء التي يغشاها الضباب ، سوف تلهم العالم المضطرب المستهتر أن الكيمياء وحدها هي سبيل النجاة . لقد أهمل التصوير

ولكنه ظل مفتّناً حينما بدأ يحبو في أول أبحاثه المستقلة بين القوارير ذوات الروائح النفاذة وصفوف الأنابيب الممتلئة بالسوائل البديعة الألوان . وقد كان إزاء آلام البشر مرهف الحس مستوفز الأعصاب . ويوم كان صبيا في التاسعة فر باكياً من زحام حاشد على باب حداد في أربوا ، إذ تردد في سمعه بصوت أعلى من همسات الذعر والانفعال الصاعدة من أفواه الناس ، نشيش الحديد المحمى على لحم فلاح عضه ذئب كلِب . ولم ينفع ذلك الكيّ على قسوته في علاج الداء ، كلا ولا أنقذ ذلك الفلاح من عذاب الموت مكلوباً ، ولكنه طبع في نفس باستير بغضاً للموت دام دوام الحياة .

ومن هـذا البغض استمد القوة على مواجهة سخرية العالم الطبي ، حين أعلن (وهو كيميائي ليس إلا كما كان) نظريته التي بدت يومئـذ آية في السخف ، أن الميكروبات هي أشد ما يهدد البشرية . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، وباستير في أول طريقه العلمي ، لم تكن الميكروبات غير نكتة مجهرية حية ترفه عن هواة علماء الحياة ، فأدهش باستير العالم العلمي بإقامة الدليل على أن تخمر النبيذ ينشأ من الميكروبات ، كما زلزل العالم الطبي بالتلميح المبهم إلى أن هذه الكائنات التي تعد بلا خطر قد التهمت من

الضحايا أكثر مما فعلت جميع حروب التاريخ .

قال باستير : إن كل الميكروبات تنسلّ من الهواء إلى ضحاياها حية كانت أو ميتة .. وقد كان هذا أملا وامضاً فى رسالته العلمية ، لكن الأساتذة ناقضوه بالنظرية التى تقول إن الميكروبات لها القدرة على التولد الذاتى ، وقالوا إن آراء باستير لوقاية اللبن منها أو حماية الناس ليست سوى أوهام .

وتلت ذلك معركة أسلحتها التجارب العلمية والترامى بالمقذع من الكلام ، أقامت فرنسا وأقعدتها . وأخذ باستير يغلى الحساء فى قوارير ، ويحكم إغلاقها حتى لا يتسرب إليها الهواء ، فأثبت أن الميكروبات لم تتولد فى هذا الحساء المعقم الخالى من الهواء . ورد عليه الأساتذة أن الميكروبات يجب أن تظفر بنصيب من الهواء لكى تتولد من العدم . فأجابهم باستير بعنف : إن الغبار الذى فى الهواء ، لا الهواء نفسه ، هو الذى يلوث الحساء . .

وبرهن لساعته على ما قال ، وأفحم خصومه بتجربة بارعة أصبحت من معالم التحول فى تاريخ الإنسان . فقد صب الحساء فى قوارير عقمها بالغلى ، فلم تعد بها ميكروبات ، ثم أدنى عينيه القصيرتى النظر من زفير لهب المصباح ، وهو يذيب أعناق القوارير عليه ، ويمط هذه الأعناق إلى أنابيب رفيعة طويلة ، ثم يعطفها حتى تصبح كرقاب البجع .

وترك أفواه هذه الأنابيب مفتوحة بحيث يدخل الهواء حراً إلى الحساء الخالى من الميكروبات ، ولكن الغبار المعلق بالهواء يلتصق بجدران الأنابيب ، فلم ينم ميكروب واحد فى قارة ما من القوارير .

التولد الذاتى ؟ إنه محض هذيان ، ولم يراع باستير أدب اللفظ فى مهاجمته ، وأخذ يحقر دعاة التولد الذاتى البغيض على رؤوس الأشهاد . وفى إحدى السهرات الفخمة حيث تدافعت كل رؤوس باريس الكبيرة وعبقرياتها بالمناكب على الدخول ، عرض باستير تلك القوارير الهامة التى لا أثر لحياة الميكروبات فيها ، ثم صاح : « إن التولد الذاتى لن يفيق أبداً من تلك الضربة القاتلة التى صرعته بها هذه التجربة البسيطة » .

وأضحك هذا الزعم بعض السفسطائيين ، ولكن ضحكهم لم يدم طويلا ، إذ جاءت أنباء صاعقة من الجراح الإنجليزى الذائع الصيت جوزيف ليستر ، ذلك الرجل العظيم الذى كتب إلى باستير يقول : « اسمح لى أن أشكر لك ما أبنت لى بأبحاثك الباهرة من صدق نظرية الجراثيم » ، ثم روى ليستر كيف أصبحت الجراحات تعمل للمرضى لأول مرة فى سجل البشرية — بأمان تكفله لهم المطهرات الواقية من تلك الميكروبات

القاتلة التي كانت تجهز على ثمانية مرضى من كل عشرة في كثير من المستشفيات .

وعلى أن باستير كان يستطيع أن يحيا حياة المعلم الهادئة ، فإنه انساق في طريقه قدماً ، كأنما كان يوحى إليه بإلهام مبهم أن هناك عالماً يجب أن يتبدل ، وأن الزمن الذي ينبغي أن يتبدل فيه زمن قصير ، وأن عليه هو نفسه تقع تبعة إقامة هذا البناء من جديد . وذلك ما جعله أبغض الناس في فرنسا للمجون ، وأقلهم هياماً بالخيال ، وأشدهم إرهاقاً بالعمل .

وإنه لعجيب ، مع هذه النهوة الجامحة للبحث ، أن يجد باستير وقتاً للزواج . كتب إلى خطيبته يقول : « ليس بي شيء يفتن خيال صبية » . لكنها أدركت فيه طابع العبقرية ، وأصبحت إحدى الزوجات المشهورات في التاريخ ، وأطولهن صبراً على العذاب ، أو كما قال أحد صحبها : « لقد أحبته إلى الحد الذي فهمت فيه عمله » . وتلك الليالي الطوال التي كان يقضيها متكاباً على العمل يحرق أصابعه في معمله ، لم تكن مدام باستير تقضيها جالسة تستوحش له وتترقب ، وإنما كانت لاتلبث أن تفرغ من إنامة أولاد هذا الرجل المستطار الفؤاد حتى تجلس إلى مقعد قائم الظهر تكتب له أماليه العلمية .

كان باستير رائداً في تطبيق العلم العويص تطبيقاً مباشراً على متاعب البشر . فحين كان مديراً للأبحاث العلمية في مدرسة النورمال بباريس نمى إليه أن صناع الخمور في فرنسا يخسرون ثروات طائلة من جراء التخمر الغامض الذي يصيب النبيذ ، وكانت هذه الصناعة كلها في خطر . وما هو إلا أن تلقى باستير دعوة هؤلاء الصناع الملحة حتى اندفع إلى البحث في آفات النبيذ . وأحس عن يقين أن هناك كائناً مجهريا دقيقاً يسبب فساده ، فتحقق حدسه . وتحت عدسته رأى النبيذ مائجاً بميكروبات غريبة صغيرة يتلاصق بعضها ببعض كأنها قلائد اللؤلؤ المنظوم .

وفي أثناء محاولته لإيجاد طريقة ما لإبعاد هذه الميكروبات عن النبيذ السليم ، وجد أن تسخين النبيذ بمجرد الفراغ من تخميره ، حتى ولو سخن في رفق وإلى دون درجة الغليان ، يقتل الميكروبات غير المرغوب في وجودها فلا يؤوف النبيذ . وهذه الحيلة «البسترة» ، حيلة تعقيم سائل ما تعقيما جزئياً تحت حرارة تتراوح بين ١٣٨ و ١٥١ درجة فهرنهيت ، طبقت بعد على اللبن ، وتعرف باسم « البسترة » الآن نسبة إليه .

وبينا هو مندفع للكشف عن عالم الميكروبات بجماح لا يعرف هوادة ، أصيب بنزيف مخي أشرف منه على الموت ، ولم يكن إلا في الخامسة والأربعين ، ولكن ما إنه

سمع أن العمل فى المعمل الذى أنشىء من أجله فى باريس قد أوقف ، اقتصاداً وتوقعاً لموته، حتى أخذته سورة من الغضب قرر فيها أن يعيش ، ونهض يتهالك ويظلع إلى معمله الجديد ، وهو منذ اليوم مفلوج ولكنه مع ذلك شرع يثبت أن « فى طاقة الإنسان أن يوارى العلل الطفيلية من الوجود » .

وكان عليه أن يواجه الموقف الناشىء من أن اسمه «المسيو باستير » لا « الدكتور باستير» ،فاتصل بطبيبين شابين،هما تشارلس شامبرلان وإميل رو، اللذين أصبحا حوارييه المتعصبين ، وكذلك اخترع باستير شركة الكيميائى والطبيب التعاونية التى تحارب الموت الآن وتقهر آلام البشر .

ومع هذا فلم يدركه مركب النقص فى حضرة أطباء العلماء . فذات يوم اقتحم باستير جلسة للمعهد الطبى فى باريس (الأكاديمية الطبية) حيث كان طبيب مولد يشرح بألفاظ لاتينية ضخمة حمى النفاس (وفى بعض مستشفيات باريس كانت تموت واحدة من كل ١٩ والدة من هذا الوباء) فنهض باستير معترضاً : «إن مايقتل النفساء فى الواقع إنما هو الطبيب الذى يحمل الميكروبات من الريفات من النساء إلى السليمات » .

وتهادى ظالعاً إلى المنبر ، وأخذ يتكلم دانياً من وجه الطبيب المحاضر : « إنك تقول إنى لن أجد الميكروب . لقد وجدته فعلا أيها الطبيب . وتلك هى الصورة التى يتراءى فيها » ، وخط باستير بقطعة من الطباشير سلسلة من الدوائر على شكل سبحة قال للأطباء إنها القاتل الحقيقى ، وهو ما يعرف اليوم باسم الميكروب السُّبحى .

ولقد يكون الأطباء على صواب فى الضحك من آراء باستير المتهورة التى تقول بإمكان محو الميكروبات القاتلة جميعاً من الوجود ، ومع ذلك فقد هتف به هاتف أنه لا بد أن تكون هناك وسيلة لوقاية البشر من غوائلها.

لم يكون الحيوان والإنسان بعد الإبلال من مرض ميكروبى بمنجاة من الإصابة بنفس المرض فى أغلب الأحيان؟ ذلك ما دفع باستير إلى الإلحاح فى وجوب إدراك التحصين، فبدأ هو وزميلاه يحرقون أيديهم ، ويجرحون أصابعهم ، ويقومون بتجارب جنونية ، وكذلك ظلوا ثلاث سنوات يسلمهم فشل إلى فشل ، حتى أتيحت لهم تلك المصادفة السعيدة التى علمتهم أن يحولوا الميكروبات من قتلة إلى حراس .

كان على نضد العمل مستنبت لميكروب كولرا الدجاج ظل مهملا أمداً طويلا ، وخطر لهم أن يحقنوا به فرخين من فراخ الدجاج ففعلوا ، فمرض الفرخان ولكن سرعان ما أبلا . وبعد زمن ما حقنوا سرباً

من الفراخ اشـتمل مصادفة على الفرخين الناقهين بجرع من ميكروب الكولرا لم يكن هناك ريب فى أنها تميت .

فماذا صنع الله ؟ . . بينما تخطف الموت الفراخ الجـدد على عجل ، ظل الفرخان الناقهان فى منعة تامة من تلك القارعة التى كان ينبغى أن يكون فيها القضاء . وأخذ الذهول باستير فقال لحوارييه : « لقـد وجدنا كل شىء ، كل ما علينا أن نصنعه أن ندع الميكروبات الفتيّـة الضارية ، تكبر قليلا فى قواريرها وتشيخ » . وكذلك استنبط باستير من هذه المصادفة حلم اللقاح الذى قد ينقذ البشر أنفسهم من عوادى الموت .

كان باستير يومئذ فى الثامنة والخمسين ، ولـكنه باكتشافه مصادفة اللقاح الواقى من كولرا الدجاج ، بدأ فى حياته السنوات الست المحمومة من فرط النشاط . ففى سنة ١٨٨١ اكتشف طريقة لترويض ميكروبات الجمرة الخبيثة (حمى خبيثة تصيب البهائم وتقتلهـا وقد تنتقل منها إلى الإنسان) ، فبالاشتراك مع رو وشامبرلان أضعف عُصيّات الجمرة حتى أصبح بعضها يقتل الخنازير الغينية ولا يقتـل الأرانب ، وبعضها يميت الجرذان ، ويضعف عن إيذاء تلك الخنازير . ثم أخذوا يحقنون الميكروبات الضعيفة فى الغنم ويتبعونها بميكروبات أقوى ، وطفقت الغنم تعتلّ قليلا ثم تنقه ، فأصبحت بعـد ذلك تقاوم جرعاً من الميكروب تكفى لقتل الأبقار .

وأذاع باسـتير اكتشافه الجديد بحماسة غيظ لها الأطباء البيطريون ، فدبر أحدهم ، واسمه روسينيول ، مكيدة للقضاء على باستير فى تجربة علنية . وقبل باسـتير التحدى بسرور ، فقد كان شأنه أن لا يثبت حقيقة فى معمله حتى يتهيأ للنضال عنها فى العلن ، وإن كان فى ذلك ما يدنى اكتشافه من نفع البشر . وعندما سمع رو وشامبرلان ما اعتزمه أستاذهما أخذهما الهلع ، وانقلبت قوانين الحياة يومئذ ، فالمساعدون الشبان يجزعون ، وباستير يقامر ، ويهدر لأعوانه المحافظين قائلا : « إن ما نجح فى ١٤ شـاة بمعملنا يجب أن ينجح فى ٥٠ بحقول ميلون » .

وأمام ملأ عظيم من الفلاحين والعلماء والأعيان تم تلقيح ٢٤ شاة وماعزة واحدة وعدة أبقار فلم يمت منها شىء . وأعدّ عدد مماثل من الحيوان ترك بلا تطعيم ليكون أساساً للمقارنة . ثم كانت الخطوة الختامية وحقن الفريقان جميعاً بملايين من ميكروبات الجمرة الخبيثة . وبعد يومين تجمع فى الحقل حشد كبير من العلمـاء وأعضاء البرلمان والأطبـاء بشريين وبيطريين ، وقد تهيأ كثير منهم للسـخرية من الخزى المتوقع لباستير . وكان على رأس الصحفيين دى بلووتز

مراسل جريدة التيمس اللندنية . وجاء إلى الحقل باستير وأعوانه فضاعت عندئذ فرصة السخرية على الساخرين حين أعلن القضاة دهشين نتيجة التجربة التي غيرت وجه التاريخ.

ما من بهيمة من البهائم المطعمة أصيبت بألطف مس من الحمى ، بينما البهائم التى لم تطعم ماتت جميعاً إلا اثنتان كانتا فى دور الاحتضار . وهتف المتشائمون أنفسهم مهللين ، حتى لكأنهم فى حفل دينى . وتوسل إليه الدكتور بيو أشد خصومه قائلا : « لقحنى ثم أعدنى بالميكروب القاتل إذ يجب أن يقتنع سائر البشر باكتشافك الباهر » .

وكانت أشجع معركة خاضها باستير هى معركته الأخيرة ، وكانت ضد مرض الكلب القاتل بلا استثناء ، ذلك المرض الذى فر منه مذعوراً يوم كان صبياً فى التاسعة من عمره . لقد أصبح الآن أنبه الرجال صيتاً فى فرنسا ، ومع ذلك فما خطر له أن يستريح تحت إكليل الغار . وقد بثت بطولته فى أنحاء العالم روحاً للبحث انجلت عن فوران فى عالم الكشف عن الميكروبات القاتلة . وكان طعمه الواقى من الجمرة الخبيثة بشيراً بغيره من الطعوم التى قدر علها أن تقى الملايين من حمى التيفود والكولرا والطاعون الدملى . وقد مكنت نظريته فى الميكروبات الجراحين من إنقاذ عشرات الألوف من الأرواح ، وتلك الحيلة التي ابتدعها (البسترة) بتطبيقها على اللبن قد تمحو لعنة السل فى العظام وسواه من أوبئة الميكروبات . ومع كل هذا فقد كان يبدو لروحه المعذبة رجلا لم يعثر بعد على شىء له قيمة قط .

ومن أجل ذلك بدأ يدسُّ الأنابيب الزجاجية الصغيرة فى الأفواه الفاغرة المكممة لكلاب هاج بها جنون الكَلَب ، ولحيته تتدلى بجرأة على مسافة بوصات قلائل من تلك النيوب التى لا تنحسر عضتها عن غير الموت الزؤام .

ولم يستطع باستير ولا رو ولاشامبرلان أن يعثروا على ميكروب للكَلَب ، ولا استطاعوا أن ينقلوا المرض من حيوان إلى حيوان . وبعد لأى طاف بالأستاذ طائف من إلهامه المعجز ، أن هذا الميكروب الخفى إنما يهاجم الجهاز العصبى ، فلم لا يحقن هذا الميكروب رأساً فى مخ حيوان حى ؟ على أن ذلك كان معناه ثقب جمجمة الحيوان ، وكان باستير يحرّمه ، ولم يكن يعلم أن الجراح يستطيع أن يحدثه بلا ألم . ولكن رو خلد ذكراهم جميعاً إذ التمس فرصة من غياب باستير فعصاه وصنع بالكلب ما شاء ، وفى أقل من أسبوعين مات الكلب مسعوراً .

وكذلك وقع فى الفخ ذلك الموت الذى

لم يكن فى إمكان أحد أن يراه . ومع ذلك فقد ظل المشروع أشهراً طوالا وكأنه طراد آخر فى سبيل هدف مستحيل . أين هو الطعم الواقى ؟ إن عصور التاريخ كلها ليس فيها ذكر لحالة شفاء واحدة من هـذا المرض الفظيع . ذلك شأن المجرم العنيـد الذى كان يلاعبه باستير .

وبعد سنتين ، قضوها فى تجارب شاقة محمومة ، روّضوا السفاح بافتلاذ مضغة من النخاع الشوكى لأرنب مكلوب ، ثم بتعليقها فى زجاجة ١٤ يوماً حتى تجف لإضعاف الميكروب إلى الحد الذى لا يقوى معه على قتل كلب إذا حقن فيه . وما إن يستتب الأمر لهم على هذه الصورة حتى يحقنوا الكلب نفسه بميكروبات مميتة جففت ١٣ يوماً ثم بأخرى جففت ١٢ ثم ١١ ثم ١٠ أيام ، وهكذا دواليك إلى أن يحتمل الكلب فى النهاية ڤيروس الكلب المجفف يوماً واحداً فقط !

فهـل يصبح ذلك الكلب محصناً ضـد ڤيروس الكلب الشـديد الضراوة ؟ لئن فشل باستير الآن — باحثاً سريع الانفعال كما كان — فليدونّ له عمل حياته كله عبثاً . كتبت قرينته فى سنة ١٨٨٤ إلى ابنتها فى عيد زواجها (الذى نسيه باستير) تقول : « إن أباك غريق فى تأملاته يتكلم قليلا ، وينام غراراً ، ويستيقظ فى الفجر . وبكلمة واحدة يحيا نفس الحياة التى بدأتها معه فى مثل هذا اليوم منذ ٣٥ عاماً » .

على أن الهيئة الطبية التى عهد إليها باستير فى التحقق من نتائج تجاربه ، طلعت على الدنيا يومئذ بنبأ أذهلها : « إن الكلب إذا حصّن بمادة النخاع الشوكى المأخوذة من أرانب ماتت مكلوبة ، والتى تزداد ضراوتها بالتدريج ، فلن يستطيع شىء فى الوجود أن يعديه بالداء » . وعنـدئذ أخذ باستير يتلقى الرسائل والبرقيات من فرنسا ومن الخارج ومن إمبراطور البرازيل ، ومن الأطباء ، ومن آباء وأمهات عضت بنيهم كلاب مسعورة ، فراحوا يترقبون موتهم قانطين .

ولأول مرة فى حياته أحجم باستير أمام هـذه التبعة الرهيبة ، فلم يكن الأمر هنا ما كان فى موضوع الجمرة الخبيثة حيث لو استقوى الطعم قليلا فلن تكون النتيجة المحتملة إلا موت بضع شياه ، أما اليوم فالهفوة فيها ضياع لحياة أطفال كائنات بشرية . وما من صياد ميكروب واجه قبل ، مثل هذا المشكل الرهيب .

وأخيراً قدمت من الإلزاس مسز مايستر يائسة ، فانتزعت من أيدى باستير حق تقرير المصير . جاءت باكية إلى معمله تقود طفلها جوزيف البالغ من العمر تسع سنوات ، والذى عضه كلب كلِب فى ١٤ موضعاً من

جسمه منذ يومين . وأخذت تتوسل إليه : « أنقذ ولدى ياسيد باستير» وتطوع طبيبان باريسيان فشاطرا باستير حمل التبعة .

تلقى الطفل چوزيف مايستر الحقن الأربع عشرة من غير أن تظهر عليه أية علامة من علامات الخطر ، وعاد إلى بلده بريئاً من كل أعراض المرض .

وأخذ يفد على رجل المعجزات ، بشارع أولم فى باريس ، أناس من شتى بقاع الأرض أمضهم عض الكلاب . ووفد عليه من سمولنسك فى روسيا ١٩ فلاحاً روسيا عدا عليهم ذئب مسعور منذ أكثر من أسبوعين كانت أشكالهم غريبة تحت قلانس الفرو ، ولأفواههم غمغمة لاتتغير: «باستير.. باستير» وكانت هذه الكلمة كل ما يعرفونه من اللغة الفرنسية . ومس الرثاء لهؤلاء الفلاحين قلب باريس كلها ، وترددت فى طرقاتها همسة واحدة : « سيموتون جميعاً عن يقين » .

ثم تصاعدت صيحة زهو وفخار بباستير من جميع الباريسيين ، بل من كل فرنسا ، وغنت له الدنيا أنشودة شكر لأن الطعم الجديد أنقذ جميع الفلاحين المقضى عليهم بالموت إلا ثلاثة . وأنعم القيصر على باستير بصليب « سانت آن » الماسى ، وبمئة ألف فرنك، تكون نواة لبناء ذلك البيت لصيادى الميكروب ، بيت الحياة الذى يطلق عليه اليوم معهد باستير ، وأخذ المال يتدفق لذلك الغرض من كل بقاع الأرض .

وعند ما تنتهى مأساة الحرب الحاضرة ليتذكر علماؤنا وأطباؤنا الشبان وصية باستير التى أوصى بها سنة ١٨٩٢ فى الذكرى السبعين لمولده ، حيث أنعم عليه بوسام من جامعة السوربون . كان لورد ليستر هناك واحتشد فى قاعة الاحتفال رجال نابهون فى كثير من الأمم وطلاب من المدارس العليا والجامعات . وساد الصمت عند ما ظلع البحاثة العجوز إلى المنبر متكئاً على ساعد رئيس الجمهورية ، فقد كان الصوت النفاذ لصياد الميكروب قد ضاع ، فقرأ عنه ولده الكلمات التى تركها ميراثاً لأجيال المستقبل :

« لا تدعوا أنفسكم يفسدها التشكك العقيم ، ولا تخذلكم أحزان تلك الساعات العابرة التى تمر بالأمم . عيشوا فى صفو السلام الذى تهيئه لكم الكتب والمعامل ، وليسأل كل منكم نفسه أولا : ماذا صنعت لأتثقف ؟ فإذا مضيتم قدماً فسلوها ماذا صنعت لبلادى؟ حتى يحين الوقت الذى تحسون فيه طغيان السعادة ، سعادة التفكير فى أنكم ساهمتم بطريقة ما فى رقى الإنسانية وخيرها » .

إن باستير كان يوجه إلى شباب اليوم هذا النداء .

هــل يتمشى الذكاء مع الأخلاق؟

البرت إدوارد ويجام

لقد وجهت هذه الأسئلة الثلاثة إلى نيف وألف شخص :

« هل تعتقد أن معظم النوابغ يعيشون عيشة تبذل واستهتار لا تتفق مع الأخلاق ؟ وهل تعتقد أن جمهرة النابهين والنابهات من الرجال والنساء قلب لا يركن إليهم ، يسرفون فى الشراب ويغلب أن تكون لهم علاقات جنسية لا تتفق والعرف والتقاليد ؟ وهل تعتقد أن أغلب الموهوبين من الأطفال لا يلتئمون مع محيطهم ، وتصعب رعايتهم وتربيتهم ، ويغلب أن يشبوا شواذّ غير متزنين ؟ » .

وقد جاء تسعون فى المائة من الإجابات بالإيجاب ، وكانت لحسن الحظ جميعاً خاطئة . فقد أثبت العلم حقيقة مشجعة لها مغزاها العظيم ، وهى أنه كلما ارتقى ذكاء الإنسان ارتقت أخلاقه تبعاً لذلك .

وقد جعلت شغلى الشاغل أن أسأل أولئك الذين يعتقدون أن الذكاء المتوقد وضعة الأخلاق متلازمان ، أن يذكروا أسماء من كانت تلك صفاتهم بين ثلاثمائة من النوابغ خلال القرون الأربعة الأخيرة .

درست صلة الأخلاق بالذكاء فى أكثر من ٣٠٠ جماعة من الناس ، وعسى أن تكون النتائج التى أسفرت عنها المقارنة بين مئات من الألوف مما يدهشك .

فبعد أن أشاروا إلى نابليون وشوبان وجورج صاند ولورد بيرون وإدجار ألان بو وميكيافيللى ورابيليه ، وناقشوا عدة أسماء أخرى ، نفدت جعبتهم وتولتهم الدهشة لعجزهم عن تأييد ما تصوروه قبلا من التبذل بين العظماء .

وقد ثبت علمياً ، بعد إجراء نيف وثلاثمائة بحث ، أن الذكاء والأخلاق يميلان إلى التمشى معاً .

وقد شمل أحد هذه الأبحاث ستمائة طفل اختارهم الأستاذ لويس ترمان وزملاؤه بجامعة استانفورد بكاليفورنيا ، ولم يكن الباحثون يعلمون شيئاً عن أخلاقهم ، وكان الأطفال جميعاً ممن حازوا مئة وأربعين درجة أو أكثر فى اختبار الذكاء المعروف باسم استانفورد — بينيه (متوسط درجة الذكاء فى هذا الاختبار مئة) ووضع لهم

الأستاذ ترمان عدة اختبارات للكشف عن ميولهم الخلقية .

فى أحد هذه الاختبارات رسمت خمس دوائر صغيرة حول حافة دائرة قطرها خمس بوصات ، وطلب إلى كل طفل أن يدير يده حول الدائرة الكبرى وهو مغمض عينيه ، ثم يؤشر بالقلم الرصاص بعلامة داخل كل دائرة من الدوائر الصغرى . وكانت التجارب التى أجريت فعلا قد دلت على أن احتمال إصابة الدوائر الخمس جميعاً ، دون استراق النظر ، لا يعدو مرة واحدة فى كل بضعة آلاف مرة . وهذا اختبار موفق للأمانة الشخصية ، وقوة الإرادة ، وضبط النفس وهى صفات خلقية هامة .

وقد قورنت نتائج هذه الاختبارات بمثيلاتها مما حصل عليه خمسمئة طفل ، كانت نتيجة اختبار ذكائهم مئة فقط ، فكانت نسبة إصابة هؤلاء الأطفال لمواقع الدوائر الصغيرة أعلى كثيراً من نسبة الفريق الأول . وهذا يدل دلالة واضحة على أن أصحاب الذكاء المتوسط من هؤلاء الأطفال غشوا أكثر ممن يبزونهم نجابة وذكاء .

وفى اختبار آخر طلب إلى الأطفال أن يؤشروا بعلامة أمام أسماء الكتب التى قرأوها من قائمة دوّن فيها خمسون اسماً ، بينها عشرون اسماً مختلقاً لكتب لا وجود لها . وقد اتضح من هذا الاختبار أن عدد من كذب من النجباء أقل كثيراً من غيرهم .

ولعل السبب الأكبر فى أن الذكاء والخلق الحميد يتمشيان معاً فى أغلب الأحيان هو أن الأذكياء من الناس يعلمون أن الخلق الحميد هو الخلق الذى يدعو إليه العقل السليم وأنه يؤدى إلى خير النتائج . إن جميع القوانين الأخلاقية والدينية لا تعدو كونها بياناً لما وفق إليه الحكماء من حلول لمشاكل الحياة . وعلى قدر ما يعلو ذكاء الإنسان يزداد يقيناً بأنه يستطيع أن يبلغ ما يريد فى الحياة بالأمانة والنزاهة لا بالغش والبهتان ، وبقيامه بواجباته نحو المجتمع لا بتنصله منها .

وقد أيدت التجارب التى أجراها الأستاذ ترمان صحة ذلك ، فقد حصل الستمئة طفل من الموهوبين على درجات أعلى من الخمسمئة طفل غير الموهوبين فى جميع الاختبارات الخلقية . واتضح أيضاً أن كبار الأطفال فى كل من المجموعتين حصلوا على درجات أعلى من درجات الذين دونهم سناً ، فمعظم الأطفال تصلح أخلاقهم وفقاً لتقدم سنهم ، إذ أن ازدياد الذكاء يفضى إلى بصر أدق وحكم أصوب فى الأمور . ومن المكتشفات الموفقة التى أفضى إليها بحث ترمان وأعظمها فائدة من الوجهة العلمية ، ما اتضح من أنه يمكن

تبين الأولاد والبنات الذين يحتمل أن يشبوا شواذ قبل أن ينساقوا إلى الشر فعلا .

ويستطيع العالم النفسى الحصيف أن يبذل خير عون لآباء الشواذ من الأطفال ، فإن الطفل لم يصر إلى هذه الحال إلا لحاجته — وقد أشكل عليه الأمر واختلط — إلى ذكاء أعلى من ذكائه يبين له سواء السبيل يسير فيه . وقد أظهرت الاختبارات أنه كلما ازداد ذكاء الطفل سهل على والديه ومدرسيه أن يعلموه ما يجب أن يفعله .

وفى بحث علمى آخر لتبين علاقة الذكاء بالأخلاق وضع الباحثون اختبارين مثاليين للذكاء لمئة ألف ومئة وثلاثة وخمسين طالباً من طلبة السنة الخامسة بمدارس نيويورك الحكومية ، وقد حلل مستر ج . ب . مالر الأستاذ بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا نتائج هذين الاختبارين ، فاستبان أنه يستطيع أن يتنبأ من درجات الذكاء التى حصلوا عليها ، بمعدل التخلف والإجرام بين الصغار فى كل قسم من المئتين وسبعين قسما فى المدينة ، كما يمكنه أن ينبئ بدرجات الذكاء من معدل التخلف والإجرام بين الصغار . فهل ثمة دليل أدل من ذلك على أن الذكاء والأخلاق متلازمان ؟

وفى تجربة ثالثة وضع الباحثون اختبارات لامتحان السلوك الخلقى السليم والذكاء فى عشرة آلاف وستمئة وخمسة وثمانين تلميذاً بنيويورك ، وقياس ميلهم إلى الكذب والغش والسرقة . وكانت هذه الاختبارات تتيح اثنتين وعشرين فرصة للغش ، وستاً وأربعين فرصة للكذب ، وفرصتين لسرقة نقود ، وفرصة واحدة لسرقة أشياء صغيرة . ففى إحدى هذه الاختبارات دوّن الأولاد إجاباتهم على الأسئلة دون أن يفطنوا إلى أن هنالك صورة كربونية مستورة تحت ورقة الإجابة . وبعد أن استبعدت هذه الصورة دون علمهم أعطى كل منهم ورقة بها الأجوبة الصحيحة ، وطلب إليهم أن يدونوا الأخطاء التى وقعوا فيها ، وخرج الممتحن عند ذلك من الغرفة وكان من السهل بعدئذ كشف الذين محوا الإجابات الخاطئة وأثبتوا إجابات صحيحة بدلا منها .

كذلك أعطى الأطفال أحجية لحلها بواسطة ترتيب قطع من النقود فى صندوق من الورق المقوى ، وإذ كانت الصناديق خلواً من أسماء الممتحنين ، فقد يحسب الطفل أن ليس ثمة ما يستدل به عليه إذا هو استحوذ على بعض قطع من تلك النقود . على أن كل صندوق كان موسوماً بطريقة خفية ، وكان من السهل اكتشاف من ليس أميناً من الأطفال .

وقد جاء فى تقرير الباحثين الذين خضعوا

نتائج هـذه الاختبارات أن الأمانة متصلة بالذكاء قطعاً ، وأن النجباء من الأطفال أقل غشاً بلا مراء .

وأيدت مئات من المباحث الخلقية الأخرى هذا الحكم ، وكان بينها اختبار وضع لطلبة ٢٨ كلية، فثبت أن الذكاء والأخلاق متصلان اتصالا وثيقاً فى الطبيعة البشرية .

ومع أننا لم نصل بعد إلى معرفة القواعد الصحيحة لبناء الأخلاق ، فإن ما جنيناه من علم من هذه الأبحاث يجب أن يكون حافزاً مشجعاً لنا على المضى فى هذا السبيل، فما من شئ يفضى إلى رفع مستوى الذكاء إلا وهو مفض دون شك إلى تحسين الأخـلاق . وبالرغم من أن الذكاء والأخلاق يبدوان وراثيين إلى حد ما ، ويغلب أن تتصف بهما أسر معينة ، فإن فى مكنتنا أن نبسط للذكاء آفاقاً واسعة عن طريق التعليم ، وأن نحسن الأخلاق بالوعظ والمران والإرشاد .

إن أعظم مجهود يمكن أن يبذله الفكر الإنسانى هو العمل على ترقية فنون التعليم وتقدمها مما يجعل بناء الأخلاق علماً مكيناً ثابت الأركان كعلم صناعة الفولاذ .

الادخار للشيخوخة فى سن التسعين

لما بلغ أوليفروند هولمز التسعين من عمره — وكان قد أحيـل إلى المعاش من منصب عضو فى المحكمة العليا — قطع الكنجرس معاشه . فلما بلغه ذلك قال وهو يغمز بعينه : « لقد كنت دائماً رجلا حسن التدبير ، فلن يؤذينى قطع معاشى . ولـكنه يؤسفنى أن لا أستطيع أن أمضى فى ادخار مثل ما كنت أدخره لشيخوختى ! ! » . [درو بيرسون وروبرت اللن]

☆ ☆ ☆

خير ما ترد به على كلام سقيم ، أن تدعه يستمر . [سدنى سميث]

الرجل الحاذق يقول للمرأة إنه يفهمها ، والغبى يحاول أن يثبت ذلك .

إن تقلب النساء اللواتى أحبهن لا يضارعه إلا سعير وفاء اللواتى يحببنى [برنارد شو]

تجارب القتال فوق فلوريدا

فرنسيس فيفيان دريك • ملخصة عن مجلة «ذى أمريكان ليجيون»

أول بيـــان عن مركز سرى للتجارب « التكتيكية »
تحل بها القـــوات الجوية الأمريكية مشكلات ، فيهـا الحد
بين الموت والحيـــاة ، لرجال سلاح الطيران وراء البحـار :

أوغلت القوة القاذفة فى جو ألمـانيا ، قوامها « قلاع طائرة » ضخمة وطائرات « ليبريتور » ، وكانت محلقة على ٢٤٫٠٠٠ قدم ، وعلى وجوه رجالها أقنعة الأكسجين ، وفوقها سقف نسجته آثار بخارية مفزعة ، خلفتها وراءها طـائرات الحراسة من طراز « تنـدربولت » و« لايتننج ». وها هى ذى كادت تصبح على مرأى من أهدافها — مصـانع يجب على النازيين أن ينقذوها ، إن أرادوا الاحتفاظ بما يكفيهم من سلاح لمقاومة غزو الحلفاء .

وفجأة انطلق من السماء أمام المغيرات ، سلاح الطيران الألمـانى ، فصدم أسرابهـا بمطاردات حشدت من أوربا جميعها . وهو يطالع المغيرين اليوم بحيـلة جديدة مباغتة معقدة النظـام . فتهجم موجة المطـاردات الألمانيـة العليا على الطـائرات التى تحرس القاذفات ، وتنقض الثـانية على القاذفات من أمام ومن فوق ، وفى الوقت نفسـه تقترب الموجة الثـالثة — وهى طائرات من حاملات الشهب — كأنها كتائب المشاة ، ثم تنحرف فى اللحظة الأخـيرة ، وتلتف وهى نصب الشهب متلاحقة على القاذفات .

وليست هـذه الحركة جديدة فحسب ، بل إنها أيضاً سريعة شديدة الفتك ، فما أن انقضى الوقت اللازم لتدمير المصانع النـازية حتى كان الحلفاء قد خسروا ٦٠ قاذفة ضخمة ورجالها الســتمئة المدربين ، لأن تنظيم أسرابهم لم يكن قد أعـدّ لمواجهة هـذا الضرب الجديد من الهجوم .

فلا بد من تدبير خطة مضادة ، تلوذ بها القاذفات فى المستقبل . ولـكن هذا التدبير لا يجب أن يقع على عاتق الجماعات المحاربة ، التى أنهكتها المعارك ، فهى أحوج إلى الراحة منها إلى التجارب فى وقت الفراغ .. فلمـا أقبل المساء كان طياران من قواد القـلاع الطائرة فوق المحيـط الأطلسى ، منطلقين إلى مركز الدراسات التكتيكية للســلاح الجوى الأمريكى فى ولاية فلوريدا .

هناك فى ذاك المكان العجيب ، احتشدت

زمرة من المقاتلين المحترفين ، ذوى الحيلة الواسعة ، ومهمتهم أن يبذوا العدو ، أينما كان ، فى التفكير ودقة الحدس ، وحسن تصميم الطائرات ، وإحكام أساليب القتال ، وتأتمر بأوامرهم قوة جوية كاملة مزودة بكل ما يخطر بالبال من وسائل القتال الجوى .

ولا تكاد تطرأ أزمة على أساليب القتال فى ميدان ما ، أين كان ، حتى يكون خبراء هذا المركز جادين فى البحث عن الحل الموفق مع شهود عيان نقلوا طائرين من مكان الحادث . والطريقة التى توصلوا بها إلى التغلب على الأساليب الألمانية الجديدة تصور ما لهذا المركز الدراسى من شأن عظيم فى ميادين الحرب المحرجة الحال .

فلم تكد تنقضى أربع وعشرون ساعة منذ أنفذ سلاح الطيران الألمانى خطته المفاجئة ، حتى هبط قائدا القلاع فى فلوريدا ، وأقبلا يشرحان شرحاً مفصلا دقيقاً المعركة التى دارت فوق ألمانيا فى اليوم السابق . نخطت أوامر العمليات فى نفس الليلة ، وتسلمت أسراب القذف التابعة للمركز الدراسى ، فى الصباح التالى ، نسخة دقيقة من الأوامر التى صدرت منذ ٤٨ ساعة إلى زملائهم فى إنجلترا .

وأنشأت أسراب من المطاردات ، الموزعة على الطريق المرسوم للقاذفات ، تتدرب على محاكاة هجوم الطائرات الألمانية فى كل صغيرة وكبيرة .

وتنطلق القاذفات ثم تهاجمها مطاردات « الأعداء » . فيعاد تمثيل جميع الأساليب التى لجأ إليها الطرفان فى المعركة فعلا ، بينما تسجل آلات التصوير السينمائى ، التابعة لسلاح الجو ، كل حركة . ويتتبع قائد مركز الدراسات التكتيكية جميع مراحل القتال ، خلال تطورها .

وحين تنتهى المعركة الصورية يبدأ بحثها فيقتل المشكل بحثاً وتجربة من كل ناحية ، حيناً فى غرف العرض السينمائى ، وأحياناً فى أعالى الجو الشاحبة ، حيث تنتقل القاذفات فى أناة وصبر من تشكيل إلى آخر ، كأنها فيلة تقوم بحركات شاذة غريبة ، فيها الحد بين النصر أو الهزيمة فى القتال الجوى .

وإنه لعمل سريع خطر ، إذ تفوق السرعة النسبية ، بين القاذفات وطائرات « التندربولت » و « المستانج » المتدفقات عليها ، ٧٠٠ ميل فى الساعة . وأحياناً يقتحم صفوف القاذفات سرب من المطاردات فتمرق طائراته بين أطراف أجنحة القلاع المتقاربة ، فلا تنجو بنفسها إلا بالميل على أجنابها ميلا عموديا .

ثم يقعون أخيراً على الحل الموفق ،

إذ ينشئون تشكيلا جديدا لأسراب القاذفات ، فتستطيع التغلب على هجوم الطاردات المعادية بغلالة من النيران تسدّدها مدافع التمرين — « أجهزة التصوير » . فيبرق بذاك الحل إلى إنجلترا ، فيراجع ويفحص ويعاد فحصه قبل امتحانه فى المعركة الفعلية . فيباغت سلاح الطيران الألمانى فى اليوم التالى مباغتة باهظة التكاليف .

ويعد ما سبق نموذجاً لما يلجأ إليه هذا المركز الدراسى من أساليب للتغلب على المشاكل التى تحال عليه من جميع ميادين الحرب ، فقد شيّد المهندسون ، فى أقاصى ساحات القذف التابعة لذاك المركز ، نموذجاً كاملا لمصاطب اليابانيين فى « تراوا » ، وهى التى أنزلت بمشاة أمريكا البحريين أفدح خسارة نزلت بفيلق البحارة فى هذه الحرب . وأعاد الخبراء تمثيل كل حركة جرت أثناء ذلك الزحف الباسل ، حتى يتوصلوا إلى خفض الخسارة فى المعارك التالية . وتوالت على تلك الأهداف المستعصية ، يوما بعد يوم ، القاذفات الثقيلة والمتوسطة والمنقضة ، تمطرها أمزجة مختلفة من القنابل المتفجرة والمحرقة ، وقد نقل مدفعيو الطائرات وضباط الجيش البرى ، مباشرة من ميدان المحيط الهادى ، لإشعال هذا الجحيم تأهبا للغزوات المقبلة فى جزائر المحيط .

وقد أسفر هذا النظام عن نتائج باهرة . فقد بلغت خسارة الأمريكيين عند بدء النزول فى جزر جلبرت ٤٫٠٠٠ بين قتيل وجريح ، ولكنها لم تتعدّ ٢٨٦ قتيلا و١١٤٨ جريحاً فى غزو جزر مرشال جميعاً .

وقد أجريت التجارب الخاصة بغزو صقلية على شواطئ أعدت فى هذا المركز . وعلى مقربة منها ابتكرت أساليب القذف من ارتفاع منخفض ، وهى التى أنزلت باليابان كارثة بحر بسمرك ، حين خسرت ٢٢ سفينة و٥٥ طائرة و١٥٠٠٠ رجل ، مقابل ثلاث فقط من طائرات الحلفاء .

وحين قر رأى القيادة العليا فى وشنطن على ضرورة تدمير أحد مصانع الألمنيوم الحيوية فى ألمانيا ، انبرت أسراب القذف التابعة لذلك المركز لاستنباط الأسلوب الأوفق لهذا الهجوم ، واستخدمت مصانع الألمنيوم الأمريكية ، التى يقع بعضها على ١٫٠٠٠ ميل من هذا المركز ، أهدافاً لغارات شنتها قلاع طائرة وطائرات ليبريتور . وكانت مزودة بأجهزة غاية فى البراعة ، فسجلت إصابات مباشرة على أماكن فى المصانع ، لو أصابتها القنابل الكبيرة الحقيقية ، لدمرت .

وكان موظفو شركات الألمنيوم المهاجمة يتقدمون ، بعد كل تجربة ، بمقترحات تعين

على إحكام التــدمير ، فلما اكتملت الخطة وجربت ، نقل رؤساء المدفعيين المتمرسين إلى انجلترا . وبعد شهر امحى أعظم مصانع الألمنيوم فى أوربا .

يشغل مركز الدراسات التكتيكية لسلاح الجو الأمريكى واثنـان وعشرون مطـاراً ملحقــة به ، بقعة تكاد تعـادل صقلية فى مساحتهـا . وهو يضطلع ببحث مشـكلات القتـال وتجربة الآراء الجـديدة فى القتال الجوى . ويقوم هذا المركز ، خلال تجاربه جميعاً ، بتدريب جماعات متتالية من الطيارين يندمجون طيـلة إقامتهم ، فى قوته الجـوية التجريبية ، فجميع قواد الجماعات المحاربة فى الولايات المتحدة ، يرسلون مقدمى رجالهم إلى هذا المركز ، فيتولى صقلهم قبل سفرهم إلى الخارج ، فيوضح لهم ، فى أحوال مطابقة للواقع ، أحدث ما طرأ على أساليب استخدام المدافع الجوية ، وآخر وجــه من وجوه الإتقان فى منظار تسديد القنابل ، وأبرع الخطط فى توجيه الطائرات إلى الأهداف . فالخبرة التى كانت حتى السنة الماضية ، تكلف أرواحاً ثمينة ولا تكسب إلا فى دقائق القتال الصاخبة ، صار الشبان يظفرون بها الآن بالعمل الشاق وحسب .

وتقوم جماعات القوة الجوية التجريبية برحلات طويلة عبر البحر الـكاريبى ، إلى المكسيك أحيانا وإلى جنوب أمريكا أحياناً أخر . وقد تهبط فى شقة فضاء وسط الأدغال فتتزود بالوقود من براميل الصلب ، ثم ينام رجالهـا داخل الطائرات لينطلقوا بها فى الصباح التالى ، كأنهم فى جنوب غربى المحيط الهادى تماماً . أما مقامهم فى قواعدهم الأصلية ففى الخيام التى مُـوِّهت معالمها ، أو فى جحور منتثرة فى غابات فلوريدا الوسطى ، فلا ترى من الجو .

وقوادهم لا يعبأون كثيراً بالتكلف الرسمى ، فإنك لا تجد هذا الشاب ، الذى وقف يخط رسماً بيانيا على الأرض لجمـاعة كلها آذان صاغيــة ، قد عقد رباطاً حول عنقه . إن قميصه مفتوح عند العنق ويلوح أنه نسى أن يحلق فى الصباح . ولو لم تره فى مقر القيادة ، وعلى صدره ثلاثة خطوط من شرط القتــال يعلوها وسام الـكونجرس للشرف ، لما علمت أنه أسقط عدداً وفيراً من طـائرات « زيرو » ، وأغرق كثيراً من السفن الحربية ، واشترك فى معارك عديدة .

يقع ميدان القذف الجوى الرئيسى لمركز الدراسات التكتيكية الجوية على ٢٠ ميــلا من أقــرب قرية ، ويُثنَى الراغبون عن زيارته ويعـد كل محوم حوله ، يابانيا أو ألمانيا ، والحراس يطلقون النار قبل استطلاع بينة الأمر .

« تهاجم » مهابط القاذفات والمقاتلات التابعة لهذا المركز ، مهاجمة مستمرّة من جماعات القاذفات التي فى جنوب شرقى الولايات المتحدة . فليس للراحة طعم هناك ، وقد سمع أحد المحنكين ، المتمرسين بالقتال الجوى فى أوربا وهو يقول : إنه يود لو عاد إلى جبهة القتال فينعم بالهدوء قليلا .

ولما كان العمل الذى ينهض به هذا المركز مجدياً من الناحية العملية ، فقد أخذ نفوذه يتطرق إلى أعلى طبقات القيادة العسكرية ، فالتحق به عدد من ضباط هيئة أركان حرب الجيش والبحرية . وربما أصبح هـــذا الاختلاط أوفى أعمال هذا المركز فائدة ، إذ ما زالت إدارة السلاح الجوى الأمريكى فى قبضـــة ضباط « البسيطة » (من بريين وبحريين) . وإن تاريخ الحـرب لينطوى على كثير من الفرص العظيمة التى أفلتت ، لأن هؤلاء الضباط عجزوا عن إدراك كنه القوة الجوية ، ولأن معارضهم لها نابعة من التفكير المحافظ الجامد .

وما من شك فى أن الحرب ستذهب بكثير من المؤسسات العسكرية مع غيرها من الذرائع التى اقتضتها ضرورات الحرب ، ولكن يغلب على الظن أن مركز الدراسات التكتيكية للسلاح الجوى لن يكون ذلك مصيره . فليس ثمـة ريب فى أنه سيصبح معهد أمريكا الحربى العظيم فى العصر المقبل ، والمركز المتحكم فى تنظيم الطيران وتطوره ، وهما عماد سلامة أمريكا فى عصر الطيران .

● « التحيـــة الرومانية » التى اخترعها دانتزيو وصارت الآن هى « التحية الألمانية » أيضاً ، مأخوذة من تمثال أو صورة . ولكن دانتزيو نسى أن الرومانيين كانوا يتبادلون التحيـة بالمصافحة ، وكان الأرقّاء وحدهم هم الذين يرفعون اليد على نحو ما يفعل رعايا موسوليني وهتلر .

[الكونت كارلو سفورزا فى كتابه : « كتب فى الخارج »]

● يستوى عنـدى أن أحرق وأن لا أحرق جسورى من ورائى ، لأنى لا أتقهقر أبداً .

[لاجوارديا محافظ مدينة نيويورك]

لم يكن بوسكويه ، وقدماه مثبتتان فى أرضه ، أسير أحد

أسعد الناس

لويس برومفيلد



كان أسعد رجل عرفته عامل فرنسى فى منتصف العمر اسمه «بوسكويه» عشنا متجاورين ١٥ عاماً فى أطراف باريس حيث كان بوسكويه يملك بيتاً وفدانين من الأرض ، وكنت أملك مزرعة صغيرة .

كان بوسكويه صانعاً ميكانيكياً ماهراً يتقاضى من الأجر نصف ما يتقاضاه العامل الأمريكى ، وكان يركب فى غدوه ورواحه من عمله سيارة مضى عليها ثمانى سنين ، يتعهدها بالإصلاح ويعيد بناءها حيناً بعد حين . ولم يكن ثمة ما يغريه بالسكنى فى منازل العمال ، حتى فى النموذجى منها ، فى ضواحى باريس . فقد كان يقول إنها لا تصلح إلا لفاترى الهمة قصار الباع . فهو يريد قطعة من الأرض يملكها ، ويود أن « يثبت قدميه فى ترابها » .

وكان بوسكويه يزرع فى هذين الفدانين كل ما تحتاج إليه أسرته من الغذاء . كان عنده كل نوع من الخضر ، حتى الخرشوف الذى فى زراعته مضيعة ، لاحتياجه إلى متسع كبير من الأرض ، ولكن بوسكويه كان يحب الخرشوف ويود أن يكون له منه ما يريد حين يريد ، دون أن يبذل فى شرائه مالا جهد فى كسبه . وكان لديه من الفاكهة الكمثرى والبرقوق والتفاح يجنى أكثرها من شجر قصير يغلُّ محصولا كبيراً . وكان نبات الفراولة تحف بمسالك المزرعة من الجانبين ، ونبات الهليون (الأسبرج) يملأ رقعة كبيرة من الأرض .

وكان لبوسكويه عشرون دجاجة بيوضاً وديكة للأكل ، واثنتا عشر بطة ، وعدد من الأرانب البلجيكية السمينة ، كما كان له خنزير يغتذى فى الغالب بأطراف النباتات والفضلات ، وعنزتان تقتاتان طوال السنة من الطريق .

ولم يكن بوسكويه يشترى وقوده ، فقد كان على ميل واحد من غابة للحكومة ، وفى فرنسا قانون قديم يتناهى فى القدم إلى عصر الإقطاع ، يجعل للأهالى حق جمع ما يتراكم على أرض الغابة من خشب . فكان بوسكويه يخرج مع زوجه وأولاده ثلاث

مرات فى العام لينعموا طوال اليوم بنزهة فى الغابة،ويعودون فى المساء وعربتهم ملأى بالخشب ،وقد تلهى الصغار بمشاهدة الوعول والخنازير البرية وبتسلق الأشجار والاستحمام

وبنى بوسكويه فى نهاية حديقته بيتاً صيفياً جميـــلا مزخرفاً ، يغطيه الكرم ونبات الكليماتس المتسلق.فكان يجلس فى رفقة له فى أمسيات الصيف الطويلة يحتسون النبيذ ويتحدثون فى السياسة ،وكنا نسمعهم أحياناً يغنون على ما يوقعه بوسكويه من أنغام على معزفه اليدوى .

ولقد نزلت بفرنسا ضائقتان طال أمدها بعض الطول،فاجتاحت إحداها كثرة الطبقة المتوسطة ، بيد أن التعطل لم يقلق بال بوسكويه كثيراً ، فقد بلغ من ضمان العيش أعلى مرتبة ما يستطيع أن يبلغها إنسان . فهذان الفدانان من الأرض يدران عليه غذاء وفيراً ، وأسرته تنعم بالدفء من خشب الغابة دون مقابل ، فكان حقا صاحب كل شىء يملكه ، وكان قد خبّأ بضعة فرنكات تحت وسادته ، وكان يكسب إذا تعطل عن العمل شيئاً من المال بأدائه عملا ما لجيرانه .

ولم يكن بوسكويه ممن يذهبون إلى المطاعم الشعبية ، أو ممن يصطفون صفوفاً للحصول على ما يمسك الرمق من الخبز ، أو ممن يتقاضون إعانة الحكومة للمتعطلين من العمال ، بل كان رجلا مستقلا يقف منتصباً على قدميه ، ويعول نفسه وأسرته ، ولم يكن أسيراً لأى إنسان .

ولعلك تقول إن حالة بوسكويه حالة استثنائية لا شأن لها ، على أنك تخطىء إذا حسبت ذلك ، فليست حالته بالاستثنائية فى فرنسا بل هو القاعدة العامة ،وله منزلة عظيمة فى اقتصاد فرنسا لأن أضرابه كثر . ففى فرنسا ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ عضو فى جمعيـــة الصناع والزراع ، وإلى هذه الجمعية ينتمى بوسكويه ، وهناك عدد عديد من صغار الناس والمزارعين وأصحاب المتاجر والكتبة ينعمون بهذا اللون من الطمأنينة والأمان.

ولقـد شاهدت إبان الضائقـة الكبرى فى أمريكا ، صفوفاً من العمال المتعطلين تنتظم خمسة آلاف منهم فى انتظار الخبز . ورأيت ملايين العمال يعملون فى مشاريع الحكومة تنضح جباههم بالخجل ، ويتخذهم من هم أسعد منهم حظا هدفاً لنكاتهم ، بيد أنى لم أر من هذا شيئاً حين حل الضيق بفرنسا، ولم أر أثنـاء الضائقة أكثر من مائة عامل ينتظمون الصفوف فى انتظار الخبز فى المنطقة الصناعيـة من باريس . ولم تكن ثمة إعانة للمتعطلين ، أو مشاريع حكومية لتشغيل العمال .

على أن الضائقـة كانت أدنى إلى النزول

بفرنسا منها إلى النزول بأمريكا . ففرنسا لم تكد تنتهى من حرب أنهكت قواها ، حتى كانت تنفق ملايين الملايين على الجيش وعلى خط ماجينو ، وكانت ضرائبها كثيراً من الضرائب فى أمريكا .

أما أمريكا فبلد فسيح الأرجاء ، عظيم الموارد ، وكانت ضرائبها خفيفة وليس بها تضخم نقدى . وسيظهر التاريخ أن ضائقة أمريكا السوداء ، كانت نتيجة للمقامرة وقلة التبصر فى العواقب ، والحمق الاقتصادى القائم على رجاء الظفر بشىء من لا شىء .

وما رأيته فى فرنسا حدا بى إلى مقارنة بوسكويه بالعامل الأمريكى ، ولنسمه «جو براون» . إنه رجل طيب يكب على عمله ويبذل خير ما فى وسعه لإسعاد أطفاله . ولكن سبيله لم يكن مُيسَّراً . نعم كان جو يتقاضى من الأجر ضعفى ما يتقاضاه بوسكويه أو ثلاثة أضعافه ، ولكن ما يدفعه من أثمان وأجور كان ضعفى ما يدفعه بوسكويه أو ثلاثة أضعافه .

كان جو قبل الضائقة يعيش فى بيت مؤجر ، ويشترى جميع ما يحتاج إليه هو وأسرته من طعام . وكان له سيارة وأثاث وجهاز للراديو ، وآخر لغسل الملابس ، ولكن لم يك فى الحقيقة يملك منها شيئاً ، بل كان يدفع ثمنها أقساطاً . وكان جو لا يعيش على أجره فى الشهر الذى هو فيه ، بل على ما لم يكسبه بعد . وكثيراً ما كان يستيقظ فى الليل يتصبب العرق البارد من جسمه ، خشية ما قد يحدث لأسرته إذا حرم عمله .

وفى ذات يوم وقع ما كان يخشاه ، ولم يكن من السهل اكتشاف السبب ، فلعل السوق اكتظت بما يؤجر جو لصنعه ، أو لعلّ الكثير من المصنوعات يباع تقسيطاً لمن لم يستطع توفية الأقساط ، فاستغنى عن جو . وليس الاستغناء عن رجل أو مئة أو ألف مما يفضى إلى ضائقة ، بل من المحتمل أنه لم يكن ليفضى إلى ذلك لو كان لجو براون ، كما كان لبوسكويه ، بيته الخاص وأرضه .

فإن جو لم يكن لديه ، حين استغنىَ عنه ، إيجار بيته للشهر التالى ، وقد ردت السيارة وجهاز الراديو إلى صاحبيهما . وسرعان ما اضطر جو ، حزيناً محسوراً ، إلى التماس غوث الحكومة .

قد تقول إن حالة جو حالة استثنائية لا شأن لها ، ولكنك تخطىء مرة أخرى إذا أنت قلت ذلك ، فإن لجو منزلة عالية فى اقتصاد الولايات المتحدة ، فمن أمثاله خلق كثير . وتأخذ الأشياء التى يردها جو ، وأضرابه من العمال ، أو التى لا يشترونها ، تزحم السوق وتسد منافذه فتوصد مصانع أخرى ابوابها ، ويأخذ عدد العمال العاطلين

يتزايد بسرعة مخيفة يمهد كل منهم للانهيار الأخير . وسرعان ما يغمر طوفان الضائقة موظفي المكاتب ثم البائع الذي اشترى منه جو وزملاؤه أجهزة الراديو .

وسرعان ما يجد كثير من الزراع أنهم لا يستطيعون بيع أغنامهم ، إذ لا يملك أحد مالا لشرائها . وحالة الزراع من الوجهة الاقتصادية ليست على الغالب خيراً من حالة الذين عجزوا عن شراء أغنامه ، فإنه كان يعيش مثلهم سنة مقدماً على مال مقترض . وبذلك يصير الهبوط اليسير في السوق « تراخياً » ثم « انهياراً » يستحيل في النهاية إلى « ضائقة مستحكمة » من النوع الذي كاد يودي بهذه الأمة .

ولم يكن الخطأ كله خطأ جو براون ، فإن قلة تبصره في العواقب كان في الأكثر خطأ هؤلاء الذين شددوا عليه الضغط لشراء ما لم يكن يستطيع دفع ثمنه ، مسترشدين بالمبدأ القائل : « إن رخاءك يزداد وفقاً لازدياد ما تنفقه » . والواقع أنه لم يكن في الولايات المتحدة رخاء حقيقي طوال نصف القرن الماضي ، ولم يكن هناك سوى رواج وهمي وضائقات جائحة . وهذا التقلب بين اليسر والعسر يودي حتى ببلد غني كأمريكا .

ولن تبلغ دولة دمقراطية من الأمان مرتبة أعلى من مرتبة الأمان التي ينعم به أفرادها . فإذا لم يكن هنالك أمان اقتصادي للفرد ، لم يكن ثمت رخاء حقيقي للأمة . فقوانين الاقتصاد كقوانين الرياضة ثابتة لا تتغير ، وليس هناك سبيل البتة للظفر بشيء من لا شيء . وإن الاقتصاديين الذين يحثون على الأخذ بطريقة الشراء بالأقساط يجارون في خطأهم وخطرهم اقتصاديي الحكومة الذين يجهدون في أن ينشئوا نظاماً اقتصاديا للانفاق العام لا يمكن أن ينتهي إلا إلى غاية واحدة هي : أن يعول ثلث السكان الثلثين الآخرين . وقد حدث ذلك في روما فلحقها البوار .

تلقيت آخر كتاب من بوسكويه قبل أن يجتاح الألمان فرنسا جميعها ، وكان لا يزال يعيش في بيته الصغير ، ويعمل في المصنع ، وكان لديه ما يحتاج إليه من غذاء ، وقد كان له أمنه وطمأنينته ، ولم يعبأ النازيون بحديقته الصغيرة لأن ما يتمتع به من ضمان العيش كان أمراً تافهاً في نظرهم . بيد أننا إذا ضاعفنا ذلك ملايين المرات ، كان ما يتمتع به بوسكويه من طمأنينة وأمان أمراً ليس بالتافه . وسيظل بوسكويه حيث هو حين ينسحب الألمان من بلاده ، وهو على ما عهدناه من أمنه وطمأنينته ، وسيكون على أهبة للعمل مع مواطنيه على إعادة بناء بلاده ، لا أن يعيش على إعانة الحكومة للمتعطلين .



اليزابث فاولر

ملخصة عن مجلة "اللانتيك الشهرية"

انفصلنا عن القافلة ذات ليلة بعد مغادرة « سيرا ليونى » بأيام قلائل ، وكنت قد أحضرت معى على ظهر الباخرة أشغال الحبك ، فمضيت أواصلها فى الظلام . وكان الجو بالرغم من طراوته مثقلا بسحابة من الكآبة والجمود ، ولم يكن ثم من صوت سوى دقات الآلات الرتيبة ، وحفيف المياه التى نشق طريقنا فى وسطها فى رفق وهدوء ، بغير أن نراها .

وكانت عيناى تلقيان النظر الرفيق على أطباق الظلام الدامس ، حين شق الظلام وميض يبهر العين ، فكشف عن كل ما هنالك فى وضوح مروع . ودوى صوت الانفجار فى أذنى إذ انبطحت على ظهر الباخرة .

وقطع صوت القبطان أفكارى الشاردة وهو يصيح : « إنها هى ! »

ثم : « غادروا السفينة ! »

وتلمست طريقى إلى قمرتى ، والأنوار مطفأة ، وتناولت حزام النجاة المخصص لى من مكانه فوق قبضة الباب ، ثم مددت يدى لأتناول حقيبتى التى كانت ملأى بالحوائج الضرورية المعدة بدقة ، فعثرت عليها وإلى جانبها معطف الفرو مطوياً فى عناية . وسار كل شىء على نظام دقيق كالساعة : الخروج من الباب ، الانعطاف إلى الشمال ، السير حول الكوة ، التوجه إلى اليمين ، عشر خطوات بعد الكوة ، أربع عشرة درجة فوق السلم إلى زورق النجاة الأول ... غير أنه لم يكن ثم زورق ، بل ثغرة كبيرة فاغرة من الفراغ .

وأخذت تبرز من خلال البخار ودخان الطربيد الحاد الرائحة أشباح سود .

وصاح أحدهم : هل من ضوء مع أحدكم؟

فصحت وأنا أنبش باضطراب فى حقيبتى باحثة عن مصباحى الكهربائى :

نعم !

وقال أحدهم والمصباح يخطف من يدى:

شاطرة !

ثم صاحوا : « هيا ، تعالوا ! »

ومضينا نحث الخطى نحو الباب الأيسر ، ورأينا من خلال القضبان زورقاً واحداً تحتنا على مسافة بعيدة ، وكان قد امتلأ فعلا بوجوه ناظرة إلى أعلى .

هيا اهبطى !

هكذا دوى الأمر فى أذنى . وانتزعت منى حقيبتى وطوّح بها إلى الزورق ، وحشئت نفسى إلى جانب السفينة متلمسة طريقى على شبكة النزول .

فلما هبطنا الزورق قطع أحد الضباط جميع الحبال ، وأخذنا نتجه رويداً رويداً إلى عرض البحر المتلاطم الأمواج .

وصاح أحدهم :

إن هنالك رجلا ...

وتبين من ضوء ملق على السفينة أن على حاجزها الحديدى شخصاً .

وصاح أحدهم :

إنه القبطان .

وقفز القبطان من مكانه ، وسرعان ما وصل إلى جانبى ، مبللا لامعاً رشيق الحركة . وقال وهو يلهث : « ما كنت أظن أننى أستطيع الوصول » .

ثم جاء الطربيد الثانى ، فانشقت السفينة شطرين ، وارتفع مقدمها ومؤخرها وتقاربا لحظة — كأنهما راقصان يؤديان رقصة صعبة — ثم غرقا معاً . وهدر الماء مرغياً مزبداً ، وشبت النار فى الزيت على سطح البحر .

وراح القبطان فى مؤخرة السفينة يستعرضنا ويحصينا ، فكنا نعلن أسماءنا على حين يتولى الضباط الإحصاء . وكنا خمسة وثلاثين مخلوقاً بشريا مكتظين فى قارب طوله ٢٦ قدماً ، كأنما حشرنا حشراً فى قطار من قطارات النفق . . . . أربعة وثلاثون رجلا وأنا !

وقرر القبطان أن نقف بالزورق حيث نحن ، سواد الليل وننتظر . ففعلنا ، وراح الزورق يتأرجح بنا كالجوزة الفارغة . وقد أصيب اثنان وثلاثون منا بدوار البحر وقاومته أنا طويلا ، ولكنى استسلمت آخر الأمر وتملكنى الدوار والقئ طيلة الليل .

كنت أرتدى ثوباً من الكتان ، كما كنت حافية القدمين . ولم يكن لدى مايقينى شدة البرد سوى سترة قرمزية قصيرة كنت قد فرغت أخيراً من حبكها . وتذكرت فى حنين شديد معطفى الذى تركته على ظهر الباخرة ، بينما كنت أجذب كمى التصيرين لتغطية ذراعى .

كنت قد قرأت فى بعض ما طالعت أن الشيطان نفسه هو الذى وضع تصميم زوارق النجاة ، وقد تبينت فى تلك الليلة مبلغ ما فى تلك الكلمة من الصدق . كانت المقاعد عالية لا نملك معها إلا أن ندلى أقدامنا ، وكانت سعة الزورق — على ضيقه — كافية لتمنعنا من تثبيت أقدامنا على الجانب الآخر حتى ولو انفسح المجال لذلك . وقد عانت أعصاب نخذى آلاماً مبرحة من

آثار الجهد الذى بذلته للتشبث بالحافة الضيقة التى كنت أجلس عليها .

ولم يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، حتى تبينا مبلغ ما صرنا إليه من قذارة ، فقد تلوثنا جميعاً بزيت النخيل الذى كانت تحمله السفينة . وكان لونه الأصفر المخضر كريها كرائحته .

وفى خلال تلك الساعات القليلة الأولى من النهار كاد كل منا يستحى أن ينظر إلى الآخر ، فجلسنا — ننتظر ، على حين أخذ القارب يتأرجح فى عرض البحر تأرجحاً يورث الدوار ، ويتوثب من وقت إلى آخر كالكلب الهائج المربوط فى سلسلة . وراح الرجال يتذمرون : « ماذا ، وحق جهنم ، نحن منتظرون ! » .

وبعد أن ارتفعت الشمس فوق الأفق نادانى أحد الرجال من مؤخرة الزورق وقد أمسك برداء أعرفه جيداً مصنوع من قماش ذى مربعات زرق وبيض ، وقال : أى مسز فاولر ، هل نستطيع استعمال هذا ؟

وكان هذا أحد « فساتينى » وقد سقط فى الزورق بمعجزة حين طوح بحقيبتى من الباخرة .

فأجبته : طبعاً !

وتساءلت عجباً ماذا عسى أن يريدوا منه ، ثم تبينت أن الطاهى الزنجى كان تحت « الدش » حين حدث الانفجار ، ولم يشغل نفسه عندئذ بالبحث عن ملابسه .

وسرت موجة من الضحك الخافت عندما استطاع الطاهى أن يرتدى « فستانى » وكان طويلا فارعاً ، قوى البنية ، وكان منظر ذراعيه الضخمتين البارزتين من خلال الكمين القصيرين الرقيقين ، وعنقه الغليظة فى وسط « الياقة » المكشوفة الواسعة — منظراً عجيباً مثيراً للضحك والسخرية .

وأصدر القبطان أخيراً أوامره بنشر الشراع ، فملأته الريح ، ومضى الزورق يشق الماء .

وكان كل منا يُعطى فى الساعة العاشرة صباحاً وفى الخامسة من مساء كل يوم قطعة صغيرة من « الشوكولاته » لا تزيد على ثلاثة أرباع البوصة المربعة ، وقطعتين من « البسكويت » ، ومعهما شىء أثمن وأعز من هذا كله ، وهو نصيبنا من الماء ، ومقداره أوقيتان توزعان علينا بمكيال .

وكنت ، رغم تلهفى على نصيبى من الماء ، أجد من العسير على نفسى أن أشرب من ذلك القدح الخزفى القذر ، المشوه الملوث ، وكانت خيبة أملى كبيرة حين ذقت طعم الماء الآسن الفاتر . وقد حاولت أن أتجاهل

ما يطفو على سطحه من الشعر الأسود وقطع الزغب القاتمة .

وقد ترفقت بنـا الطبيعة فى ناحيـة واحـدة — إذ وقفت إحدى الوظائف الطبيعية وقوفاً يكاد يكون مطلقاً . وتناقل الجميع حكمة خلاصتها أن جرعة من المـاء الملح يمكن أن تؤدى عمل الشربة فى أى وقت . فعمد بعض الخـائفين إلى التجربة وأدرك النتيجة المطلوبة ، ولـكن معظمنا قنع بالانتظار ، بل إننـا تعلمنا كيف نحتمل عنـاء الاحتباس الذى كان يمزق أجسادنا تمزيقاً .

ولـكن عملية التبول ظلت على حالهـا . ولم يكد الدلو يظهر أول مرة حتى ضغطت على أسـنانى ونهيت نفسى عن السخف ، بيـد أن صوت ذلك الدلو يستعمله أربع وثلاثون رجلا كل منهم فى دوره ، كان شيئاً يكاد يتجاوز حد ما أحتمل .

أترانى مضطرة إلى اسـتعمال ذلك الدلو أنا أيضاً !

مستحيل . هذا أمر لا يكون ولا يجوز . وهكذا انصرفت عن الفـكرة وعن الرغبة جميعاً . ومرت على هذا النحو ساعات .

وما زلت كذلك حتى بلغت الحاجة حدا يهون إزاءه كل شيء . فلما انقضت المحنـة قلت لنفسى : إن الأمر لم يكن على قدر ما توهمت من الحرج . ولـكن الصراع ظل يتجدد فى كل مرة حتى خيل إلىّ أننى مت مئة مرة من الخجل والتعاسة .

وبعد أربعة أيام أو نحوها لاحت فى الجو طائرة ، فأمر القبطان بعـلم الإشارة أن يرفع على « الصارى » ، وكان علماً كبيراً مختارا من اللون الأصفر الفاقع الذى تبين أنه يفوق سائر الألوان ظهوراً للعين فوق سـطح المـاء ، ولـكنه كان علماً بالياً ، لا يزيد على بضع شرائط مهلهلة يعبث بها الهواء .

ورنت العيون فى حسرة إلى الطائرة وهى ترحل رويداً ثم تختفى عن الأنظار .

وبدرت بوادر المشاغبة فى مقدم الزورق وأخذت المشاحنات تظهر كالبثور القبيحة . وكان الازدحام يحـول دون التنفيس عن ثورة الشعور ، كما أننا كنا على مسافة من مقعد القبطان عند المؤخرة ، فلم يكن ثم مجال لـكثير من النظام ، إن كان قد بقى شيء منه .

وبدأت أدرك أن دبيباً من الغـيرة قد دب من أجلى ، وكان هذا من الحماقة بمكان فها أنذا بينهم — ملطخة بالزيت ، ذات شعر أشعث ، يتـدلى فوق عينى كحشائش البحر المبللة .

تحسست شعرى فوجدته خشناً من أثر الزيت وماء البحر ، وحاولت جهـدى أن أنسى كيف أعجب به أحد الناس أول ليـلة

خرجنا فيها معا . وكانت أظافرى مغطاة بطبقة كثيفة من الزيت الأسود تكتنفها من تحتها ومن حولها ، وكانت قدماى فى مثل هذه الحالة التعسة ، وإن كانتا أنظف قليلا بسبب انغماسهما فى الماء الراكد فى قاع الزورق ، وكانتا إلى ذلك قد تورمتا بعض التورّم .

ولكن أحد الرجال قبلنى فى الليلة السابقة ، وكان مجرد التفكير فى ذلك يثير نى حنقاً ، بيد أنى لم أستطع أن أصنع أو أقول شيئاً ، فقد منعنى من ذلك تخوف من إثارة شغب جديد .

وتواترت الأيام إلى غير نهاية ظاهرة ، وكنا أحياناً نستغرق فى شبه غيبوبة من شدة الفتور والظمأ ، ثم نوقظ أنفسنا من حين إلى آخر لنرقب ما يجرى فى الزورق من علائم الحياة ، أو لنتناول نصيبنا من الغذاء . حتى إذا كانت الساعات الأولى من إحدى الأمسيات ، شاهدنا فى غير اكتراث إصبعاً باهتاً من النور يعبر الأفق ثم يختفى عن البصر فى انتظام لم نفطن إلى ما وراءه .

ومع ذلك لم نستطع أن نتحول بأعيننا عنه ، ولم يجرؤ أحد منا أن يذكر معنى ذلك الصعود والهبوط بغير اختلاف . حتى إذا جن الليل تجسم الإصبع عموداً واضحاً ذهبياً راح يقطع علينا حبل التراخى والفتور . دَعه وشأنه . أجل ، إننا نراه ولكننا بخير . دعونا وشأننا . إننا على ما يرام . وماذا يهمنا إن كانت هذه منارة ، إننا نصدق ذلك . ثم ماذا ؟

ولما أسفر الصبح رأينا على امتداد الأفق خطاً فى حجم قلم الرصاص ، وكانت هذه قطعة من الأرض — بربادوس . على أن نصيبنا من الماء عند الساعة العاشرة كان أجلّ فى نظرنا من جميع الآمال البعيدة .

وجرّر النهار أذياله فى بطء وتثاقل . ولكنى أخذت أنظر إلى الأرض بشىء من العناية ، لقد بدأت الأكواخ والجدران والأشجار تبدو الآن للعيان ، وأخذنا نرى الموج يتكسر أمامنا على أرض الشاطىء .

وهبت علينا مع المغيب ريح عاصفة ، فاحتشدنا لنحتملها تحت جنح الليل ، ونسينا عندئذ تباشير الوصول إلى اليابسة .

وسمعنا مع الفجر هديراً مكتوماً عن بعد ، ثم أخذ يعلو حتى أصبح يصم الآذان . وأقبل علينا أحد الزوارق ، فأحسست بالغثيان لفرط تأثرى ، فأغمضت عينى . فبعد عشر ليال لم أسمع فيها صوتاً سوى الريح والأمواج ، كان لهذا الصوت الجديد سلطانه المؤثر الغلاب .

فلما فتحت عينى لم أجد سوى هدير قوى منبعث من أعماق زورق الطربيد المحاذى

لنـا ، الشرف من علٍ علينا ، ومدافعه الرشاشة مسدّدة نحونا .

وأقبل يحيينا ضابط من البحرية البريطانية وردي اللون ، ذو سترة بيضاء تبهر العين ، ثم صاح الصائح :

المرأة أولا . . .

لم أجد فى نفسى دافعاً للحركة ، فقد كان بقائى جالسة فى مكانى أسهل كثيراً ، ولكنهم كانوا ينتظرون . وتحركت فى حذر كأنى من زجاج ، وهبطت من مقعدى إلى قاع الزورق ، وجررت نفسى جـرا إلى مكان الصعود إلى قارب الطربيد ، ووقفت . كان يبـدو لى أن ركبتى قد انفصلتا عن سائر جسمى ، وأن عقبىَّ من هلام ، وقدمىَّ ليستا منى . ووقفت أتأمل طول السلم المصنـوع من الحبال — ست درجات .

واستحثنى أحدهم صائحاً فى أذنى بصبـر نافد : هيا ! .

كان صعود ذلك السلم أسهل على فرس البحر منـه علىّ ، ثم مد أحدهم ذراعه من أعلى الزورق الكبير قائلا :

أتستطيعين ؟ .

فأجبت بكل ما أوتيت من ثبات :

أجل . إننى على ما يرام .

ولم أكن قد لاحظت قبـل ذلك مبلغ ما أصاب صـوتى من خشـونة وغلظ ، وخرجت الكلمات كنقيق الضـفدع قياساً إلى صوته الرقيق . فلما بلغنا أخيراً غرفة السفينة سألنى الضابط :

ما رأيك فى شىء من الشاى وسيجارة ؟ عدّى نفسك فى بيتك تماماً .

ثم ذهب وبقيت وحدى .

وحدى ! جلست على حافة السرير ، وقد تجمـدت على جسمى الأوساخ ، وأمسكت جيداً بطرفيه . وكان فى ركن من الغرفة حوض للغسيل ، فوقعت عيناى وأنا لا أكاد أصدق على الصنبورين اللذين يحملان كلمتى « ساخن » و « بارد » ، وكأنما عجزت عن تصور دلالة هاتين الكلمتين .

ورفعت يدى إلى خدى ، فوجدته قد جف . ونهضت لأنظر فى المرآة ، وكنت أتوقع أن أجد نفسى كالبرقوقة اليابسة ، فلم يخطئنى الظن كثيراً . كانت عيناى غائرتين فى محجريهما ، وقد حملق فىّ بياضهما الذى كان وحده الشىء النظيف فى جسمى .

وبعد فترة وجيزة أنزلنا إلى الشاطىء ، وقالت لى سيدة :

سأحضر لك شراباً ساخناً .

حاولت أن أذكر كيف يكون طعم الساخن فلم أستطع ، فاستعضت من ذلك بالتشبث بحافة الرصيف الطافى الذى كان يهتز اهتزازاً عنيفاً . وكنت أحس بالبرد ،

فكان محور وجودى ومستقبلى يدور حول التفكير فى حمام ساخن !

وأخرجت سيدة أخرى علبة «بودرة» ، فضحكت وأنا أذكر أى قناع يضفيه لونه الرقيق على بشرتى . وقدمت لى إصبع «الأحمر» ، فهززت رأسى معتذرة ، فقد كانت شفتاى مشققتين متورمتين .

كذبت السيدة فى عطف ورقة :

إن منظرك يبدو على ما يرام .

ولما نقلت أخيراً إلى بيت سيدة تدعى مسز هربرت كان الحمام جماع أحلامى — بما فيه من أدوات لامعة مغرية ، وحوضه الأخضر المملوء إلى قرابة حافته ، ومائه الفائض بسيل فيوحى صوته بالوفرة والكثرة . وقد عاونتنى مسز هربرت وأنا أدخل أمنية قلبى !

ولكن الماء كان بارداً كالثلج — فتراجعت بقدمى كالهرة الملسوعة ، ولفتنى مسز هربرت فى منشفة وانصرفت . وبقيت أنتظر على على حافة الحوض ، وعادت هى بأسرع مما كنت أؤمل ، ومعها قدر من الماء ، ومن ورائها خادم باسمة من أهل الجزيرة تحمل إبريقاً ينبعث منه البخار ، وأفرغتا ماءها فى الحوض البارد قبل أن أستوقفهما . ولم أكن بعد ذلك فى حاجة إلى أن ألمس الماء حتى أدرك أنه دافئ .

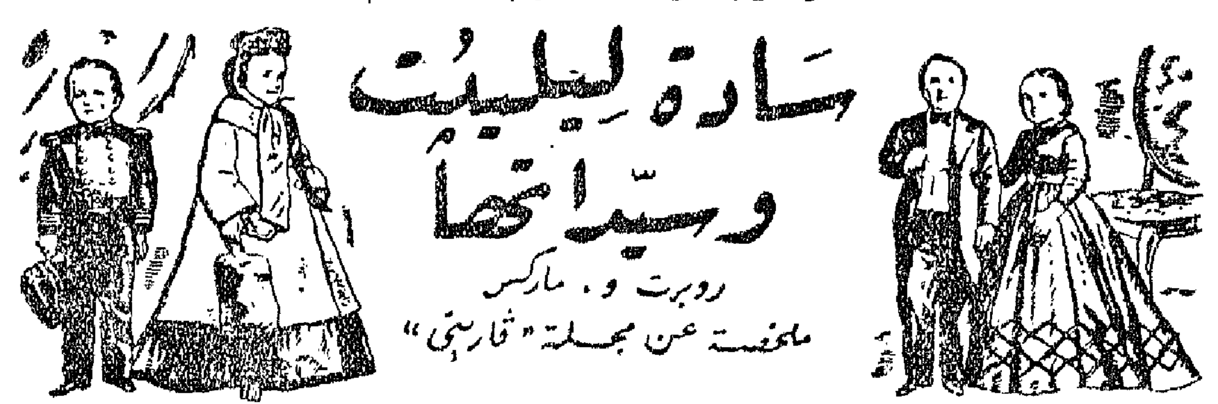
وقلت فى نفسى وأنا أستسلم لأفكارى :

إن الحياة فى الزورق لم تبلغ مبلغاً عظيما من المشقة والتعقيد . فلما نزلت إلى الحوض وجدت الحمام دون أمانىّ ، ولكننا بدأنا حينئذ نمزح بشأنه ، وذهب ما بى من جمود بفضل حرارة الاهتمام الذى أبدته صديقتاى الجديدتان . فلم يعد الحمام عندى غاية الغايات ومنتهى الآمال .

ولكى أعوض ما فاتنى أخذت ثلاثة حمامات متوالية ، وأصررت كذلك على أن أغسل شعرى . وكان ماء الحمام الثانى كدراً أسود كماء الأول ، وبدأت بعد الحمام الثالث أحس أننى بلغت حداً ما من النظافة . على أن التعب قد أخذ منى مأخذه فعدت لا أطلب فى النظافة مرتبة الكمال .

فلما تأهبت أخيراً لمغادرة الحمام قالت مسز هربرت فى عطف ورقة : «بعد هذه الحمامات كلها يجب أن تتمددى بعض الوقت» .

وأحسست بالدوار لفرط سرورى ، وهما تتقدمانى فى الممر إلى غرفة مظلمة بها فراش وثير يفتح ذراعيه مرحباً أحسن ترحيب ، وتسللت شاكرة بين الأغطية ، وغطست بين الأعماق المتموجة من حولى . وكان يخيل إلىّ أن النوم على الأرض أسلم وأدعى للاطمئنان ، ولكنى استطعت أن أتشبث جيداً بحافة الفراش ، مستعينة بتلك الصفات التى كسبناها خلال الأيام العشرة الخالية .



سادة ليليبُت وسيداتها

روبرت و. ماركس

ملخصة عن مجلة "ڤارايتي"

پول دل ريو ، وعمره ٢٤ سنة ، شخص كامل التكوين ولكنه يبدو كأنما ننظر إليه بمنظار من الناحية التي تصغر بدلا من الناحية التي تكبر . وذلك أن دل ريو قزم ضئيل الجسم جدا لا يزيد طوله على ٢٣ بوصة ، ولا يتجاوز وزنه عشرين رطلا. وهو يمثل ظاهرة بيولوجية تحدث مرة فى كل مليون ولادة . وفى أوربا وأمريكا اليوم نحو ٢٠٠٠ من هؤلاء القوم ، وكثير منهم يبلغ كسبه نحو ١٠٠ دولار أو ١٥٠ دولاراً فى الأسبوع من العمل فى الملاهى .

والأقزام يغضبون ممن يخلط بينهم وبين القماء . فإن القزم مستوى الخلق متناسب الأعضاء ، أما القمىء فإن رأسه وجذعه فى الحجم الطبيعى ، ولكن أطرافه قصيرة جدا.

« ليليبت » اسم بلاد يسكنها قوم صغار الأجسام ، لفقه الكاتب جوناثان سويفت لكتابه « رحلات جليفر » . وفى العربية ألفاظ كثيرة لوصف صغار الأجسام ، فاستعمل القزم للقصير السوى الخلق والقمىء للصغير المشوه الخلق .

ويقال إن ضآلة جرم القزم ترجع إلى خلل فى الغدة النخامية . وليس هناك فرق بينه وبين أى طفل آخر حين الولادة .

وكثيراً ما يخطىء الناس فيحسبون القزم طفلا ، وهذا يسبب له غير قليل من الضيق . وقد روت الكاتبة المعروفة إلزا مكسويل أنها كانت ذات مرة راكبة فى عربة بولمان ، وأخطأت إذ قدمت إلى قزم قطعة من الحلوى ، وقرصته فى خده مداعبة ، فأفهمها حانقاً محتداً أنه يشتغل فى صناعة الطائرات . فقالت له إلزا : « وماذا تفعل ؟ »

فوقف الرجل الصغير بطوله الكامل البالغ ثلاث أقدام وقال : « إن صناعتى اللحامة ، وفى وسعى أن أتسلق إلى مواضع فى قاذفة القنابل ، لايستطيع الضخام أن يصلوا إليها . وليس هذا من عبث الأطفال ياسيدتى ! » .

وحدث مرة أن فتاة حسناء كانت راكبة فى سيارة ركاب مزدحمة . فرأت بالقرب منها أحد هؤلاء ، واقفاً بين المقاعد ، وكان كلما مالت السيارة طوحت به ذات اليمين وذات

الشمال ، فأجلسته على ركبتيها كما تفعل الأم الحنون ، وأخذت تداعب خديه . فلم تلبث أن صرخت مرعوبة حين أخــذ الرجل الصغير المقدام يرد على مداعبتها بمثلها .

وتكره جماعة الأقزام أن تعامل معاملة خاصة ، وتود دائماً أن ترقص مع الكبار ، وأن تأكل بالأدوات وفى الأطباق التى يستخدمها الناس . وكثير منهم يسوقون سياراتهم بأنفسهم بعد أن تضاف إلى المقعد وسادة خاصة ، وتمد أدوات ضغط الفرامل والبنزين وتغيير السرعة . وهم فى العادة يتخذون أسرّة وفرشاً كاملة الحجم ، ولكنهم ربما أطلعوا بعض الفضوليين على أثاث ضئيل الحجم قد اقتنوه لهذا الغرض خاصة . وفى بنسلفانيا امرأة فرنسية من الأقزام أرادت أن تزيد دخلها فأخذت تعرض على الزوار أثاثاً صغير الحجم ، جعلته فى جانب من منزلها ، على حين كانت تعيش هى وزوجها السوى الخلق فى ناحية أخرى من المنزل ، حيث الأثاث من الحجم العادى .

والحياة الغرامية لهؤلاء القوم ، ليست بالحياة الهادئة ، فإنهم يصادفون ما يصادفه جميع الناس من صلات الحب وخيبة الآمال وآلام الغيرة ، إلى جانب الصعوبات الناشئة عن زواجهم بأشخاص كبار الخلق ، كما يحدث فى كثير من الأحيان ، فإن ٤٠ ٪ منهم يتزوجون بأشخاص كبار .

وثمار هذا الزواج أطفال ينمون نمواً طبيعيا فى أكثر الأحيان ، كباراً أسوياء الخلق ، ولا يعرف أن قزمة ولدت قزماً ! والحمل عند هؤلاء الأمهات لا يخلو من الخطر ، وكثيراً ما تقتضى إجراء العملية القيصرية . ومع ذلك فإن مسز يوديث سكنر — وهى قزمة أمريكية لا يزيد طولها على ثلاث أقدام — قد ولدت ١٤ طفلا .

وجماعة الأقزام تأكل وتشرب مثل سائر الناس أو أكثر ، والأكلة العادية فى الفندق لا تشبعهم . وهم يفرطون فى الشراب ، وبعض الأطباء يعزو هذا إلى أن درجة التمثيل الغذائى فى أجسامهم عالية جدا . وإليها يرجع الفضل فما يمتازون به من المناعة ضد الأمراض . وقد لوحظ أيضاً أنهم جميعاً لا يصابون — لسبب ما — بالصلع .

وأكثرهم يزداد طوله بضع بوصات بعد الثلاثين . وقد يستمر نمو بعضهم حتى يخرج تماماً من عالم الأقزام ، وطولهم فى تقدير أصحاب الملاهى يجب أن لا يتجاوز أربع أقدام وخمس بوصات . وهناك مثل شاذ عجيب وهو «إدى ويالموث» فقد كان وهو فى الثامنة عشرة من عمره نجماً لامعاً فى فريق من اللاعبين . وبعد أن أصيب بمرض شديد أخذ جسمه ينمو . وهو اليوم ، وسنه ٢٨ سنة ، يزيد

طوله على ست أقدام .

وكثيراً ما يمتاز القزم بمواهب أخرى ، خلاف الظهور فى المسارح . فقد نبغ منهم أندريا ريتوشوف فى رسم المناظر الطبيعية . وكتب ويلى رول عدة مؤلفات علمية فضلا عن نبوغه فى « السحر » . وكارل فلوريان وهو من فينا ، قد برع فى العزف على السكمان وإدارة الأركسترا . وميكائيل ديفز ، رئيس المشرفين على منشآت الوقاية الجوية بلندن ، وطوله لا يزيد على متر واحد ، خبير فى البصريات .

وأحب قزم إلى القلوب هو من غير شك تشارلز شروود ستراتون ، الذى أطلق عليه اسم « توم ثم » للتصغير ، وكان أبوه أمريكيا من المتطرفين فى التدين ، فعد مولد هذا الغلام دليلا على غضب الله . فأبقى الطفل المسكين محبوساً فى المنزل حتى أنقذه ب.ت. بارنوم ، وهو من أكبر أصحاب المعارض والمسارح . وقد رزق توم من الفكاهة والجاذبية ما مكنه من أسر القلوب فى أنحاء العالم . وكان يسر الملكة فكتوريا أن تتحدث إليه وهو جالس على كرسى صغير عند قدميها .

واشتهرت من هذه الطائفة جماعة تدعى باسم « أقزام سنجر » ، وكان السبب فى إنشائها ، جهود أب حنون أراد أن يدخل السرور على قلب ابنته المريضة . فقد أصيبت ابنة البارون ليوبولد فون سنجر ، من كبار أغنياء النمسا ، بشلل الأطفال فكان الوالد يروح عنها وهى طريحة الفراش بأن يطالع لها كتاب « رحلات جليفر » . فقالت له مرة : « إن خير ما أشتهيه هو أن أرى شخصاً من طراز أهل ليليبت » .

فلم يلبث البارون أن استأجر قزمين ، وكلفهما أن يتجولا فى حدائق القصر . وكانت زوجته البارونة ممثلة قبل زواجها . فأخذت تدربهما على التمثيل . وكذلك تمكن البارون من أن يجمع أول فرقة تمثيلية فى التاريخ ، جميع أعضائها من الأقزام . ولم يلبث الأب والأم والبنت أن وجدوا أنفسهم يتولون إدارة عمل مسرحى عالمى الشهرة .

كان البارون يحب « صغاره » حبا صادقاً . فخصص لهم مرتبات سخية ، وتولى حمايتهم ضد عالم يسوده ضخام الأجسام . وأنشأ فى فينا مستعمرة للأقزام ، ذات حوانيت ودار للبريد ، ومجلس محلى ، وشرطة أفرادها من الأقزام . وحين شبت الحرب العالمية الأولى انتقلت الجماعة إلى لندن ، ومنها إلى الولايات المتحدة حيث مثلت فى كل ولاية . والأقزام فى أنحاء العالم يعترفون بالجميل للبارون سنجر ، الذى استطاع أن يقدمهم إلى الناس على أنهم أشخاص كرام ذوو مواهب ، بدلا من أن يعرضهم فى الملاعب والمعارض كأنهم كائنات شاذة مشوهة .

العسكريون الأمريكيون هم واضعو الخطة التي استخدمها اليابانيون في هجومهم الغادر .



خفايا قصة بيرل هاربور

ادوين مولر

جرى هجوم اليابانيين على قاعدة « بيرل هاربور » — كما يعلم الجميع — على خطة رسمت بتفصيل ودهاء عظيمين، ولكن قلما يعلم أحد خارج بحرية الولايات المتحدة أن تلك الخطة لم توضع في طوكيو بل في وشنطون عاصمة الولايات المتحدة نفسها، وأن الذين وضعوها هم أعضاء مجلس الخطط الحربية لبحرية الولايات المتحدة

ترجع القصة إلى شهر يناير من عام ١٩٣٢ حين احتشد في مياه المحيط الهادئ نحو مئتى سفينة حربية أمريكية — ولعله أكبر حشد بحرى جرى في المحيط الهادى حتى ذلك العهد — للقيام بمناورات غرضها امتحان منشآت الدفاع عن بيرل هاربور ، وكان الأسطول قد قسم قسمين — أحدهما للهجوم والآخر للدفاع بمعونة الحامية البرية.

وأحدث القسم المهاجم من الأسطول يومئذ انقلاباً عظيماً في خطط الحروب البحرية، فإن سفينتين من حاملات الطائرات « ساراتوجا » و « لكسنجتون » خلفتا وراءهما رفيقاتهما من البوارج والطرادات ، وانطلقتا تشقان شرق المحيط الهادى تحرسهما أربع مدمرات . وكان الأميرال « يارنل » نفسه على ظهر حاملة الطائرات ساراتوجا (بدلا من أن يكون على ظهر بارجة) يقود فصيلة جديدة من القوة البحرية تؤلف وتندب للقيام بمهمة خاصة . وكان الأميرال مشهوراً بأنه من الذين يؤمنون بقوة الطيران، وكثيراً ما طار بأسراب من الطائرات التابعة لقيادته — وهو أمر لم يكن مألوفاً في بحرية الولايات المتحدة في ذلك العهد ، فهو الآن يحاول تطبيق خطة الهجوم بطائرات مستندة إلى سفن ، على هدف كان يعرفه تمام المعرفة .

وكانت حصون بيرل هاربور قد أقيمت في الأصل لمواجهة هجوم من البحر ، وعهد يومئذ في الدفاع عن تلك الحصون إلى أسطول وقف يحمى المنافذ الموصلة إلى الجزائر ، وفصيلة من الغواصات في الميناء ،

وفرقة من الجنود على البر، وحشد كبير من المدافع الساحلية يسهل نقلها وتحويلها من جهة إلى جهة بقطرات وطرق أحكم إعدادها لذلك، وأقيم للميناء نظام من الدفاع الجوى يشمل مدافع مضادة للطائرات، ومئة طائرة من مقاتلات وقاذفات.

ووقع ما كان الأميرال يارنل يتمناه، إذ غامت السماء وتلبد الجو وهو على مسافة أربع وعشرين ساعة من جزيرة «أواهو»، مما جعل انكشاف أسطوله لأسطول الدفاع أمراً أقل احتمالا. وفى الواقع إن أسطولا مؤلفاً من حاملتى طائرات وأربع مدمرات هو أسطول صغير جدا تصعب رؤيته، ولا سيما إذا كان المدافعون يتوقعون هجوم أسطول عظيم. وفعلا لم ير أحد أسطول يارنل.

وفى فجر يوم السبت ٦ فبراير وصل أسطول الأميرال يارنل بعد جدّ السير إلى جزيرة أواهو، وكان ظن الأميرال أن الحماة سيكونون أقل تنبهاً فى صباح يوم الأحد مما يكونون عادة.

فلما أرخى الظلام سدوله انسل أسطوله مطفأ الأنوار، ممتنعاً عن إرسال الإشارات اللاسلكية، وتقدم بسرعة فى أمطار منهملة وسحب منخفضة ورياح تهب، وهى خير حالة جوية للاستتار عن أنظار المستكشفين. ولكن هل تستطيع الطائرات أن تطير؟ فالمدمرات كانت تغطس فى الماء حتى حواجزها، وحاملات الطائرات تمور موراً شديداً.

استبق الأميرال يارنل طائراته إلى ما قبل الفجر بنصف ساعة، وكان حينئذ على ستين ميلا من جزيرة أواهو، ثم انطلقت مئة واثنتان وخمسون طائرة فى الظلام الحالك، فكان انطلاقها من السفينتين المائرتين كأنه معجزة.

وقد وقع الهجوم الجوى الأول على بيرل هاربور من الشمال الشرقى، كما وقع الهجوم اليابانى الفتاك تماماً بعد ذلك بتسع سنوات. ففى أثناء معظم الشتاء تهب الرياح التجارية من الشمال الشرقى مثقلة بالماء، وتصطدم بسلسلة جبال «كولاو» التى يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم، فتسكب ماءها على سفوحها. وهذه الحالة تؤاتى الهجوم خير مؤاتاة، إذ تستطيع الطائرات أن تدنو محتجبة بالسحب الماطرة المتلبدة، ثم تبرز فجأة فى الجو الصافى فوق بيرل هاربور قبل أن تتمكن الطائرات المدافعة من التحليق فى الجو لمقابلتها.

وهذا ما وقع فى صباح يوم الأحد ٧ فبراير سنة ١٩٣٢، حين انطلقت المقاتلات وقاذفات القنابل والمنقضات وقاذفات الطربيد من سطح السفينتين ساراتوجا ولكسنجتون، ثم برزت من أطباق السحب فألفت أعظم قاعدة بحرية فى العالم منبسطة تحتها عاجزة

عن الدفاع . وكان لكل سرب من الطائرات مهمته . فالمقاتلات أمطرت الطائرات الجاثمة على الأرض وابلا من مدافع سريعة وهمية ، ولم تستطع طائرة من طائرات الدفاع أن تحلق فى الجو أثناء الهجوم ، أما الأسراب الأخرى فقد ألقت قنابلها على المنشآت الحربية أو أغرقت جميع السفن التى كانت فى الميناء .

أحرز المهاجمون سيادة جوية تامة . ولو كانت جميع سفن الأسطول فى ذلك الميناء ، وكانت طائرات الأميرال يارنل تحمل قنابل حقيقية ، لأغرقت أو أعطبت كل سفينة هنالك

ولا حاجة إلى القول إن بعض القوّاد الذين بحثوا نتائج الغارة لم يعلق شأناً كبيراً عليها ، بحجة أن نجاحها إنما يعود إلى عامل المفاجأة على الأكثر . نعم إن حماة بيرل هاربور كانوا فى يوم الأحد الذى وقعت فيه الغارة أقل يقظة من المعتاد — كما كان متوقعاً — ولكن من المحتمل أنهم لو كانوا أشد يقظة ، لما استطاعوا مقاومة الهجوم مقاومة فعالة .

وأراد بعض كبار القواد البحريين يومئذ أن يذهب شوطاً بعيداً فى إعادة النظر فى جميع الأسس والمبادئ التى يقوم عليها الأسطول ، فاقترحوا اقتراحاً يقلب الأوضاع القائمة ، مؤداه أن الأسطول لا يجب أن يجعل جلّ اعتماده على البوارج تؤيدها القوة الجوية ، بل يجب أن يجعل جلّ اعتماده على القوة الجوية ، وأن تعد البوارج وغيرها من السفن التى تمخر سطح الماء عماداً ثانويا له . ومن دواعى الأسف أن هذا الاقتراح لم يؤبه له.

لم يؤبه له فى وشنطن ! على أن الاجتماع الذى عقد فى بيرل هاربور للمناقشة لم يكن الاجتماع الوحيد الخاص بتلك المناورات ، فالدوائر البحرية الأمريكية تعلم الآن أن اجتماعاً آخر عقد فى طوكيو بعيد ذلك .

فلما شنت الغارة الوهمية على بيرل هاربور كانت هيئة الجاسوسية اليابانية المحكمة فى أواهو قد أوفدت مراقبين إلى جميع المواقع العالية فى الجزيرة ، وأعدت عذراً مقبولا لوجود كل منهم فى المكان الذى أوفد إليه . فكان فريق منهم يراقب الغارة فى غابة كثيفة مجاورة للميناء ، وكان فريق آخر فى زوارق صيد صغيرة على كثب من الساحل ، وكان فى « هنولولو » جواسيس يتسقطون الأخبار والأحاديث حيثما يجتمع رجال البحرية الأمريكية .

وبعد أن درست طوكيو المعلومات التى جمعتها دراسة دقيقة ، جعلتها أساس سلسلة من « المناورات » السرية . وقد ثبت الآن أن الخبراء البحريين اليابانيين — كبعض قواد الأسطول الأمريكى — انتهوا إلى هذه النتيجة : **إن** أهم سلاح للأسطول فى هذا

العصر هو القوة الجوية ، وإن جلّ اعتماد الأسطول يجب أن يكون على سلاح الطيران أكثر منه على السفن التى تمخر سطح الماء . فأعيد تنظيم الأسطول اليابانى على أساس الدروس التى أبى قواد البوارج الأمريكية أن يستفيدوا منها . ثم إن اليابانيين أدركوا أنهم ظفروا بخطة بارعة عملية لتعطيل الجزء الأكبر من أسطول الولايات المتحدة . وقد نفذوا هذه الخطة فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١

وفى ٨ ديسمبر قرأ الضباط الأمريكيون الذين حلقوا بالطائرات فى مناورات سنة ١٩٣٢ عن ظهر السفينتين ساراتوجا ولكسنجتون ، تفاصيل الغارة اليابانية على بيرل هاربور وفى نفوسهم حسرة ومرارة . إن اليابانيين فعلوا تماماً ما فعلوه هم قبل ذلك بتسع سنوات .

كانت مهمة اليابانيين فى ٧ ديسمبر من بعض نواحيها أشق من المهمة التى قامت بها المغيرات الأمريكيات فى أثناء «المناورات» ، فقد كان الدفاع أقوى من الوجهة النظرية ، والأجهزة الخاصة بتبين الطائرات المغيرة قبل وصولها ، قد ارتقت ارتقاء عظيما . ولكن ظهور الطائرات اليابانية كان مفاجأة عظيمة حين برزت من وراء السحب فوق جبال كولاو ، لأن الحماة كانوا غير يقظين . على أن مهمة اليابانيين كانت أسهل من نواح أخرى ، فقد كانت الطائرات الأمريكية محشودة فى المطارات فسهل قذفها ، وكانت جميع بوارج الأسطول تقريباً فى الميناء .

أما عدد الطائرات الذى استعمله اليابانيون فكان قريباً من عدد طائرات الأميرال يارنل ، وكانت خسارتهم معادلة تقريباً لخسارته (الوهمية) ، وكانت عاقبة غاراتهم مشابهة لعاقبة غارته .

إن مأساة « بيرل هاربور » قد قضت على جميع الخطط القديمة ، فقد اتفق أن جميع البوارج الأمريكية الكبرى كانت فى ميناء بيرل هاربور فى ٧ ديسمبر ، على حين لم يكن معها سفينة ما من حاملات الطائرات ، فقضت الضرورة بأن تحل حاملات الطائرات ، محل البوارج وأصبح أسطول « الحاملات » السلاح البحرى الأساسى . وقد شرع الأمريكيون فى استعمال هذا السلاح ، فى الحال ، بمهارة أعظم من مهارة اليابانيين — فى معارك بحر المرجان ومدواى ووادى الكنار ورابول وجزائر مرشال وتروك .

ويقال إن حاملات الطائرات اليابانية الأربع التى أغرقت على كثب من جزيرة مدواى ، هى الحاملات التى أغارت طائراتها على بيرل هاربور .

[هــذه إحدى القصص العظيمة فى الأدب الأمريكى ، كتبها ذلك العبقرى الشاذ الذى اشــترك بامتياز فى الحرب الأهلية الأمريكية بين ولايات الشمال وولايات الجنوب ، ثم اختفى فى المــكسيك وهو فى الحــادية والسبعين من عمره ، حيث يعتقــد أنه قتل فى حرب العصابات التى قامت فى سنة ١٩١٣ — ١٩١٤] .

حــادثة عند جســر "أوّل كريك"

ملخصة عن قصة بقــلم

امبرور بيرس

وقف رجل على جسر السكة الحديدية فى ولاية ألاباما (إحدى الولايات الأمريكية الجنوبيــة) يطل على ماء النهر السريع الذى يجرى تحته على مسافة عشرين قدماً . وكانت يداه موثقتين ، وعلى عنقه حبل يطوقه ، وتحت قدميه عوارض من الخشب مفككة ، يقف عليها ، وحوله جنــديان وشاويش من جيش الولايات الشمالية لتنفيذ حكم الإعدام فيه . وعلى مسافة قصيرة من هؤلاء يوزباشى وقف ساكناً يراقب عمل مرءوسيه . ووقف على كل من طرفى الجسر حارس .

ولم يكن ثم أحــد يُرى فيما وراء أحد الحارسين . وكان الخط الحديدى يجرى مستقيما إلى غابة هناك ، مسافة مئتى ياردة ، ثم يتقوس ويغيب عن النظر ، أما شاطئ النهر الآخر فكان أرضاً مكشوفة — ربوة هينة منقادة حولها سور فيه ثقوب للبنادق ، وكوة واحدة تبرز منها فوهة مدفع . وعلى منتصف المنحدر بين الجسر والحصن وقف النظارة — سرية واحدة من المشاة فى وقفة راحة . ولم يكن أحد يتحرك فيما خلا الأربعة الذين كانوا عند منتصف الجسر .

وكان الرجل الذى سيشنق يبــدو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وهو مدنى إذا اعتــبرنا زيه الريفى ، وكانت معارف وجهه حسنة ، ولعينه نظرة رقيقة لا يتوقعها المرء من رجل لف على عنقه الحبــل . وكان من الجلى أن هذا الرجل ليس بالقاتل السوقى ، فإن القانون العسكرى الواســع ينص على إعــدام صنوف كثيرة من الناس ولا يستثنى السادة .

ولما تمت المعدات ، تنحى الجنديان عن موضعيهما ، وجر كل منهما العارضة التى كان واقفاً عليها ، والتفت الشاويش إلى اليوزباشى وحياه ثم وقف خلفه مباشرة ، فخطا هذا

خطوة ، فصار الشاويش والمحكوم عليه واقفين على طرفى عارضة واحـدة . ومتى أومأ اليوزباشى ، تنحى الشاويش عن العارضة ، فمال طرفها الآخر وسقط المحكوم عليه بين وثاقين . وقد صوب عينه هنيهة إلى « موضع قدمه القلق » ثم أرسل عينه إلى التيار المتدفق تحته .

وأغمض عينيه ليكون آخر ما يفكر فيه زوجته وبنيه ، ثم فتحهما فرأى الماء الجارى مرة أخرى ، وخطر له « أن لو استطعت أن أفك يدى فقد يتيسر أن أخرج عنقى من الحبل وألقى بنفسى فى الماء . وأغطس فاتقى الرصاص ، وأبلغ الشاطئ ثم أرجع إلى بيتى » . وبينما كانت هذه الخواطر تخطف كالبرق برأسه ، هز الضابط رأسه للشاويش فارتد عن العارضة .

* * *

كان بيتون فاركوهار مزارعاً حسن الحال من أسرة قديمة فى ألاباما، وكان مخلصاً لقضية الولايات الجنوبية ، وحالت الأحوال بينه وبين الانتظام فى سلك الجيش ، فحز فى نفسه ما أقعده وسلبه مجد المشاركة . ولم يستنكف من عمل ما ، يؤديه ويساعد به ولايات الجنوب ، ولم يتهيب مغامرة مهما بلغ من خطرها فى هذه السبيل ، واتفق ذات مساء أن كان قاعـدا مع زوجته على دكة قرب مدخل داره ، فأقبل جندى من أهل الجنوب وطلب شربة ماء . وبينما كانت الزوجة تجيئه بها سأله فاركوهار بلهفة عن أخبار الجبهة .

فقال الرجل : «إن العدو يصلح الطرق ويستعد لزحف جـديد . وقد بلغ جسر « أول كريك » وأقام حصناً على الشاطئ الشرقى. وأصدر القائد أمراً بإعدام أى مدنى يقبض عليه وهو يعبث بالخط الحديدى » .

فسأله فاركوهار : « ما المسافة إلى جسر أول كريك ؟ » .

« نحو ثلاثين ميلا » .

« أليس هناك قوة على هذا الجانب من الجسر ؟ » .

« مركز حراسة ليس إلا ، على مسافة نصف ميل ، على الخط الحديدى ، وحارس واحد على طرف الجسر » .

فسأله فاركوهار مبتسما : « هب رجلا استطاع أن يتغفل القوة ، ويتغلب مثلا على الحارس فماذا يستطيع أن يصنع ؟ »

ففكر الجندى ثم قال : « لقد كنت هناك قبل شهر ، فلاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قذف بمقدار من الأخشاب العائمة على العمود الخشبى عند هذا الطرف من الجسر . وهو الآن جاف ، ومن السهل اشتعال النار فيه » .

وشكر السيدة ، وانحنى لزوجها ، وركب ومضى . وبعد ساعة من دخول الليل عاد فمر بالضيعة مرة أخرى متجهاً إلى الشمال الذى كان قد جاء منه ، فما كان إلا جاسوساً للشمال .

* * *

وسقط بيتون فاركوهار من الفجوة التى فى الجسر ، ففقد وعيه . ونبهه — بعد أجيال فيما كان يشعر — ألم ضغط حاد على عنقه ، مصحوب بإحساس بالاختناق . وسرت آلام حادة من عنقه إلى أنسجة بدنه وأعضائه كلها ، ولم يكن يستطيع أكثر من أن يحس ، وكان الإحساس عذاباً . وكان فى مثل سحابة منيرة هو فيها قلبها المتقد ، ولا معين له ، وكان يهتز كأنه رقاص ضخم ، وإذا بالضوء الذى حوله ينطلق فجأة إلى فوق ، وتلت ذلك غطسة عالية الصوت ، ودوى مخيف فى أذنيه ، وصار كل شىء بارداً مظلماً . فعادت إليه القدرة على التفكير ، وأدرك أن الحبل قطع وأنه سقط فى الماء ، ليموت مشنوقاً فى قاع النهر — وبدا له هذا سخيفاً . فأبصر فوقه نوراً يخفت شيئاً فشيئاً ، ثم عاد يسطع فعرف أنه يرتفع إلى سطح الماء — عرف ذلك وهو كاره له فقد كان يشعر بارتياح ، وخطر له « ليس بالسىء جداً أن يشنق المرء ويغرق ، ولكنى لا أريد أن أضرب بالرصاص . كلا ! لن أضرب بالرصاص ، فليس هذا من العدل فى شىء » .

ولم يشعر بأنه يبذل جهداً ما ، ولكن ألماً حاداً فى رسغه أشعره أنه يحاول أن يفك يديه ، فجعل باله إلى هذه المحاولة ، ولكن على نحو ما يراقب المتسكع عمل المشعوذ ، دون أن تعنيه النتيجة . وانفك الحبل ، وخلص ذراعاه وافترقتا ، وامتدتا تسبحان إلى فوق ، فجعل يراقبهما باهتمام جديد وهما تعملان واحدة بعد واحدة فى الحبل المشدود على عنقه ، فحلتاه ، وألقتا به بعنف ، وأحس برأسه يصعد فوق الماء ، وأزاغ بصره نور الشمس ، وتمددت رئتاه بعنف كأنهما متشنجتان ، ودخل فيهما هواء كثير كان لدخوله ألم شديد ، فسرعان ما طرده وهو يصرخ .

وكان قد طفا على الماء ووجهه إلى فوق ، فما لبثت الدنيا أن بدت كأنها تدور ببطء ، وكأنما هو مركز الدوران ، ورأى الجسر والحصن ، ومعدميه ، ومن ورائهم السماء الزرقاء ، وكانوا يصيحون ويشيرون . وأخرج اليوزباشى مسدسه ولكنه لم يطلقه ، وكانت حركاتهم غريبة فظيعة ، وأجسامهم مهولة .

وسمع فجأة صوتاً حاداً ، وأصاب الماء شىء بقوة على مسافة أشبار من رأسه ، فأثار

رشاشاً من الماء على وجهــه ، وسمع طلقة أخرى ورأى سحابة رقيقة من الدخان الأزرق تخرج من بندقية أحـد الحراس ، وقلبته موجة مرتدة على جنبه ، فصار ينظر مرة أخرى إلى الغـابة على الشاطئ المواجه للحصن . ورن فى أذنيه صوت عال واضح يصيح : « التفـاتا ! ارفعوا الســلاح ! استعدوا ! . . اطلقوا ! »

فغطس فاركوهار — غطس إلى أعمق ما يستطيع ، وطن الماء فى أذنيــه ، ومع ذلك سمع صــوت الطلقات الخافت ، وطفا مرة أخرى ، فأخذت عينه قطعاً لامعة من المعدن تصوب ببطء إلى تحت . وأدرك وهو يشهق ليتنفس أن التيار قد بعد به ، فصار أكثر أمناً . وراح يسبح بقوة مع التيار ، وكان ذهنــه نشيطاً كذراعيه ورجليــه ، وصار يفكر بمثل سرعة البرق .

وحدث نفسه : « إن الضابط لن يقع فى هذه الغلطة السخيفة مرة أخرى ، فإن اتقاء جملة طلقات مصوبة إلى نقطة معينـة سهل كاتقاء طلقة واحدة . ولعله أمر رجاله بأن يطلقوا النار على هواهم . والله المعين ، فما أستطيع أن أتقيهم جميعاً » .

ووقع فى الماء شئ مروّع على مســافة يردتين منه تلاه صوت منـدفع عال كأنما يرتد فى الهواء إلى الحصن ، ثم كان انفجار حرك النهر إلى أعماقه ، وارتفعت موجة من الماء فوقه وهوت عليــه ، وخنقته ! لقـد اشـترك المدفع فى مطاردته . ولما تخلص وهز رأسه سمع الطلقة المنحرفة وهى تعصف بالأغصان فى الغابة .

وقال لنفسه : « لن يكرروا هــذا . وسيستعملون فى المرة التاليــة عنقوداً من القذائف ، فلأجعل عينى على المدفع ، فإن الدخان سينبئنى ، أما الطلقات فتصــل بعد ذلك » .

وإذا به فجأة يشعر أنه يدور ويدور ، ويلف حول نفسه حتى أصابه دوار ، وجشأت نفســـه . واختلطت وغمضت الأشـجار والشاطئان ، والماء ، والجسر الذى صار بعيداً فقد صادف دوامة ، وما هى إلا لحظات حتى قذف به على حصى الشاطئ الغربى وراء نتوء حجبه عن أعدائه . فأعاد إليه الرشد السكون المفاجئ وتسلخ إحـدى يديه من حكهما للحجارة ، فبكى من الفرح ، وغرز أصابعه فى الرمل وجرف منه ، وألقى حفنات منه على بدنه ، وشكر الله على ذلك .

ونبهته أصوات طلقات بين الأغصان فوقه فنهض ، وصعد فى الشاطئ المنحدر ودخل فى الغابة .

وظل يمشى طول ذلك اليــوم ، وكان يهتدى فى طريقــه بالشمس ، وكانت الغابة

كأنما لا آخر لها ، ولم يعثر فى أى مكان منها على طريق للحطابين ، فخطر له أنه لم يكن يدرى أنه يعيش فى منطقة موحشة منقطعة كهذه . واستغرب هذا الذى تبينه وعرفه .

وأدركه التعب مع الليل ، وحفى قدماه ، وجاع . ولكن رغبته فى لقاء زوجته وبنيه قَـوَّته واستحثت همته ، وأخيراً وجد طريقاً أفضى به إلى ما عرف أنه الاتجاه القويم ، وكان واسعاً مستقيماً كأنه شارع فى مدينة ، ولكنه على ما بدا له ، كان غير مطروق . فليس ثم حقول على جانبيه ، أو مساكن فى أى مكان ، ولا كانت هناك حتى ولا نبحة كلب توحى بأن هنا أناساً يقيمون ، وكانت الأشجار الحالكة كالسور القائم على الجانبين ، وكانت النجوم الذهبية الرائعة خفاقة اللمعان فوق رأسه ، وقد تألفت منها مجموعات غريبة ، وكان على يقين من أن لترتيبها دلالة خفية سيئة . وكانت الغابة على الجانبين ملأى بأصوات عجيبة سمع منها — مرة ، مرتين وثالثة — همسات بلغة مجهولة .

وكانت رقبته تؤلمه ، فرفع يده إليها فألفاها وارمة جدا ، وكان لسانه وارماً أيضاً من الظمأ ، فكان يلطف حرارته بأن يخرجه من بين أسنانه فى الهواء البارد ، وما كان أرق بساط العشب فى هذا الطريق غير المطروق ! فما عاد يشعر بالأرض تحت قدميه .

ولا شك أنه على الرغم من أوجاعه قد أدركه النوم وهو يمشى . فقد بدا لعينه الآن منظر آخر . ذلك أنه واقف أمام بيته . وكان كل شىء على ما تركه ، وكل ما تأخذه العين جميل وضاء فى نور الصبح . ورأى وهو يقطع الممشى الواسع الأبيض ثوب امرأة ، وانحدرت زوجته إليه من الشرفة لملاقاته ، وكانت صبيحة جميلة ، ووقفت تنتظر وعلى ثغرها ابتسامة فرح ، وفى وقفتها رشاقة لا نظير لها ، وجلال نادر ، فقفز إليها وذراعاه ممدودتان ، وإنه ليهم بأن يضمها إذ شعر بضربة مدوخة فى قفاه واندلع ضوء ساطع أبيض يعمى الأبصار ، حوله ، وسمع صوتاً كطلقة مدفع — ثم أظلمت الدنيا وساد السكون .

* * *

كان بيتون فاركوهار ميتاً . وجسمه الذى كسرت رقبته ، يتأرجح من ناحية إلى ناحية تحت أخشاب جسر أول كريك .

"إمرأة تأسر القلب"

ملخصة عن صحيفة "بلطيمور صندى صن"

دوروثى والورث



بدأت هذه القصة فى بلدة كورنوول بولاية نيويورك منذ خمسين عاماً ، ولم تنته بعد . وقد سرد علىّ شيوخ المدينة أمرها حين زرتها فى الشتاء الماضى ، فألفيتهم إذا طافت بهم ذكرى تلك المرأة هزّتهم لواعج الإعجاب بها ، ووصفوها بأنها « امرأة تأسر القلب » .

« أما هو ف . . . » .

وقد حدث فى سبتمبر ما ، حين بدأ العام الدراسى أن طلبة مدرسة كورنوول الثانوية وتلاميذ الفصل الثامن ، وعددهم جميعاً ٧٠ تلميذاً . جلسوا فى حجرة لا تتسع لأكثر من عشرين يرتقبون معلمة جديدة من أعالى الولاية هى « فرانسيس إيرين هنجرفورد» امرأة لم تتخط أعتاب الثلاثين من سنى الحياة .

وكان ستيف بيجوت أحد طلبة المدرسة الثانوية فتى فى السابعة عشرة من العمر ، فارع القد ضامره ، مجداً فى دروسه ، غير أن والده لم يكن يرى فى المدرسة نفعاً ترتجى ، وكان كثيراً ما يحاوره : « إنك يابنى بلغت مبلغاً من العمر يُمكنك من وضع حد لهذه الحماقة » . وكان بات بيجوت والد الفتى مهاجراً إيرلندياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب .

كان أتراب الفتى بأسرهم ظرفاء فى صلاتهم به ، غير أنه كان يحس فى قرارة نفسه باختلاف عظيم بينه وبينهم . وكانت تلك السنة هى السنة الثانية له فى المدرسة العليا ، فكان يخالها سنته الأخيرة بها . وكان لداته إذا ما تحدثوا عن أحلامهم وما يتطلعون إليه لزم ستيف الصمت ولم يقل شيئاً .

وكانت مس هنجرفورد قصيرة تكاد ، إذا بسط ستيف ذراعه ، تقف تحت الذراع الممدودة ، ولكنها كانت ممشوقة القوام كالرمح

رفعت مس هنجرفورد تلاميذها على أجنحة من حبها ، فثمة مثلا السر ستيف بيجوت . . .

اعتدالا ، ذات عينين زرقاوين عميقتين، إذا تفرست فيهما أدركت أن أحداث الحياة كلها لن تستطيع أن تلين قناتها أو تهز كيانها. وكان صوتها خفيضاً ، وابتسامتها مضيئة .

كان أول ما خطته أناملها على السبورة هذه الجملة: «أرأيت رجلا مثابراً في عمله؟ إنه ليقف بين يدى الملوك » . فتكتم الطلبة ضحكا ساخراً لتلك الجملة ، فلم يدخل في روع أحد من سكان كورنوول أن يدنو يوماً ما من باب ملك .

ولم يمض أسبوع حتى كانت المدرسة الثانوية كلها طوع بنانها ، فإذا ما تعابث فتى من الفتيان ردّته ابتسامتها المشرقة إلى صوابه .

وكان تلاميذ الفصل الثامن وطلبة المدرسة الثانوية يجتمعون كل صباح للانشاد ، وكان ستيف عذب الصوت رخيمه وكانت مس هنجرفورد لا تقصر عنه عذوبة ورخامة ، فغدا إنشاد المدرسة كل صباح نغماً غالباً يردده الاثنان ، وهزجاً خافتاً يهزجه الآخرون .

فإذا ما انتهى الاجتماع بدأت الدراسة ، ولم تكن المقاعد كافية للطلاب، فكانت مس هنجرفورد تتخلى عن مقعدها لأحدهم وتظل طيلة يومها واقفة على قدميها . وكانت تدرّس كل شيء ، فمن دروس الفرنسية والألمانية والجبر إلى دروس التاريخ والإنجليزية .

وكانت تشعر تلاميذها كأنها تتعلم معهم ، فكانت تسائل أحدهم قائلة : « ألا تحدثني عن معركة بحيرة إرى ؟ إني لتواقة إلى معرفتها » .

وأنشأت مس هنجرفورد ناديين أدبيين : أحدهما نادى هوثورن الروائى، والثانى نادى هويتيير الشاعر ، فأتاحت للفتيان والفتيات فرصة الحديث عن الكتب والكتّاب، فإذا انتهوا أدارت عليهم مشروباً مثلجاً ، وكانت خلال فترات الاستجمام تحدثهم عن «قواعد السلوك» ، فتسأل ستيف بيجوت: « هبك دعيت إلى عشاء رسمى فكيف تحيى مضيفتك ؟ »

وكان الناس إذا رأوها تروح وتغدو بين مسكنها والمدرسة في زيها البسيط متأبطة دوماً كتباً عديدة تهامسوا قائلين : « إنها لمن طراز اللاتى أوقفن حياتهن للعمل »

وكانت منتظمة التردد على الكنيسة ، ولكنها لم تقل في حياتها كلمة واحدة عن الدين ، إلا تلك الجملة التى خطتها أناملها على السبورة في أول عهدها بالمدرسة ، فكانت كأنها تحيى في معانيه .

أخذ الناس العجب العجاب من مس هنجرفورد فلا يدرون سر أمرها الذى ألهبت به نشاط تلاميذها ، فقد جعلتهم يؤمنون بأنهم يعيشون في عالم جميل توشك

المعجزات أن تحل به فى طلعة كل صباح ، وأنهم مجدودون سعداء لحظتهم العناية بقدر من الذكاء غير يسير . فكان أهل المدينة يقولون : « إننا لم نظن خيراً بأنفسنا من قبل » . وتخرج على يديها فيمن تخرج شباب أصبحوا فما بعد فى الطليعة من رجال البلد ونسائها النابهين والنابهات .

كانت مس هنجرفورد تعنى بكل طالب وطالبة ، ولكنها بذلت أقصى عنايتها للفتى ستيف،فواصل دراسته فى المدرسة الثانوية . وكانت تحدثه عن منزلة الكتب ومبلغ نفعها ، وأنها أبواب للنجاح فى الحياة، فجعل ستيف يسائل نفسه هل هناك باب له ينفذ منه إلى خضم الحياة . وكانوا فى ربيع سنته النهائية يقرأون كتاب «رؤيا السير لونفال» .

« الرؤيا حلم » ، قالتها مس هنجرفورد لستيف ذات مساء عقب انتهاء الدرس وهو ينفض غبار ممسحة السبورة ، ثم أضافت : « وقصارى حلمى أن أعيش بين تلاميذى الفتيان والفتيات ، وبين كتبى. فما هو حلمك ياستيف ؟ » فقال لها ما لم يقله لأحد من قبل، قال لها : « أريد أن أكون ... أن أكون مهندساً بحرياً » .

وحسبها ستسخر منه ، ولكنها بقيت فى مكانها تنظر إليه بعينيها العميقتين وهما تلمعان وميضاً . ثم أردفت قائلة : « فى حولك أن تكون مهندساً بحرياً ، وكل ما أنت فى حاجة إليه لتحقيق بغيتك هو الإرادة القوية » .

وأخذت بعد ذلك تدخل عليه رويداً رويداً الإيمان بنفسه ، فلما أقنعته أخيراً بأن يحدث والده عن رغبته فى مواصلة دراسته بالجامعة ، حسبه والده مصاباً بمس فى عقله ، ولكن مس هنجرفورد كانت عنيدة، فواصلت سعيها فى إقناع الأب فأفلحت فيما أرادت ، وذهب ستيف إلى جامعة كولومبيا ليدرس الهندسة الميكانيكية .

كان ستيف يكسب نفقته خلال الدراسة بالعمل فى أحد مخازن الترمواى تارة ، وبالإنشاد أخرى فى الكنيسة أيام الآحاد ، فيتقاضى على إنشاده خمسة دولارات ، وزاول غير هذه أعمالا أخرى متباينة ، وكان يعكف على الدرس أنى استطاع . وكان كلما تملكه اليأس وفكر فى أن ينفض يديه من أمر دراسته ، يرحل إلى كورنوول ويلاقى مس هنجرفورد ، فتنفث فيه من روحها وتملأه عزيمة وشجاعة .

جلى ستيف بيجوت على أقرانه ، فانتخب رئيساً لفرقته فى السنة الثالثة بجامعة كولومبيا وعهد إليه فى تحرير مجلة كلية الهندسة والغناء فى نادى الطرب بالجامعة ، وحين تخرج سنة ١٩٠٣ أبرقت مس هنجرفورد

إليـه تقول : « لقد تنبأت لك بذلك » .

ذهب ستيف في سنة ١٩٠٨ إلى أسكتلندة ليساهم في تركيب آلة من صنع كرتيس لشركة جون براون ليمتد ، أكبر شركات بناء السفن ، وهي التي بنت السفينتين العظيمتين « موريتانيا » و « لوزيتانيا » ، وعقد العزم على أن يبقى زهاء أربعة أشهر ولكن الشركة أغرته بالبقاء .

وفي سنة ١٩٣٨ عين مديراً للشركة ، وكان قد وضع التصميمات الهندسية لآلات أكثر من ثلاثمائة سفينة ، بين سفن ركاب وطرادات وغواصات وبوارج ، منها طراد القتال « هود » والبارجة « دوق يورك » والسفينة « كوين ماري » .

وكانت أواصر الصداقة بين ستيف ومس هنجرفورد خلال هذه الثلاثين عاما متصلة ، فكانا يتبادلان الرسائل في كل أسبوع تقريبا .

ورجع ستيف إلى أمريكا في الرحلة الأولى التي قامت بها السفينة البريطانية « كوين ماري » ليقضي بين ذويه أياماً قلائل ، فتأهبت جامعة كولومبيا لتمنحه درجة فخرية ، كما قررت جمعية المهندسين الميكانيكيين الأمريكية منحه وساماً . فلما ذهب إلى مسقط رأسه في كورنوول سارع أهل المدينة بأسرهم إلى لقائه ، وألقى خطاباً في المدرسة الثانوية الجديدة ، وكان السامعون يتوقعون أن يحدثهم عن عمله ، أو عن الأشخاص النابهين الذين التقى بهم في الخارج ، ولكن حديثه كله كان عن مس هنجرفورد فقال فيما قاله :

« إن رجالا قلائل أتاحت لهم العناية صداقة كالصداقة التي أنعمت بها على مس هنجرفورد قرابة نصف قرن . وما هزني زهو في أي عمل من الأعمال التي قمت بها إلا كانت نصائحها الغالية تتجاوب في أعماق قلبي » .

كانت مس هنجرفورد في هذه الفترة تدرس في مدينة بأعالي ولاية نيويورك على كثب من شاطئ بحيرة أونتاريو ، فلما تحدث ستيف في التليفون ليقول إنه مقبل لزيارتها ، قيل له إنها تشكو داء عضالا ، ونصح بأن يكف عن الزيارة ، فركب البحر عائداً إلى إنجلترا دون أن يراها .

وأصبح ستيف يعرف بالسير ستيفن بيجوت ، بعد أن منح لقبه الرفيع في سنة ١٩٣٩ ، أي في ذلك الوقت الذي وضع فيه تصميم الآلات للسفينة البريطانية « كوين إليزابث » .

أما مس هنجرفورد فتبلغ الآن الخامسة والثمانين من العمر ، ولا تزال تسكن في تلك المدينة في أعالي الولاية ، حيث ظلت تواصل

التدريس حتى بلغت الثمانين . ومنذ سنوات قررت المدينـة أن تنشىء مكتبة عامة باسم فرانسيس إيرين هنجر فورد « تقـديراً لخلقها الكريم ، وتفانيها فى واجبها وما تركته من أثر باق » .

هذه هى القصة التى رواها لى الرّاوون فى كورنوول ، وعجبت فى نفسى متسائلا ما السر الذى جعل الناس يذكرونها بالخير والإعجاب طيـلة حياتهم ؟ فانتويت منذ أسابيع أن أذهب لأقضى يوماً معها ، فلما أقبلت عليها أسرعت إلى الباب للترحيب بى فى خفة حركة وخطوات كأنها ريشة طائر ، وكان شعرها أبيض حتى لتخاله الثلج الناصع ، ولكن عينيها بقيتا كعهدها الأول زرقة وعمقاً . ولم أكن لأتصـور — حتى بعد ما رواه عنها أهل كورنوول — صغر جسمها وعظيم مرحها .

ألفيت دارها تماثلها صغراً وبهجة ونظافة ، فدارت بى فى أرجائه كلها مسرعة الخطى ثابتة القدمين ، كأنها فتاة ناهد . فجلسنا فى غرفة مكتبها الزاخرة بالكتب ، واسترسلت تقص علىّ طرف الحديث عن السير ستيفن .

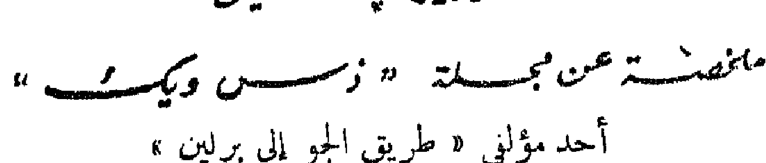
وقدمت إلىّ طائفة كبيرة من قصاصات صحف وصور وبطاقات معايدة بعيد الميلاد ، وهى ترجع جميعاً إلى خمسين عاماً ، مما كان يدور بينها وبينه من رسائل .

حاولت طيلة ذلك اليوم عبثاً أن أحملها على أن تحدثنى شيئاً عن نفسها ، فكانت راغبة فى الحديث عن تلامذتها القدماء فتذكر كلا باسمه . ثم تناولنا الشاى وبعض الطعام ، ودار بنا الحديث مرة أخرى حول السير ستيفن ، فحدثتنى عن وعده بزيارتها حين تضع الحرب أوزارها ، وعما كتبه إليها فى رسالته الأخـيرة : « انتظرينى مس هنجرفورد » .

ثم قالت مس هنجرفورد : « آمل أن يمد فى أجلى حتى أرى ستيفن مرة أخرى » قلت : « لا عليك ، إنك ستخلدين » قالت فى شىء من الحزم : « أعلم ذلك ، ولكن قد تنقطع صلتى بكم أمداً قصيراً » .

ثم جاءت سيارتى فسرنا معاً حتى منعطف الطريق ويدها فوق ذراعى ، وهنالك أخذت تحدثنى لأول مرة عن نفسها فقالت : « أتدرين . إنى أكاد أذوب خجلا من نفسى حينما ألمح هؤلاء المدرسات المدربات على القواعد الحديثة ، فإذا ما قارنت نفسى بهن ألفيتنى لم أكن مدربة تدريباً حسناً » . ثم وقفت هنيهة وشـدت بكفها على ذراعى وقالت : « إن كل ما لدى من عدة هو الحب » .

* * * * * *



أحد مؤلفي « طريق الجو إلى برلين »

كان البحار يبكي ، وهو غلام لم يتجاوز ربيعه السابع عشر ، وقد تقلصت قسمات وجهه وهو يحاول أن يخفي تأثره . وقد وقف مشدوهاً على أفريز الطريق وراح يطوي راحته على رسالة برقية ، في غير ما تنبه إلى ما حوله من خلق يتدافعون .

وعند منعطف الطريق كان جو ويزنفسكي يجلس مسترخياً عند عجلة القيادة في سيارته (التاكسي) مشغولا بمطالعة صحيفة الصباح ، فلما رأى خيال البحار في المرآة العاكسة استدار ، وفتح باب السيارة ، ثم قال :

تاكسي ، أيها البحار ؟

فتردد الغلام قليلا ، ثم أشاح بوجهه واستدار .

وتمتم جو قائلا :

لعل حادثاً ألمّ له . . .

ثم صاح :

هيا أيها البحار ! تعال ! ماذا بك ؟ مريض ؟ .

لا .

إذن ما ذا دهاك ؟ .

كانت هذه الكلمات غليظة ، حتى أوشك الغلام أن يجيب عليها غاضباً ، ولكن نظرة عميقة في عيني سائق السيارة حالت دون ذلك ، فناوله البرقية في صمت وسكون .

وتلا جو عباراتها في عناية : « أمك مريضة في حالة الخطر . هل تستطيع الحضور ؟ » .

ورفع السائق بصره إليه ثم قال :

ماذا تنتظر ؟ ألم تحصل على الاجازة ؟ .

أجل . منحت الاجازة فعلا ، ولكن لا بد من بعض النقود ، وقد نقلت إلى هنا أخيراً ، ولست أعرف من الأهلين أحداً .

فألقى السائق الممرّس على الفتى نظرة فاحصة ثم قال :

إنك تريد نقوداً . أليس كذلك ؟ .

فأجاب البحار وهو يطوي البرقية ويفضها باحتراس :

إنني سأحصل عليها بطبيعة الحال ، فإن المختص في الصليب الأحمر سيبحث الأمر . ولكن ذلك يستغرق بضع ساعات ، وفي خلال ذلك . . . .

فكرر جو عبارته قائلا :

أجل ، فى خلال ذلك . . . . اسمع ، كم أجر القطار إلى بلدك ؟

ستة ريالات إلى لين فى ماساشوستس . .

وأخذ البحار ينصرف .

ولسائق السيارات خبرة وحذر من صنوف المحتالين، وهم لذلك يفرضون فى كل شخص أسوأ الفروض ، ولكن جو ويزنفسكى لم يدع البحار ينصرف ، وخاطبه قائلا :

تعال أيها البحار ، اقفز داخل السيارة ، إن قطاراً متجهاً إلى بوسطن يدخل المحطة الآن ، ولدى سبعة ريالات سأقرضك إياها .

فاجاب الفتى فى لهجة الاعتذار والرفض :

ولكنى لن آخذها . فأنت لا تعرفنى .

دعك من هذا ! ادخل وإلا فاتك القطار !

* * *

وكنت أنتظر سيارة أجرة فى محطة « جراند سنترال » عندما وقف تاكسى ويزنفسكى ، فإذا مراقب شركة السيارات يعنف جو لأنه أركب أحد المسافرين دون أن يدير العداد .

ولم يلتفت جو إليه ، ودس بعض النقود فى يد البحار ودفعه قائلا :

اذهب يا بنى . إن هـذا القطار يغادر المحطة بعد خمس دقائق .

والتفت البحار إلى المفتش قائلا :

اسمع يا سيدى . إنه أراد أن يساعدنى فلم يكن لدى من النقود شىء عندما وصلت هذه (مشيراً إلى البرقية) ، ولهذا ركبت بلا أجر ، ثم أعطانى سبعة ريالات لأدفع منها ثمن التذكرة .

وتلا المفتش البرقية ثم نظر إلى جو نظرة المستريب وهو يسأله :

أصحيح أنك فعلت ما يقول ؟ .

نعم . ثم ماذا ؟ دع الصبى يذهب ليدرك قطاره ، ثم نسوى هذه المسألة فيما بعـد .

وتنهد المفتش ونفخ فى صفارته ثم قال :

تعال أيها البحار ، سأصحبك حتى تجتاز الزحام . . . وأدار بصره نحو جو صائحاً :

إرحل من هنا حالا ، أغرب عن هذا المكان .

* * *

وكنت قد شهدت ختام هـذه القصة ، وقص علىّ جو بدايتها وهو يجتاز بى المدينة . فلما وصلت إلى حيث أريد ناولته ورقة بعشرة ريالات قائلا :

خذ أجرك من هذه واخصم الريالات السبعة التى أقرضتها ذلك الغلام .

فقال : « ماذا جرى ياسيدى الضابط ؟ »

وألقى علىّ نظرة قاسية وهو يناولنى بقية الورقة ذات العشرة بعد أن احتجز منها أجر ركوبى فقط ، ثم قال :

أتراك لا تأمن البحار ، أما أنا فإنى أثق به !



من صميم الحياة

هيو كامل

في سنة ١٩١٩ أقبل طبيبان من الشمال على قرية جنوبية صغيرة ، اعتدت أن أمضي فيها الشتاء . وكان هناك كثيرون من الزوار من أبناء الشمال كالعادة ليلعبوا الجولف أو التنس في الشمس الساطعة وهواء الجبل المنعش . غير أن هذين الطبيبين جاءا ليقضيا أيامهما الأخيرة هنا .

وكان أحدهما ، لما رأيته أول مرة ، يبدو كأنه قد مات وانتهى . واسمه الحقيق مشهور ، فقد كان قرب الذروة في صناعته وهي الطب النفساني، ولكني سأسميه إدوارد بورتر . وكان مصاباً بالتدرن الرئوي .

وكان لما ذهبت إليه قد كف عن نشدان الصحة ، وأخبرتني زوجته أنه يرفض العلاج، وانه لا يكاد يأكل شيئاً ، وأنه لا يدعها تجر سريره وتخرجه ليضحي في الشمس التي تصب حرارتها على الشرفة الأمامية لكوخهما. ووجدته في غرفة صغيرة مظلمة مغلقة النوافذ وقد عقد دخان السجاير فيها سحاباً. وقال لي إنه يرى أن حالته ميئوس منها ، وأنه يتعمد أن يقضي نحبه بسرعة .

ثم اتفق أن ذكرت أني أعرف طبيباً آخر يجود بأنفاسه في كوخ قريب وأنه — ولنسمه لورنس جراي — كان جراحاً شابا مرجوّ المستقبل ، فأصابته عدوى أقعدته بداء النقرس . ولما جيء به إلى الجنوب كان لا يستطيع أن يحرك أكثر من أصابع يده اليسرى .

وما كدت أفضي إليه بخبر جراي هذا حتى زايل وجهه ما كان يبدو عليه من صفرة الموت ، وقال لي إنه ، كطبيب نفساني ، كثيراً ما مرت به حالات من النقرس المستعصي كانت فيها الحالة الذهنية للمريض من الأسباب المضاعفة على الأقل للمرض . وكان أحياناً يستطيع أن يساعد أمثال هؤلاء المرضى .

وضرب مثلا فقال : « إذا آلمك جداً أن تثني ذراعك فإنك خليق أن تؤثر الوضع الذي يعفيك من الألم فتتقي أن تثني رسغك ، وهذا من شأنه أن يساعد على تصلب الرسغ. ثم تدأب على اتقاء الألم فلا تحرك أصابعك فلا تلبث هذه أيضاً أن تصلب . ولكن إذا أوتيت الشجاعة ورحت تحرك كل مفصل لا يؤلمك ، وتحاول أن تستعمل المفاصل التي

تؤلمك حركتها، فإنك على الأقل تجعل التصلب يبطىء بك . وقد عالجت مرضى استطاعوا أن يحركوا مفاصلهم إلى حد لابأس به بعد أن كانوا يظنون أنهم لن يحركوها مرة أخرى، وذلك بأن يوطنوا أنفسهم على احتمال بعض الألم . ولو أن هناك وسيلة ما ، أنتقل بها إلى هذا الرجل جراى ...»

فقلت : «إن ممرضته تستطيع أن تجىء به إلى هنا على كرسيه ذى العجلات . فهل تسمح لى بان أذكر له ما قلت لى ؟ »

فقال بورتر : « إنه لن يقترب منى إذا فعلت . فقد سمع كل ذلك من قبل . بل قل له إن ههنا كسيحاً آخر يقعده المرض ، ويسره أن تتاح له فرصة للتحدث معه » .

فأبلغت جراى هذا . واغتنمت الفرصة فحدثته عن النوافذ المغلقة وسحب الدخان ، وغير ذلك مما يظهر أن بورتر يحاول أن يستعين به على الموت السريع . فكان جراى عظيم الشك فى أن حالة بورتر ميئوس منها ، كما كان بورتر عظيم الشك فى أن حالة جراى تدعو إلى القنوط .

وقال: «قد يكون بورتر مصيباً، ولكنى أراهن على أنه مخطىء ، وليس يسع طبيباً إلاأن يشخص حالته الخاصة ، ولكن المريض يكون تشخيصه لمرضه أميل إلى التشاؤم . وقد رأيت أطباء ييأسون فيموتون، على حين كانوا يستطيعون — لولا أنهم يعرفون كل ما يعرفون عن مرضهم — أن يجاهدوا ويظفروا ويخيل إلىّ أن هذه آفة بورتر . ولو كانت هناك وسيلة ما — » .

وأمسك . وخطر لى فجأة أنى لم أره مرة واحدة من قبل فى أحاديثى الكثيرة معه ، يبتسم ، ولكنه كان يبتسم الآن .

وقال : « سأطلب من ممرضتى أن تدفع الكرسى بى إليه غداً . وهى أضعف من أن يسعها أن تصعد بكرسى فى درجات السلم، فيحسن أن يخرج بورتر إلى الشرفة» وضحك : «وسينسى وهو يفعل ذلك أعراض مرضه لأنه سيكون مشغولا بالتفكير فى أعراض مرضى أنا » .

ولما مررت بسيارتى فى اليوم التالى رأيت بورتر على سرير فوق الشرفة قرب الدرجة العليا ، وجراى فى كرسيه قرب الدرجة السفلى . وكانا لا يزالان حيث رأيتهما بعد أن لعبت الجولف . ولما أتيح لى أن أتحدث مع بورتر مرة أخرى ، قال لى ، وفى وجهه وصوته بعض الحيوية ، إنه كان على صواب فى أمر جراى ، وعرض أن يراهننى على أن يجعل جراى يستغنى عن الكرسى قبل أن أعود إلى الشمال فى الربيع .

وحادثت جراى فرأيته يضحك لأنه استطاع أن يخرج بورتر إلى الهواء الطلق،

وقال إنه سيواصل العمل على إخراجه ، وأخبرني أيضاً أن هناك أملا في شفاء بورتر.

وكان الرجلان يلتقيان كل يوم تقريباً في ذلك الشتاء .

وعدت إلى الجنوب في الخريف ، فألفيت جراي لا يزال كسيحاً ، ولكنه كان يستطيع أن يظلع معتمداً على عصوين . وأخبرني أن بورتر أصيب بنكسة في الصيف ، وأبى أن يعوده طبيب غيره ، أي جراي ، وكان يندر أن يجد رجالا يصعدون به وبكرسيه في السلم حين يزور بورتر ، ولهذا اضطر ، على ما كان يقاسيه ، أن يصعد متكئاً على العصوين. وقال لي إن هذا كان خيراً ، فقد كان بورتر ، مرة أو مرتين ، في أشد الحاجة إلى طبيب يعوده بسرعة .

والتمعت عين جراي وهو يقول : « أعني أنه كان يظن أن به حاجة إلى طبيب ، أما الحقيقة فغير ذلك . وقد كنت مصيباً — فقد كانت أمامه دائماً فرصة لمقاومة المرض . وكل ما كان يحتاج إليه هو أن يبذل هذه المقاومة . وإنه ليفعل الآن . وإنه لمشغول بتطبيق طبه النفساني عليّ ، فليس عنده متسع من الوقت للموت » .

والواقع أن بورتر بدا لي أقل شحوباً لما زرته . وكان على الشرفة يقرأ كتاباً في داء النقرس . وأخبرني أنه تصنع النكسة وتكلف مظاهرها ، ليحمل جراي على السير معتمداً على العصي . قال : « وإذا استطعت أن أبقى حيا شتاء آخر ، فإني أستطيع أن أغني جراي عن الكرسي وأشفيه » .

وقد بقي بورتر حيا ذلك الشتاء — وثمانية عشر شتاء أخرى . ولما أقبل الشتاء الثالث كان جراي قد تماثل وصلح إلى درجة مدهشة ، بل بلغ من إقباله إلى الصحة أنه تزوج ممرضته . ولما ولدت له أول بنيه الأصحاء كان بورتر قد عاد إلى عيادته يشق طريقه إلى المحل الأول بين الأطباء النفسانيين في تلك الرقعة من الجنوب . وكان هو وجراي (الذي لم يبلغ من الصحة مبلغاً يسمح بالعودة إلى الجراحة) يديران معظم أعمال البر المنظم في البلدة . ولما مات بورتر وجراي — وبينهما بضعة شهور — فقدت المدينة اثنين من أحب أبنائها إليها .

وكان كل منهما ، يفخر بأنه أعان الآخر ومكنه من أن يحيي هذه الأعوام التسعة عشر النافعة . وكان كل منهما ، في السر والعلن ، يعترف بالفضل لصاحبه في شفائه . وما منهما من فطن ، حتى ولا بورتر الذي كان ينبغي له أن يفطن إلى ذلك لأنه طبيب نفساني ، إلى أنه بفضل المجهود الذي بذله ونسي فيه نفسه ، ليشفي صاحبه ، قد شفي نفسه فعلا .

مشكلات فى البحث العلمى الصناعى تخلب اللب فتحلها هذه الهيئة لخير أصحاب الأعمال الفقيرة



" فى وسعنا تحسين كل شىء "

فرانسيس سيل ويكوير

ملخصة عن مجلة " سينتفيك أميركان "

منذ حين من الزمن ، كان أحد المديرين لشركة تصنع أقلام الحبر ، يقوم برحلة جوية ، فلم يكد ينزل من الطائرة ، حتى وجد سترته ملطخة بالحبر ، المتسرب من قلم كان يحمله فى جيبه ، وكان قد أعلن أن هذا قلم بالغ حد الكمال . وبديهى أنه لم يكن من الكمال بحيث زعم ، فكيف السبيل لتلافى ذلك النقص ؟

الظاهر أنه لم يكن من الممكن إصلاح هذا العيب ، لأن جميع الأقلام يتسرب منها الحبر فى طبقات الجو العليا ، بسبب انخفاض الضغط الجوى .

ثم خطر له أن أقلام الكتابة تصنع جميعها على وتيرة واحدة قديمة محترمة ، فعسى أن تكون هنالك طريقة أخرى أمثل وأقوم . وقصد من فوره إلى معهد « آرمر » للأبحاث فى شيكاجو ، ذلك المعهد الذى يفخر مديره هارولد فاجتبرج — وهو ابن ٣٨ عاما — فيقول : « إننا نستطيع أن نصنع أى شىء ، وفى وسعنا تحسين أى شىء ، ولنا القدرة — فى حدود المعقول — على اختراع أى شىء » .

تناول هذا المدير وزملاؤه مسألة القلم الذى يتسرب منه الحبر ، وأخذوا يبحثونها من أساسها ، ثم صنعوا قلماً مختلفاً كل الاختلاف عن الأنواع المعروفة ، ويمتاز بأن له خزانين متصلين للحبر ، ففى طبقات الجو السفلى يظل الحبر فى الخزان الرئيسى ، وفى الطبقات العليا يتسرب الحبر — ولكنه يتسرب إلى الخزان الثانى . وهذا التحسين وحده — وهناك تحسينات أخرى عديدة — قد أدى إلى ازدياد ما يباع من هذا القلم ازدياداً عوّض أصحابه فى بضعة أشهر مبلغ ٧٥٠٠ دولار كانوا أنفقوه فى هذه الأبحاث .

فى بحر سبع سنوات نما معهد « آرمر » وارتقى ، من « فكرة طيبة » إلى مؤسسة من أعظم المؤسسات التى من هذا النوع . وكانت « الفكرة الطيبة » التى دعت إلى إنشائه هى الرغبة فى القيام بأبحاث علمية صناعية لفائدة أصحاب المصانع الصغيرة ، ففى الولايات المتحدة ١٠٠ر٠٠٠ شركة صناعية ، منها ٢٠٠٠ شركة فقط لها معاهد للبحث خاصة بها .

وطريقة هذا المعهد في حلّ مشكلة ما، أن يستعين بعقول الباحثين فيه وتجاربهم، وهم مئتان من العلماء المختصين بفنون الصناعة. فإن الكيميائي مثلا، إذا استشير في مسألة هندسية، قد يكون له من الرأى الخاص فيها ما يفضى إلى حل المشكلة، كذلك قد يكون المهندس قادراً على حل معضلة كيميائية. فخطتهم هي العلم المشترك والبحث المشترك.

وتختلف نفقات البحث في معهد «آرمر» من خمسة دولارات (من أجل مشكلة يسيرة) إلى ١٠٠٫٠٠٠ دولار من أجل مشروع كبير يستغرق عدداً من السنين. وكثيراً ما يبلغ ارتياح أصحاب الأعمال إلى الخدمات التي أسداها المعهد إليهم مبلغاً يحملهم على التبرع له بالمال أو بالأجهزة التي يحتاج إليها. وقد تبرعت إحدى شركات سبك الحديد بمبلغ ٣٠٫٠٠٠ دولار من أجل أعمال الترفيه الملحقة بالمعهد، وتبرعت إحدى شركات الفولاذ بمبلغ ٢٠٫٠٠٠ دولار من أجل إنشاء فرن للصهر. وقد بلغت قيمة المنشآت والأدوات المتبرع بها للمؤسسة مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ دولار.

وطائفة كبيرة من معامل البحث في معهد «آرمر» هي في الواقع منشآت صناعية صغيرة، منها مطحن كامل للدقيق، ومصنع للحلوى، وآخر لصناعة الأسمنت، ومصنع مصغر لصنع ألواح الفولاذ، ومعدات كهربية، وآلة لامتحان ضغط الاصطدام، تستطيع أن تولد قوة ضاغطة قدرها ٢٠٠٠ رطل على كل قدم مربعة، وكذلك معامل للتصوير الشمسي كاملة العدة والأجهزة.

وترصى مؤسسة آرمر أن تعالج كل مسألة من المسائل تقريباً: فقد أعد لرجالها حجرة خاصة لتكييف أحوال الجو في أية صورة شاءوا. وفيها امتحنت أجهزة الطيران في طبقات الجو العليا، وكانت الحرارة ٦٧ درجة تحت الصفر، وكانت الريح المفتعلة تهب بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة. وفي تجربة أخرى أمكنهم في وسط فصل الشتاء أن يكيفوا هواء الحجرة ليكون مشابهاً لجو المحيط الأطلسي الجنوبي. وذلك من أجل اختبار خزان بنزين للطائرات. كذلك قام المعهد بأبحاث مبتكرة، لاختبار حالة زيوت التشحيم تحت ضغط إيدروليكي هائل قدره ١٫٥٠٠٫٠٠٠ رطل على كل بوصة مربعة.

وأعظم المبتكرات — وهي تعد بمثابة ثورة في عالم الاختراع — التي أخرجها المعهد إلى اليوم، طريقة جديدة لتسجيل الصوت تسمى التسجيل على السلك *.

* المختار فبراير سنة ١٩٤٤ صفحه ٤٥

وقد بلغ هذا الابتكار حد الإتقان على يدى أحد رجال المعهد واسمه «مارفن كامراس» وسنه ست وعشرون سنة ، وهو من المتخصصين فى علم الطبيعة. وقد أخذ كامراس يتساءل أليست هناك وسيلة أخرى لتسجيل الصوت أفضل من طريقة التدوين على الأسطوانات المعروفة بمفردها ؟ وكان يعلم أن عالماً دانمركياً اسمه « فالدمار بولسن » قد استطاع أن يسجل الصوت بواسطة التأثير المغناطيسى فى سلك غليظ أو شريط معدنى ، ولكن النتائج التى وصل إليها بولسن كانت معيبة . فلتلافى هذه العيوب نصب كامراس قوائم مغناطيسية يمر من بينها سلك دقيق من الفولاذ ، ثم تحوّل الموجات الصوتية إلى ذبذبات كهربائية تخترق لفائف المغنطيس ، فإذا جرى السلك بين المغنطيسين تلقى سلسلة من الذبذبات المغنطيسية ، مطابقة تماماً للتموجات الصوتية الأصلية ، فإذا وصلت القوائم المغنطيسية بمضخات الصوت وأدير السلك بينها مرة أخرى سمع الصوت الأصلى كما كان تماما .

وقد نتج عن هذا البحث اختراع آلة جديدة لتسجيل الصوت ، أصبحت معها جميع أجهزة الجرامофون عتيقة بالية . ومن الممكن بواسطة هذه الآلة أن يسجل الصوت خلال ثمانى ساعات كاملة على بكرة سلك قطرها خمس بوصات وارتفاعها بوصتان .

ولآلة التسجيل على السلك هذه منافع حربية كثيرة . ففى محطات الإنصات إلى الإذاعات اللاسلكية تسجل هذه الآلة ملايين الكلمات مما تذيعه المحطات الأجنبية . وفى ميادين الحرب تسجل الأصوات أثناء المعركة من أولها إلى آخرها . وفى الطائرات التى تحمل ميكروفونات تدوّن الآلة كل مايقال فى مراحل الرحلة جميعاً . وإذا وضع الجهاز داخل صندوق من حجر الفتيلة ، فإنه لا يتحطم بسقوط الطائرة . من أجل هذا يرسل إلى القوات المسلحة كل جهاز حين الفراغ من صنعه .

وهذا الجهاز ، الذى لا يزيد حجمه على حجم مذياع خفيف — سيكون له وقت السلم منافع عظيمة . ففى الوسع أن تسجل به حفلات موسيقية سمفونية بكاملها ، وأوبرات بتمامها ، وجميع ما يجرى فى المؤتمرات ، والمحاكمات الكبرى ، وجلسات المجالس النيابية .

وقد أسدى معهد آرمر إلى عدد وافر من الناس خدمات عديدة بفضل ما أدخله من التحسين على أشياء كثيرة مما يستخدمه الجميع فى كل آونة . فمن المشروعات التى عنيت بها شركة تصنع الآلات الحاسبة ،

مشروع يرمي إلى توفير الراحة والنشاط للمشتغلين في المكاتب والمصالح . فالآلات الحاسبة كثيرة الضوضاء ، والضجة التي تنبعث من مجموعة منها كافية لأن تطغى على الأذهان ، وتجهد الروح والجسد ،وتعطل النشاط . وقد أمكن لمعهد آرمر بإدارة وتوجيه الدكتور ٠١٠ ليدى أن يزيل ٩٤ ٪ من الضوضاء الصادرة عن الآلات الحاسبة ، وذلك بإحداث تعديل كبير في هذه الآلات وصنعها على نمط جديد .

ومن المبتكرات التي تنطوي على فائدة كبيرة في المستقبل لأصحاب المنازل والسيارات، نوع جديد من الوقود نصفه بترول ونصفه فحم ، وقد جاء نتيجة لمحاولة استنباط وجوه يستخدم فيها تراب الفحم ، وهو من نفايات المناجم ومجالب ضررها .

وقد اهتدى المعهد إلى أن مسحوق الفحم الناعم إذا أطلق في بترول من مرتبة واطية ، تألف من المزيج وقود يولد حرارة جيدة . فإذا عدّل جهاز الوقود في السيارة أمكن استخدام هذا المزيج في تسيير السيارات . وليس معنى ذلك أنه سيحل محل البنزين فوراً ، ولكن من الجائز أن يصبح بديلا منه ، إذا اشتدت أزمة بنزين السيارات .

ومن أهم الأمور التي تضطلع بها المؤسسة السجل القومي للمواد الكيميائية النادرة . وقد جاء هذا المشروع نتيجة لحالة طارئة في عام ١٩٤٢ ، إذ كان المعهد في حاجة شديدة إلى إحدى المواد الكيميائية ، فلم تستطع واحدة من الشركات الكيميائية الشهيرة أن تجد المادة المطلوبة . واضطر المعهد أن يبحث شهراً كاملا ، قبل الظفر بما يريد ، فاقتنع رجال المعهد بأن هنالك حاجة ماسة إلى إنشاء مركز قومي لتدبير الكيميائيات النادرة . والمعهد نفسه لا يختزن المواد الكيميائية ، ولكنهُ يحفظ أسماء طائفة منها تبلغ نحو ٦٠٠٠ مادة ، والإرشادات اللازمة للحصول على كل منها. وقد تلقى حتى الآن نحو ٢٥٠٠ طلب — كثير منها من بلاد أجنبية — فاستطاع أن يلبي ٧٥ ٪ منها في فترة لا تتجاوز عادة ، ساعتين اثنتين .

وقد وقفت مؤسسة آرمر جميع جهودها الآن على مقتضيات الحرب . وهنالك عجائب في عالم الصناعة تحجبها الأسرار العسكرية . وعلى ذلك فإن المدير فاجتبرج استطاع أن يكشف الستر قليلا عن بعض مخبآت المستقبل ، وأحد هذه المخبآت أنه سيتاح لنا طهي الطعام بالراديو ، كعمل تجاري مقبول . وقد تمكنت إحدى الشركات من إتقان جهاز يطبخ الطعام بحرارة يولدها

الراديو ، وما على الطالب إلا أن يضع قطعة من النقود فى الثقب ، فلا يلبث أن يتناول طعاماً مطبوخاً بالراديو .

وطريقة آرمر فى اختيار الموظفين هى أنه يفضل المبتدئين المجتهدين ، على الرجال الذين بلغوا الغاية ، فأسفرت عن أن المعهد يضم عصبة من نوابغ الشباب . فمساعد المدير لا يتجاوز ٣٣ عاما ، وهو الدكتور فرانسس جودوين ، الأشقر الشاربين النحيل الجسم ، حتى ليظنه من يراه طالباً فى إحدى الجامعات ، مع أنه اليوم مهندس كيميائى عالمى الشهرة . وهنالك غيره فى المناصب الرئيسية ولا تزيد سنهم على الثلاثين.

ومن عادة المدير فاجتبرج أن يذهب كل عام ، فى الصيف ، لقضاء عطلة فى الغابات الشمالية ، وفى صحبته الأعضاء المقدمون من رجال المعهد . وهناك يعيشون فى معزل عن الناس ، ويعقدون الاجتماعات لتقرير سياسة العمل ، ويقضون كل يوم أربع ساعات فى دراسة المشاكل العويصة ، أما سائر الوقت فيخصصونه لصيد السمك . ويقول فاجتبرج تعليقاً على هذا : « إن الصيد أمر ضرورى ، فإنه يؤلف بين الرجال ، ويساعد على مزج شخصياتهم وعقولهم بعضها ببعض » .

● التعبُّد هو ما يفعله المرء فى عزلتـه . . . فإن لم يستولِ عليك الشعور بالعزلة ، فلن تكون متعبِّداً . [الأسقف إنج]

إديسون يوم زواجه

مر أحد أصدقاء توماس إديسون فى ساعة متأخرة من الليل بمختبر المخترع الشهير ، فرأى فيه نوراً فصعد السلالم ، ودخل عليـه فوجده مكباً على بحث معضلة عويصة .

فقال : هالو توم : ألا تنوى أن تؤوب إلى دارك ؟

فقال إديسون وكأنه يفيق من غيبوبة : ما الساعة ؟

فقال صاحبه : تجاوزت منتصف الليل .

فقال إديسون : آه ، نعم لا بد من الأوبة ، فأنى تزوجت اليوم .

[ج . ب مكلور فى « إديسون ومخترعاته »]

● العبقرية واحد فى المئة إلهام ، وتسع وتسعون فى المئة عرق . [إديسون]

النساء في مؤتمر الصلح

إليانور روزفلت

لسنا نواجه الآن مؤتمر صلح ، ولكن إذا عقد المؤتمر ومتى عقد ، فإني واثقة بأننا سنشاهد نساء في وفد الولايات المتحدة وفي وفود غيرها من الأمم . فمصالح النساء اللواتي يجاهدن في هذه الحرب إلى جانب الرجال ، لا يمكن تجاهلها في أي قرارات تتناول المستقبل .

وقد كانت الحروب على مر السنين من صنع الرجال ، فمن العدل أن تقترح أن النساء يستطعن المعاونة في توطيد السلام الدائم . والنساء بحكم وظائفهن الطبيعية هن حفظة الحياة العظمات ، أما الرجال فشأنهم تبديدها ، وهم الآن ينزلون في شيء من التلكؤ والتردد ، عن امتيازاتهم القديمة في الاستئثار بالفصل في مسائل السياسة العامة الكبرى بدون مساعدة النساء .

إن الملكة إليزابث ، ومسز ونستون تشرشل ، والليدي ريدنج ، وكثيرات غيرهن من النساء الإنجليزيات ، يبرزن الآن بما يتصفن به من إعداد أنفسهن خلال الحرب ، لمواجهة مشكلات العالم بعدها . وليس ثمة ريب في أن الملكة ولهامينا والأميرة حوليانا قد صنعتا نفس هذا الصنيع ، وكل امرأة في روسيا من مدام مولوتوف فنازلا قد قامت بنصيبها في مساعدة الجيوش المحاربة ، ومدام شيانج كاي شيك لا تزايل مكانها إلى جانب زوجها ، وفي كل قطر من الأقطار نساء مستعدات ليفكرن في شئون العالم بعد الحرب تفكيراً عالمي النطاق .

وكل مؤتمر يعقد في المستقبل يجب أن يكون بين الوفود إليه نساء ، مهما كانت المسائل التي تبحث فيه . وليست المسألة هنا مسألة الاعتراف بالمرأة وحسب ، وإنما هي مسألة تربية للنهوض بأعباء الواجبات العامة . فالنساء إن لم يجلسن إلى جانب الرجال ، ويسمعن الحجج وهي تتوالى وتتطرد ، فإن القرارات النهائية ستتخذ دون أن تقوم على أساس قويم من المعرفة ، وهي قرارات لا يمكن تنفيذها إلا إذا عاونت كثرة النساء في شتى الأمم على نجاحها . والأخبار تسرى بسرعة في أندية النساء ، فهذه الهيئات

تسدى عوناً عظيما فى إذاعة الحقائق ، إذا شارك بعض أعضائها الرجال فى المؤتمرات الخطيرة .

من بواعث فخرى وسرورى أن نساء أمتنا حضرن مؤتمر الأغذية ، وأن وفدنا فى مؤتمر الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير لم يشمل نساء بين أعضائه فحسب ، بل كان هناك نساء عديدات حضرنه لمراقبة ما يجرى فيه ، وهن من النساء المعنيات بنواح خاصة ، وقد استرعين النظر إلى مسائل ، لولاهن لما لقيت ما تستحقه من العناية . ورجائى معقود على ازدياد عدد النساء اللواتى يأخذن مكانهن فى كل مؤتمر تال إلى جانب الرجال .

جميع الأمم تسيطر عليها المصلحة الذاتية فى المقام الأول ، والنساء لا يختلفن فى ذلك عن الرجال ، ولكن الرجال فى الأغلب الأعم يخالون أن مصلحتنا تتحقق إذا عززنا سطوتنا عن طريق القوة ، أو عن طريق التجارة ، أفلا يحتمل أن ترى النساء أن مصلحتنا تتحقق إذا أتيح للعالم أجمع ، أن يرنو إلى شىء أحسن مما عرف قبل ؟ وليس أساس هذا الرأى أن المرأة أقل أثرة من الرجل ، وإنما أساسه أن المرأة تقيم للمحافظة على الحياة البشرية شأناً أعظم من الظفر بالسلطان . فالنساء سيحاولن كشف سبل للتعاون ، على حين أن الرجال لا يفكرون إلا فى السيطرة .

وسيقال إن إقامة الدليل على رأيى مستحيل — وأنا أوافق ، ومع ذلك فجميع مؤتمرات العظماء التى شاركت فيها النساء فى الماضى انطوت على أمثلة مشرقة ، فالملكة إليزابث والملكة فكتوريا أحسنتا قيادة أمتهما والملكة ولهلمينا تقوم بمثل ذلك اليوم .

وأستطيع أن أتذكر الزمن الذى بدأت فيه المرأة تصبح عاملا ذا شأن فى السياسة فى هذه البلاد ، إذ كان يقال بين الناس : « ليس للمرأة مكان فى حلبة السياسة » . كان الرجال يخلعون ستراتهم ويدخنون لفافات التبغ السود الكبيرة ، ويضعون أقدامهم على المناضد ، ويحتسون المشروبات الروحية ، ويصرون على أن اجتماعاتهم السياسية تسىء إلى السيدات (ولا يزال هؤلاء السيدات أحياء على أية حال !) .

ومن المحتمل أن النساء لم ينجزن فى ميدان السياسة كل ما فى وسعهن إنجازه ، ولكن التشريع الاجتماعى أوفر الآن مما كان قبل أن تنال المرأة حق التصويت . وحين تعرض مسألة من المسائل التى تثير اهتمام نساء هذه البلاد ، فالرجال يعلمون على التحقيق أن النساء غدون فى الوقت الحاضر عاملا ذا شأن فى السياسة .

ولست أطالب بحضور النساء مؤتمر الصلح فحسب ، بل أطالب بحضورهن كذلك كل اجتماع يعقد لتناول مشكلات ما بعد الحرب ، وبالإكثار من النساء المشرعات فى حكومات مدننا ، وفى الوظائف ذات التبعة . وهن لن يتقلدن هذه المهام لمقاومة الرجال ، وإنما ليعملن معهم وليكون لهن نصيب فى تشكيل العالم الجديد الذى سيواجهنا يوماً ما شئنا أو لم نشأ . ولا مفر من أن يعيش الرجال والنساء معاً فى هذا العالم، فيجب أن يبدأ الفريقان بناءه معاً منذ الآن .

من وحش إلى بطل

هذا ما نشرته جريدة « المونيتور » الفرنسية فى مارس سنة ١٨١٥ لما فر نابليون من جزيرة إلبا وشرع يزحف على باريس .

٩ مارس — فر الوحش من منفاه .

١٠ مارس — نزل الوحش الكورسيكى عند رأس جوان .

١١ مارس — ظهر النمر فى « جاب » ويتقدم الجنود من كل جانب لوقف سيره ، وسيختم مغامرته التعسة بالتشرد فى الجبال .

١٢ مارس — بلغ الوحش فى تقدمه فعلا جرينوبل .

١٣ مارس — صار الطاغية فى ليون ، وقد ذعر الناس لظهوره .

١٨ مارس — اجترأ الغاصب على الدنو إلى مسافة ٦٠ ساعة من العاصمة .

١٩ مارس — يزحف بونابارت بسرعة ولكن من المستحيل أن يصل إلى باريس .

٢٠ مارس — سيبلغ نابليون أسوار باريس غداً .

٢١ مارس — صار الإمبراطور نابليون فى فونتينبلو .

٢٢ مارس — دخل صاحب الجلالة الإمبراطور بموكب مساء أمس واستقر فى قصر التويلرى ولا شىء يفوق الفرح العام بذلك .

[فردريك هدسون فى كتابه « الصحافة فى الولايات المتحدة »]

لماذا يختلف الأمريكي عن غيره؟

ملخصة عن كتاب « الأمريكي - تكوين إنسان جديد » لمؤلفه

جيمز ترسلو أدامز

لم أزل أحاول أن أهتدي إلى جواب للسؤال : « ما هو الأمريكي؟ ولماذا يختلف عن غيره من أبناء أية أمة أخرى ؟ » فإنه لمختلف، وإنه لكما سماه الباحث الفرنسي كريفكور « ذلك الإنسان الجديد » .

وليس هو « بالجديد » فحسب - بل هو أيضاً عامل يزداد شأنه في مستقبل العالم . فماذا يشبه الأمريكي، وماذا عساه يفعل ؟ — هذه الأسئلة اكتسبت فجأة أهمية للجميع .

والحقيقة الأولى عن الأمريكي هي أنه خليط . وهناك حوالى ١٣٥،٠٠٠،٠٠٠ منه ، وهم مزيج من الأصول واللغات لا يعيش مثله في رقعة واحدة ذات حكومة واحدة في أي مكان آخر ، إلا إذا كان ذلك في الهند . وفي سنة ١٩٣٠ كان ما يقرب من ثلث السكان من المولودين في الخارج أو من آباء ولدوا في الخارج، وحتى أقدم الأسر الأمريكية لا تزال تصاهر الأمريكيين الحديثين . وفضلا عن ذلك فإن الأمريكي ، حتى بالمعنى الحقيقي ، قد لا يكون له هنا سوى اثنتي عشرة سنة ، فنحن جميعاً مزيج، وخصائصنا أيضاً مزيج .

غير أن هناك على العموم خصائص هي في الأمريكي أغلب وأبرز من سواه ، فهو مثلا شديد الثقة بنفسه ، وفي وسعه أن يكون أعظم استقلالا من غيره على ظهر هذه الأرض ، وأن لا يعبأ شيئاً بالتقاليد أو الطبقات الاجتماعية . ويرجع موقفه هذا إلى الوقت الذي تكونت فيه أمريكا ، ففي وشنطون ، على ما جاء في رواية قديمة : « يجد السفراء الأجانب مشقة أليمة فيما يتعلق بالخدم . فما من أمريكي يقبل أن يرتدي زي الخدم ، وليس ثم سبب يدعو اي امريكي إلى ذلك ، فالسفراء مضطرون

جيمز ترسلو أدامز اشتغل زمناً بالأعمال المالية ثم انتظم في قسم المخابرات في الحرب العالمية الأولى ، ثم حضر مؤتمر الصلح ، وهو الآن في طليعة المؤرخين الأمريكيين المعاصرين .

أن يختاروا خدمهم من بين الأجانب الذين لا يلبثون أن يتخلوا عن العمل ويذهبوا متى وجدوا عملا لا يحتاجون فيه إلى ارتداء زى خاص » .

ونلمح فى الكتب التى صدرت فى القرن الثامن عشر خصائص كثيرة كهذه فى طريق التكون — نمو روح الديمقراطية ، وكراهة السلطة ، والرغبة فى أن يصير الإنسان شيئاً ، وأن يبلغ حيث يريد بطريقته هو ، وأن يدبر على الخصوص أمور حياته وفق مشيئته هو ، ومع أقل مقدار من التدخل من جانب إنسان آخر .

وما كان الأمريكى وهو فى دور التكون ، خليقاً أن يطيق التدابير المعدّة سلفاً للعمل ، أو البيروقراطية ، أو التعبئة والتنظيم ، وقد كان بعضهم طموحاً والبعض قليل الحيلة ، ولكنهم فى كل حال وجدوا عالماً يستطيعون فيه أن يكونوا كما شاءوا أو كما شاء لهم الحظ . وقد أخرجت مناطق الحدود سفهاء وعيّارين ، كما أخرجت أبطالا وفحولا ، ولكن أرض أمريكا كلها أخرجت شعباً يبغى أن يصنع ما يشاء كما يشاء ، والحكومة الوحيدة التى يريدها — إذا كان يريد حكومة ما — هى التى تدعه حرًّا يفعل ما يهوى أو تساعده على فعله .

وكل حكومة تنزع إلى تقييد الناس ، لا يكون نصيبها إلا العصف السريع بها .

ويلخص هذا الروح فى كلمة قالها واحد من أهل « إنجلترا الجديدة » لآخر كان يحدثه عن نفسه ويصف له روحه العام ، وكيف أنه فى قريته استصدر أوامر لحمل الأهالى على فعل هذا الشىء أو ذاك ، ولإيجاد جماعة نموذجية ، فقال له : « أراك قضيت وقتاً كبيراً فى حشر نفسك فى شئون الغير » .

وقد كان السواد الأعظم ممن جاءوا إلى هنا للإقامة الدائمة من الطبقتين الفقيرة والوسطى الدنيا . ولما كانت مشقات الحياة فى العالم الجديد قد أكسبتهم صلابة العود وجعلتهم أكثر اعتماداً على أنفسهم ، أوقصتهم عن أوربا حيث كل امرىء « يعرف مكانه » . فقد فقدوا كل اهتمام بالمركز الاجتماعى أو اكتراث له ، وهكذا استطاع احد فلاحى فرجينيا ، وهو فى تمام عقله ، أن يقول للورد بلتيمور فى وجهه إنه كذاب ، وأن يهدده بلكمة تصرعه ، ثم ب . ت بارنام المنظم المظيم لملاعب الحيوان ومعه « توم ثمب » القزم المشهور ، أن يتحدثا إلى الملكة فكتوريا فى قصر بكنجهام بسهولة كأنما يحادثان أية سيدة فى أية بلدة أمريكية .

ومثل هذا السلوك من خصائص الامريكيين.

* * *

والماضى قليل القيمة فى رأى الأمريكى ، وقد اعتاد أن يحاول استخدام الحاضر على خير وجه وعينه أبداً على المستقبل . وصحيح أنه يؤسس جمعيات تاريخية عديدة ، ويقيم فى قراه ألواحا ، تذكارية ، ولكنه لا يحجم عن أن يعفى على كل أثاث أو مبنى أو غير ذلك فى أى وقت ، إذا اعتقد أنه وجد ما هو أحدث أو أصلح .

والأمريكى رجل يحب الاختراع والجديد من الأشياء ، وهو مولع باتخاذ ما يؤدى إلى الاقتصاد فى العمل ، فيعفيه أو يعفى زوجته من الجهد فى إحدى النواحى ، ثم يكدح لكسب المال اللازم لاتخاذ ذلك. وهو يحرص على أن تكون سيارته وكل ما حول بيته أو مكتبه من أحدث طراز وأحسنه .

وأعتقد أن فى الوسع رد هذا إلى تأثير الحياة على الحدود ، فقد كان فى أمريكا دائماً فى ثلاثة قرون جماعات حديثة جداً وأسر تنمو ، وفى وسعها أن تنفق على اتخاذ أحدث المعدات من غير أن تحتاج إلى التفكير فى تكاليف القديم المنبوذ ، وكان من جراء ذلك أنه كانت هنالك دائماً نماذج لما هو أوفق وأحدث ينظر إليها الناس ويشتهونها. فى أوليات العقد الأخير من القرن الماضى عاد أحد أعمامى إلى نيويورك من مدينة شيين الصغيرة ، وهى على مسافة ألفى ميل غرباً ، وعيرنى بأن نيويورك ليس فيها إلا مصابيح غاز ومركبات خيل ، على حين تنعم شيين بمصابيح الكهرباء ومركبات تجرى على قضبان ، فهذه المدينة الصغيرة كانت تستطيع فى سنة ١٨٩٢ أن تسخر من نيويورك الكبيرة ، وقد اضطرتها أن تحذو حذوها بأى ثمن .

ومن أهم الحقائق الأساسية ، فيما يتعلق بأمريكا وتكييف نفوس أبنائها، أنه لم تكن لنا حدود واحدة نقرها ونستقر عليها ، وإنما كانت هناك حدود لا حصر لها تزحف وتمتد وتتقدم وتؤثر فى « الحلات القديمة » كأنها موجات متعاقبة . وهذا يختلف عما حدث — على الأقل فى مثل هذا النطاق الواسع — فى أى بلد آخر فى التاريخ كله ، وهذا يعلل ما ينزع إليه الأمريكى من حب الجديد فى سيارته وغيرها، وما وصل إليه التطور الهائل فى صناعة أمريكا ، وما تؤثره الزوجة الأمريكية من الاستعانة بأدوات التنظيف الآلية وغيرها مما يعفيها من المشقة ، وأثر ذلك فى نفسها .

* * *

وقد رفع الأمريكى المرأة إلى أعلى مقام ، « فصارت عجلا أمريكيا من ذهب » فما من

امرأة فى بلد آخر تستطيع أن تمضى لرأيها ويكون لها ما تريد ، كما تفعل فى أمريكا . وقد صار للرجل المحل الثانى فى البيت ، وفى الحياة الاجتماعية ، وفى الحياة الثقافية أيضاً إلى مدى بعيد . وقد وضع الرجل الأمريكى المرأة على منصة أول الأمر ، نزولا منه على قانون العرض والطلب . ذلك أنه فى تاريخنا كله ، من محلة إلى محلة ، وعلى حدود بعد حدود على طول الطريق من «جيمستون» إلى كاليفورنيا ، كان النساء قلة بالقياس إلى الرجال ، ومن هنا كان التنافس على الزواج بهن عظيما ، فارتفعت قيمة المرأة ، وكان الثمن الذى يؤديه الرجل هو أن يدلل السيدة ويبتغى مرضاتها .

ويرجع السبب فى أن الأمريكى وضع المرأة فوق منصة ، بل رفعها مقاماً أسمى من ذلك ، إلى أنها وقفت إلى جانبه وعملت معه فى جهود الارتياد وأخطاره ، وقد كانت فاتحة هذا الذى صار تقليداً فى حياة المرأة ، ما أثاره الهنود من المتاعب فى جيمستون — وهى من الأماكن الأولى التى استعمرها الأمريكيون — حيث وقف عدد من النساء وحدهن يدافعن عن دورهن ضد المتوحشين . ومنذ ذلك الحين صارت قائمة النساء الرائدات اللواتى أظهرن شجاعة ممتازة ، طويلة مجيدة .

غير أنه كانت هناك مظاهر أخرى للشجاعة استدعاها الأمر ، فضلا عن مقاتلة الهنود ، أهمها الكد المضنى فى أداء الواجبات المنزلية ، والحمل وتربية الأطفال فى أشق الأحوال ، وترك الدور القديمة ، والانتقال إلى أخرى جديدة ، حيث كان يجب قطع الأشجار وتمهيد الأرض قبل أن تتسنى الإقامة على صورة من الصور ، ثم كانت هناك الوحشة المطلقة فى الغابات الشاسعة والسهوب المتقاذفة .

ولا يزال باقياً أن توصف الوحشة التى عاناها الأمريكى وأثرها المتعدد الجوانب فى نفسه . ومن هذا الأثر ذلك السرور الذى يجده حين يرحب بالغرباء الطارئين ، وهو سرور لا يقدره أو يفهمه الناس فى الجماعات المستقرة فى العالم القديم . فقد كان قدوم غريب مدعاة للترحيب فى حياة منعزلة ودائرة مغلقة ، وكان ذلك حادثاً يقطع الصمت الذى لعله كان لا يقطعه شىء منذ أسابيع ، فهو يستحق الترحيب والحفاوة . ولهذا كانت الوحشة هى مصدر الكرم الأمريكى الذى يحس الأجانب حرارته ويشعرون أنه يغرقهم .

ومن هنا ظل الأمريكى أكثر الناس تودداً على الأرجح فى العالم ، فإنه يحب أن يحادث الأغراب ، ولا يخشى أن تحمله فى المستقبل محادثة عارضة على ظهر باخرة أو فى قطار تبعة اجتماعية ، وهو يميل إلى

الإفاضة والتوسع فى حديثه ، ولا يحجم عن الكلام عن نفسه وشئونه الخاصة وبلاده التى يعدها خير ما فى الدنيا . وهو يحب الفكاهة ، وقد يعتقد أن فكاهته هو أطيب وأمتع . وكثيراً ما تقوم فكاهته على المبالغة ، على خلاف الإنجليزى الذى يعمد إلى التهوين والغض من شأن نفسه . ومن أمثلة هذه المبالغة قصة الرجل الذى قال إنه رأى كلبين فى أحد السهوب تقذف بهما عاصفة من الرمل إلى ارتفاع عشرين قدماً فى الهواء « وكانا يحفران بقوة ليعودا إلى الأرض ».

ونكاته مظهر لحبه لما هو كبير وجسيم . ولا تزال تستولى على نفسه فكرة الذى هو « أكبر وأحسن » ، فهو يباهى بحجم فاكهته ، وبالخزانات التى بناها ، وبأن فى بلاده أكبر محطات للسكك الحديدية فى العالم ، وبناطحات السحاب ، وهو فى الوقت نفسه لا يزال مولعاً بالمزارع وحياتها وتقاليدها . وما انفكت البلدة الصغيرة أبرز خصائص الحياة فى أمريكا ، بشرفاتها الأمامية ، وبالمودة السهلة بين أهلها ، وبروح التعاطف والتآلف بينهم .

* * *

والمقول أن الأمريكى لا يعبأ بالفن ، ولكن جانباً كبيراً من فن العالم القديم ، إنما أتيح له البقاء إلى المستقبل ، لأنه محفوظ فى دور أمريكا ، وقد صار الأمريكى الذى لم يطبع على روح الفن يخرج كفاء خير ما أنتجه أى شعب آخر فى الأدب والتصوير والنحت ، ويتفوق فى العمارة . والمقول أن الأمريكى فى العلوم ، عملى ليس إلا ، غير أن معامل الأبحاث التى بنتها « جماعات مادية غير ذات روح » فى طليعة أمثالها فى العالم . ومن غرائب النقائص أن الأمريكى يسبق الأمم الأخرى فى أخلى العلوم من الصبغة العملية ، وهو الفلك .

ويختلف موقف الأمريكى من المال عن موقف أى شعب آخر تقريباً . فقد كانت الفرص فى الماضى من الكثرة ، وثروة البلاد الطبيعية من العظم ، بحيث راح الأمريكى يفكر فى المال على نحو جديد ، وصار كسب المال أشبه بلعبة تزاول ، حتى إذا أفاده لم يخزنه ويكنزه ، بل أنفقه لقلة ما تكلف من العناء فى إفادته . وهو يعرف أنه ليس بالكنز البخيل ، ويعرف أن كارنيجى وهب الجزر البريطانية ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، وأن الأمريكيين جددوا مكتبة لوفان التى كان الألمان قد دمروها ، وأن آل روكفلر تبرعوا بعشرات من الملايين لعدة بلدان ، وأننا بذلنا معونتنا

لبناء جامعة لندن ، وبنينا سقفاً جديداً لقصر فرساى ، وقدمنا عشرات من الملايين لبلاد أخرى معاونة لها فى أيام السلم .

ويصدر الأمريكى عن هذه الروح الرضية التى يتناول بها شئون المال ، فى غيرها من الشئون ، فهو يعرف مثلا أن فى الحكومة إسرافاً عظيما ، وأن هناك فساداً كثيراً ، ولكنه مشغول ، واعتقاده أن كل شىء سيصلح على نحو ما ، وقد كان هو على كل حالة ، مسرفاً بداً مبدداً دائماً فى أرضه وغاباته ، فى بلاده .

ومن أبرز خصائص الأمريكى استعداده للمغامرة وتجربة حظه ، وإذا كان كثيراً ما يعتقد أن الله يرعى الأطفال والسكيرين والأمريكيين ، فإن هذا اعتقاد قد ألحت به عليه الحوادث مرة بعد أخرى . مثال ذلك أنه فى سنة ١٨٤٨ حصلنا بمبلغ يسير من المكسيك على ولاية تكساس وعلى رقعة شاسعة من الأرض فى الغرب فيها كاليفورنيا . وقبل أن نوقع المعاهدة مع المكسيك بثمانية أيام ، اكتشف الذهب فى كاليفورنيا من غير أن تعلم الحكومة الأمريكية بذلك ، فأقبل الناس على هذه المنطقة إقبالا معدوم النظير فى التاريخ ، وانطلق الرجال من كل طبقة إلى كاليفورنيا ليجربوا حظهم ، وكان فيهم رجال الدين والأشراف ، والبحارة ، ورجال الأعمال ، والعمال اليوميون ، والفلاحون ، ولم يمض عام حتى كان فى كاليفورنيا ٩٢٫٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٦٠ أربى العدد على ٣٨٠٫٠٠٠ وكانت الأحوال عجيبة ، ففى أقل من أربعة أعوام ، بعد أن تألفت شركة بريد المحيط الهادى ، نقلت على بواخرها من سان فرنسسكو إلى نيويورك حول أمريكا الجنوبية ما يقرب من ١٢٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ذهباً . وفى كاليفورنيا نفسها لم يكن للمال قيمة ، فكانت أوراق اللعب تباع بخمسة ريالات ، والنسخة الواحدة من الجريدة بريال . والعامل يتقاضى فى اليوم عشرين ريالا أو ثلاثين ، ورجال التعدين السعداء الحظ يحصل الواحد منهم على مئة ريال أو ألف ريال فى اليوم جزاء له على إزالة الأخلاط عن الذهب .

وكثيرون ممن ذهبوا إلى كاليفورنيا لم يجدوا إلا قليلا من الذهب أو لم يجدوا شيئاً ، ولكن الحظ ظل يجتذبهم ويهيب بهم أن أسرعوا ، أسرعوا . وذهب كل واحد يغامر ويقامر فى سبيل الملايين ، وسحر المغامرة ، ويبذل فى ذلك من العزم والنشاط والجهد ماينبى بمثله الدول والإمبراطوريات . وهذا هو الجو الذى كان ينشقه الأمريكى . ولم يكن هناك «أمن اجتماعى» ، وإنما الذى كان هناك هو المغامرة ، والحرية ، وإمكان

إفادة الغنى الواسع . وقد كان هذا من أكبر المؤثرات فى تكوين الشخصية الأمريكية .

وفى البـلاد التى هى أقدم من أمريكا ، حيث الفرص محدودة ، يحجم المرء ، إذا تقدم قليلا، عن المخاطرة ، لأنه يخشى إذا هو هوى أن لا يستطيع أن ينهض مرة أخرى ، والإخفاق فى مثل هذه الأحوال ، يترك طابعه ، أما فى أمريكا فإن من الممكن أن نقول إنه لا أثر له على الإطلاق تقريباً . فالمرء يتعثر ، ويحاول أمراً جديداً ، ومن المرجح أن يعود فيظهر فى أمر جديد كل الجدة .

وتعجبنى حكاية أعرف أنهـــا حقيقية ، وهى تمثل الروح الأمريكى :

كان هناك زعيم اجتماعى فى بلد فى الغرب ، فبعث فى طلب سباك ، فلما جاء ، كان يتطوّح من السكر ، فاشتكت السيدة وطرد الرجل . فذهب إلى الجبال ، وأصاب مالا ، وبعد عشرة أعوام عاد ، وقد رشد وصارت له عدة ملايين ، فكانت السيدة التى طردته من بيتها هى التى افتتحت معه إحدى الرقصات الشائعة يومئذ ، فهذا شئ لا يحدث إلا فى أمريكا .

وهذا يفضى بنا إلى خصيصة أخرى — هى مرونة الأمريكى المدهشة ، فقل بين الأمريكيين الناجحين من لم يعالج أشـياء كثيرة ، وكثيرون منهم يبـدأون العمل وهم فى المدرسة . وضروب الأعمـال التى يعالجها الفتيان والفتيات ليشقوا طريقهم ، تشمل كل ما يخطر على البال تقريبـاً من الأعمال ، وليس لأى واحد منها أى أثر ، كائناً ما كان ، فى المركز الاجتماعى ، والأثر الوحيد هو أنه يرتفع مقام الطالب فى عيون الجميع . وعلى نقيض ذلك ما حدث فى إنجلترا فى أثناء فترة الهبوط فى العقد الثانى من هذا القرن ، فقد وجد الذين يقومون بالخدمة الاجتماعية أن من أشق الأمور أن يحملوا العاطلين على تغيير محل الإقامة أو نوع العمل ، ومعظم الأمريكيين ، لا يفهمون هذا .

* * *

ويدهشك أن تعرف كيف اســتولى الأمريكى على « الإمبراطورية الأمريكية » — إذا شئت أن تسميها إمبراطورية — بوسيلة المساومة والبيع ، فما من أمة أخرى فعلت مثل ما فعل ، فقد اشترينا جانباً كبيراً من الغرب الأوسط من نهر المسيسيبى إلى الجبال الصخرية (أرض لويزيانا القديمة) من نابليون بخمسة عشر مليوناً من الريالات ، ودفعنا إلى أسبانيا خمسة ملايين ريال ليكون حقنا فى فلوريدا خالصاً لنا . وحاربنا المكسيك ولكنا دفعنا إليهـا ١٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال ثمناً لجانب كبير من المنطقة الغربيـة

وفي جملتها كاليفورنيا ، ودفعنا إليها ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال أخرى لتعطينا خير طريق من تكساس إلى كاليفورنيا . وحاربنا أسبانيا ولكنا منحنا كوبا حريتها ، ودفعنا إلى أسبانيا ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال في مقابلة بورتوريكو ، وجوام ، والفلبين . وأخيراً دفعنا إلى كولومبيا ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال في مقابلة منطقة قناة بناما . فهل قامت دولة وإمبراطورية بمثل هذه الوسيلة ؟ وهذا بعض مايوصم به الأمريكي ، ولكنه يكشف عن طباعه .

وقد مد الأمريكي بلاده فوق القارة بالحرب والمال ، ولكنه ما فتئ خصما عنيداً للتوسع فيما وراء البحار ولنا أن نسميه استعمارياً لفتحه للقارة ، ولكنه في التزامه السواحل من الجانبين ما فتئ خصما للاستعمار .

وهو لا يحب الحرب ، وإن كان مستعداً أن يقاتل إذا اضطر إلى ذلك ، ولكنه بعد الحرب يجد من العسير عليه أن يكره عدوه .

وقد أدى إلى هذا سعة المحيط وغنى أمريكا . ويجد الأمريكي صعوبة في فهم مشاكل أوربا وضغط الحالات فيها . ولا يزال ينظر شزراً إلى كل طائفة جديدة من المهاجرين ، ولكنه حين يحتك بهم يواطنهم ويحسن معاشرتهم ، ولا يستطيع أن يفهم لماذا يعجزون عن حسن المعاشرة في بلادهم . « طوائف الأقلية ؟ » كلام فارغ ! « أليس عندنا أكبر طوائف من الأقليات في أي بلد في العالم ومع ، ذلك لا يأخذ بعضنا بتلابيب بعض طول الوقت؟ » وهذه يورثه شعوراً بأن الأجانب في البلاد الأخرى لابد أن يكونوا سخفاء أولعل حصتهم من الخطيئة عظيمة.

وقد كان الأمريكي من دعاة العزلة في الشئون الحربية والسياسية ، وهو يبغي أن يظل بمعزل عن الاشتباكات الدولية ، كما يبغي أن يكون حراً لتغيير نهجه الشخصي في موطنه . ومع أنه من دعاة العزلة إلا أنه لا يوجد إنسان نصيبه من العقلية الدولية أجزل من نصيبه ، فإن مصالحه وهباته تذهب إلى أقصى الأرض ، وهو مستعد أن يمول التنقيب عن الآثار في العراق ، كما يمولها في أريزونا ، وأن يساعد مستشفى في بيكين كما يساعده في سنت لويس . وإذا أتيحت له الفرصة سافرت جماعات منه إلى البلاد الأخرى . ومن مبتغاه أن يتجر مع أقطار الأرض جميعاً ، على أنه قد يفعل هذا وذاك متعجلا . ومع الشعور بأن كل شيء في أمريكا خير منه في غيرها .

والأمريكى يحب الحرية . وقد جاء من أوربا لينعم بها ، وتنقل من رقعة إلى رقعة فيها لينالها مرة أخرى حين ظن أنه سيفقدها. وكان ولا يزال يود أن يكون سيد نفسه . ولم يزل منذ البداية يطلب أن يحس بالحكومة أقل إحساس ، ويكره أن تبين له الحكومة ماذا يجب عليه أن يفعل . على أنه يحب أن تثبت الحكومة وجودها إذا استطاع أن يحصل على شيء منها ، وقد يطالب بتعريفة جمركية ، وإعانات للشيوخ ، ومساعدة للفلاحين ، وهذا كله خليط لا يستبين فيه العقل ، وهو من خصائص الأمريكى .

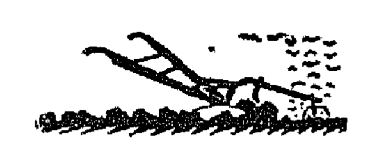
* * *

ولا يزال الأمريكى شاباً ، ولا سبيل إلى التنبؤ بما سيصير إليه ، وما عسى أن يفعل فى المستقبل ، ومهما يكن ما يفعل ، فإن تعداده ، وبراعته ، وذكاءه ، وموارده سيكون لها وزن عظيم فى العالم الجديد . ولكن الذى سيكون له أكبر قيمة للأجيال التى ستجيء بعد الأزمة الحاضرة ، هو أحلام الأمريكى .

ولا يوجد اليوم أعظم من حشد الثروة والقوة فى أمريكا التى كانت قارة فارغة قبل ثلاثة قرون . وقد خلقتها الأحلام — أحلام الفرص ، وأحلام الجزاء والمكافأة ، وأحلام المساواة ، وأحلام الحرية ، ولعل للأحلام قوة مجهولة . وقد كان أعظم ما حلمت به الإنسانية إلى الآن لحياتها اليومية هو الحلم الأمريكى الذى جلب الملايين من الناس إلى شواطئنا من جميع أمم العالم .

والخلاصة أن الأمريكى كان وما يزال هو الرجل العادى الذى رأى فى العالم الجديد عالماً جديداً « حقيقيا » طرح فيه عن نفسه قيود القديم، ووقف فيه إنسانا معتدل القامة. وقد تفاوت الحلم بتفاوت الذين حلموا به ، ولكنه فى نظرهم جميعاً كان معناه شيئاً جديداً رائعاً، تطلب شجاعة وتضحية ،ونبذ المعروف المألوف ، والاستعداد للمخاطرة بكل شيء مما كان لهم فى الحياة القديمة للفوز بحياة أطيب .

وقد نفض الأمريكى عن نفسه الماضى إلى حد بعيد ، ويكاد لا يكون قد عاش حتى فى الحاضر ، لأنه يتطلع إلى القمم ، وإلى المستقبل .



الموت فى هاليفاكس

إدمون جيليجان

فى صـباح اليوم السادس من ديسمبر سنة ١٩١٧ سارت الحياة فى سبيلها ناعمة البال فى ميناء هاليفاكس (نوفاسكوشيا بكندا) مدة سبع عشرة دقيقة منـذ أن أومض لهيب أزرق على ظهر سفينة الذخيرة « مون بلان » .

كانت الساعة التاسعة ، وقد بدأ العمل فى المكاتب والمخازن والمصانع ، وهى منهمكة جميعاً فى جر مغانم الحرب الوفيرة . وكانت بواخر الشحن فى مضيق الميناء تشد إلى الأرصفة ، والطرادات وسفن النقل تلقى مراسيها ، والبحارة يكدحون فى شحن المواد الحربية .

وفجأة ، وسط زحمة البواخر ، ظهر قارب نجاة ، يتولاه بحارة فرنسيون ، يجدفون بعنف ، قاصدين الشاطىء الشمالى ، وتبعه قارب آخر ، مكتظ هو أيضاً بالرجال ، جميعهم يتلفتون وراء ظهورهم — فى يأس — إلى هذا اللسان الرقيق من اللهب الأزرق فى « مون بلان » .

وحـين بلغ الزورق الأول الشاطىء قذف البحارة بأنفسهم إلى البر فى ذعر ، وهم يتمتمون بالفرنسية بلعنـات ودعـوات ، ويصرخون : « البارود . البارود ! » .

شاع لغط إنذارهم يتعالى من فم إلى فم ، وهم هاربون يجرون فى الشوارع . فأطلق بعض الناس سيقانهم فى أثرهم ، وسارع آخرون إلى حافة الماء يستنبئون البحارة الذين يقذفون من القارب الثانى .

وصرخ أحد البحارة الكنديين : « إنها تحترق ! لقـد اصطدمت « مون بلان » بـ « إيجو » . وإنها مشحونة بالذخائر » . وانطلق يعدو .

وفى أثناء ذلك كانت الطرادة البريطانية « هاى فلاير » الراسية على مقربة ، تنزل قارباً ، وبين خفـوت اللهيب واندلاعه ثانية ، اسـتدار القارب وحاذى برشـاقة « مون بلان » ، وشـاهد الواقفون على الشاطىء الضباط والبحارة يتسلقون ظهر الباخرة ويجرون نحو النار .

وانقضت السبع عشرة دقيقة ، واندلع من ظهر الباخرة عمود من الضوء الأصفر

لا تزيد ثخانته عن سارية « مون بلان » وارتفع إلى علو ميل مخترقاً السماء المشمسة ، ودار لحظة دوراناً لولبيا ، ثم انتشرت قمته كرأس نبات الفطر ، فأضحى سحابة قرمزية هائلة .

لقد انفجرت أربعة آلاف طن من المادة المفرقعة ت . ن . ت . ودوى انفجارها أعظم دوى طرق الآذان فى هذه الدنيا ، وتلاشت « مون بلان » ، وطارت قطعة من مرساها تزن نصف طن مسافة ثلاثة أميال وسط غلالات من اللهيب ، وتمزقت جوانب الباخرة ألواحاً تساقطت كالمطر المنهمر — وهى تئز — على البواخر والمنازل . وفى مكان « مون بلان » انبثق شلال أبيض هائل من ماء يغلى ، فإذا الطيور المحلقة فى السماء تتساقط نتفاً من رماد لحم وريش .

وأخذ الموت يزحف مزمجراً فوق الماء ، فقفزت البواخر مقتلعة مراسيها ، وسقطت مصروعة فوق موجة المد ، واصطدم ثمانية من البحارة ببرج طرادة فتطايرت أجسادهم أشلاء . وبلغ من قوة الرجة أنها سحقت على ظهر الباخرة « إيمو » ربانها وثلاثين من بحارتها ، ولم ينج من الغازات الملتهبة الزاحفة إلى البر سوى البحارة الذين كانوا فى بطون السفن . واقتلعت صخرة من قعر البحر فى الميناء ، واندفعت فى الجو ، ثم هوت فقتلت على أحد الأرصفة ٦٤ من العمال .

على الشاطىء الجنوبى لمضيق الميناء تثوى قرية رتشموند فى بطن واد كالحوض تحوطه التلال ، فاندفعت فى ذلك الحوض صدمة الضغط الهائل ، فلم يكد مئتان من الصبيان فى إحدى المدارس يهمون بالقيام من مقاعدهم حتى تداعت عليهم الجدران ، فلم ينج منهم إلا ثلاثة . وأدرك الموت المصلين فى كنيسة سان جوزيف وهم يتضرعون ، وارتجت مصانع ودور شوارع بأكلها وانهدمت ، واقتعلت الأشجار من الأرض وتطايرت كالأوراق ، ودفع بأناس فى الجو عالياً ، وحملوا بعيداً ، ثم لحقهم الموت حين سقطوا من عل مرتطمين بجدران أو بأعمدة التلغراف .

وشبت الحرائق فى آلاف من الأمكنة ، واتصل بعضها ببعض ، فأصبحت لهيباً واحداً مدمراً ، تنبعث منه رائحة كريهة — رائحة احتراق اللحم . ومن وسط هذا الجحيم أقبل العمى والمشوهون ، يجرون ويتعثرون ، وكلاب وقطط ، وجياد تعدو مذعورة .

واندفع ضغط الانفجار حتى وصل مدينة هاليفاكس ذاتها ، فحطم النوافذ وقوض

الجدران ، ونثر شآبيب من شظايا الزجاج ، فهرع كل من استطاع إلى الطريق ، فرأى اللهيب والدخان ، وسمع صراخ الموتى ، وتصايح الناس بأن أسطولا ألمانياً يضرب المدينة بالقنابل ، وذاعت الأقاويل بأنها إغارة جوية ، وأقسم قوم أيماناً مغلظة بأنهم رأوا الطائرات فى الجو بأعينهم ، ودفع الذعر الناس إلى الحقول فاكتظ صرح البلد بخمسة آلاف هارب .

ثم جاء الغزو من ناحية الميناء ، فأقبلت ، تسبقها صرخات الهلع ، جموع طارصوابها تتعثر وتدب وتتحسس طريقها إلى الشوارع الرئيسية فى المدينة ، والدم يقطر من الوجوه ، ومنهم من يعدو رافعاً أمامه ساعدين قد بترت منهما اليدان ، وأطفال مزقت جلودهم وسالت دماؤهم ، يقودون آباؤهم العمى ، وحملت امرأة ابنها وهو جثة بدون رأس . وسقط عشرات بين الأقدام فقضوا .

وانتهت الانفجارات فعادت مدينة هاليفاكس إلى صوابها ، فأوفد الرسل لنشر خبر ما حدث ، وكان بعض الناس قد حدس به . فقد شاهد قدم يتناولون إفطارهم فى مدينة البرنس إدوارد — وهى تبعد ٢٥ ميلا — أطباقهم ترقص على المائدة ، كما سمع الانفجار فى سفن تمخر البحار على بعد كبير .

بدأ عمل الإنقاذ ينتظم حين أقبل رجال المطافئ بمعاونة المتطوعين ، على مهمتهم الشاقة فى إخماد الحرائق . وضع الموتى على الأرصفة ، وقد تكدست الجثث كقطع الخشب بعضها فوق بعض ، وتوالت عربات النقل تجد فى السير من محيط النيران والدخان مكتظة بجثث فتيات المصانع — وهن نصف عراة — وصبية المدارس ، والبحارة الذين قذفتهم من الميناء موجة المد الهائلة التى ولدها الانفجار ، وبلغ عدد الموتى ألفين ، وعدد الجرحى عشرين ألفاً ، عدا ٥٠٠ لم يعثر لهم على أثر ، فقد زالوا من على وجه الأرض .

وأقبل الليل يلف مدينة لا ينيرها غير ضوء المشاعل والقناديل ، وأجرى الجراحون جراحاتهم وهم يتلمسون من مصابيح البترول ضوءاً خافتاً مضطرباً . ولم ينقطع طوال الليل خروج عربات النقل من محيط الدخان ، ووقوفها بأبواب المدارس وغيرها من الدور التى اتخذت معارض للجثث . ثم دها البلد المنكوب فزع آخر ، إذ اكتسحت المدينة عاصفة ثلجية هوجاء لم يعهد لها مثيل من قبل ، فخدر برد الرياح عمال الإنقاذ ، وعجل الالتهاب الرئوى موت المصابين .

وحين ذاك ، كان العالم الخارجى قد أخذ

يبذل معونته بهمــة عظيمة ، فقامت من نيويورك قطارات محمــلة بالأطباء ومواد العلاج والغذاء ، وخفت الولايات الأمريكية الشمالية الشرقية إلى إرسال أمداد مماثلة ، وشحنت باخرة فى بوسطن فبلغ من ازدحام المتبرعين عنـدها مبلغاً اضطر أولى الأمر إلى استدعاء الاحتياطى من الشرطة لحفظ النظام . وأرسلت الحـكومة الـكندية مؤناً وعمالا ، ولـكن رسل الإنقاذ ما وصلوا إلا وقد حان الحــين لـكى يشقوا القبور العامة الرحبة لمواراة الجثث .

كيف نشأ الانفجار فى مون بلان ؟ إليك الرواية المسلم بها :

حين دخلت « مون بلان » القادمة من نيويورك ، مضيق الميناء فى ذلك الصباح ، كانت «إيمو» ، وهى باخرة نرويجية مخصصة لشحن القمح ، سـائرة تبغى الخروج من المضيق . وكانت بواخر أخرى كثيرة تسير فى مدخل الميناء ، فاختلطت الإشارات واتجهت البـاخرة « إيمو » نحو باخرة الذخيرة . فلما تصادمت الباخرتان نفذ مقدم « إيمو » فى جوف « مون بلان » فانقلب برميل من البـترول . ويعتقد بعضهم أن تصادم الصلب بالصلب فى البـاخرتين ولد شرراً . ويصر آخرون على أن البـاخرة الفرنسية كان بها قبل التصادم نار فى برجها الأمامى . وسواء أصحت هذه الرواية أم تلك فقد وثب اللهيب المحتدم .

وصلت الدعوى القضائية التى نتجت عن الـكارثة إلى مجلس الملك الخاص ، وهو أعلى محكمــة فى الإمبراطورية ، فقضى بأن الباخرتين مخطئتان على السواء . فكُفَّ بعض المسئولين عن عملهم . وفقد بعض الموظفــين وظائفهم . ثم طويت الحـادثة وأسدل عليها الستار .

على أن ضباط الطرادة « هاى فلاير » وبحارتها ضربوا مثلا فى شجاعة سـيبقى ذكره طويلا فى التاريخ البحرى . فقـد رأوا ما حدث ، وكانوا يعلمون ما تحمله «مون بلان» ، ومع ذلك فقد أقدم ثلاثة من الضباط وعشرون من البحارة على الصعود إليها لإطفاء الحريق . وليس يدرى إنسان مبلغ دنوهم من النجاح ، ذلك أنهم تلاشوا فى سعير الغاز الملتهب .

● النجاح هو أن تظفر بما تريد ، أما السعادة فأن تريد ما تظفر به .

[حكيم مجهول]

« ما هى الحقيقة وراء فورات الغضب والسياسة فى النزاع الدائر حول مد الهجرة إلى الوطن اليهودى ؟ » .

تقرير عن فلسطين

فردريك س . باينتون

[عهد المحررون الأمريكيون لمجلة ريدرز دايجست إلى مكاتبهم فى ميدان الشرق الأدنى — فردريك س . باينتون — فى السعى للحصول على الحقائق عن هذا الموقف فى فلسطين الذى تحجبه فورات الغضب والسياسة حجباً تاماً . وقد زار فلسطين مرة أخرى وحادث زعماء الفريقين واتصل بذوى النزاهة من المراقبين ، وزار المدن والمصانع والمزارع والبساتين . وهذا هو تقريره قال : (وقد تحريت فى كتابته أن يكون موضوعياً ونزيهاً جهد الطاقة) ثم قال إنه أراد به أن يكون مذكرة لمحررى المجلة فى أمريكا ليتسنى لهم أن يقدروا ما ينشر فى هذا الموضوع من مقالات ، ولكنه فيما يبدو لنا ، حافل بالمعلومات ، وعلى جانب عظيم من الأهمية ، وفى ذلك ما يسوغ نشره . وقد نشرنا هذا المقال فى الطبعات الأمريكية والبريطانية والسويدية والاسبانية والبرتغالية لمجلة ريدرز دايجست . فأربعون مليوناً من القراء فى جميع أنحاء العالم سيطلعون عليه . وهذه هى المرة الأولى التى يتاح فيها لمعظمهم الاطلاع على وجهة النظر العربية] .

إن لباب المسألة اليهودية العربية هو الهجرة طبعاً . فاليهود يبغون أن تكون هجرتهم غير مقيدة حتى يبلغ عددهم ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ، والعرب يقولون إنهم لن يحتملوا أية هجرة يهودية أخرى ، ولكنهم يوافقون على أن لا يقاوموا أو يعرقلوا اليهود الموجودين الآن فى فلسطين وعددهم ٥٥٠٫٠٠٠ .

وينص الكتاب الأبيض الانجليزى النافذ فى الوقت الحاضر على (١) أن يكون ثلث سكان فلسطين من اليهود والثلثان من العرب و (٢) أن يُقصر بيع الأراضى لليهود على مناطق معينة و (٣) أن تنقطع الهجرة اليهودية بعد ٣١ مارس سنة ١٩٤٤ ، ولكن هذا القيد لا يسرى على ٧٥٫٠٠٠ يهودى مرخص لهم فى الدخول ، ولا يزال هناك حوالى ٣٣٫٠٠٠ منهم لم يدخلوا بعد . و (٤) على أن تعيد الحكومة البريطانية النظر فى مسألة فلسطين بعد انقضاء عشر سنوات ، أى فى ٣١ مارس سنة ١٩٥٤ توطئة لمنحها الحكم الذاتى المحلى .

ويقبل العرب فى الوقت الحاضر على الأقل ، العمل بالكتاب الأبيض ، أما اليهود فيقاومونه بشدة بل بعنف ، ولكن بسبب

الحرب وجد نوع من الهدنة روعى مراعاة معقولة لولا المتطرفين .

ويتلفت العرب حولهم فيرون بلاداً عربية مستقلة ، ويود عرب فلسطين أن يظفروا بالاستقلال أيضاً ، ولكنهم لا يدرون كيف ينالونه . والعرب فى الوقت الحاضر يخشون اليهود لسببين : الأول أن اليهود أعلى لساناً ، ووراءهم صحافة عالمية وثروة طائلة ، والثانى أن اليهود لا يزالون يهربون الأسلحة بكثرة مدهشة وفى نطاق واسع جداً . والأمر لا يقتصر على البنادق بل يمتد إلى المدافع الرشاشة ومدافع الهاون ، وقد قيل لى إنهم يتقنون الآن صنع القنابل اليدوية . وحيال هذا يلفى العرب أنفسهم غير منظمين ، وليس لهم من ينطق بلسانهم ، ولا يملكون من السلاح إلا القليل .

وقد قيل لى إنه إذا وقعت الواقعة ، فإن اليهود على قلة عددهم يستطيعون أن ينازلوا العرب . ومن هنا كان اعتماد العرب على البريطانيين لحفظ السلام ، أما اليهود فلا يرون وسيلة يحملون بها البريطانيين على نقض الكتاب الأبيض ، ولهذا بدأوا حملة فى الولايات المتحدة ليحملوا حكومتنا على استخدام نفوذها أو ضغطها لتلغى بريطانيا على الأقل الأحكام الخاصة بالهجرة .

ويرى البريطانيون أنهم أنجزوا حرفيا وعد بلفور الذى لم يزد على أن قال إن الحكومة البريطانية تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن لليهود فى فلسطين . وهم يقولون إن الوطن أنشئ فعلا، وإن بريطانيا قد أبرأت ذمتها .

وينظر العربى إلى العقد الماضى ، ويتأمل خطواته هو فى سبيل المدنية ويبغى أن يستمر الموقف الحالى (القائم على الكتاب الأبيض) إلا إذا أريد تغييره بإدخال فلسطين فى جامعة عربية تضم العراق وسورية وشرق الأردن الخ .

ويقول اليهود إنهم لن يرضوا قط بالحكم الذاتى لفلسطين ، والعرب فيها ٧٠٠,٠٠٠ واليهود ٥٥٠,٠٠٠ ، ويصرح هارى بيلين من أعضاء الوكالة اليهودية بقوله : « إننا نصبح مرة أخرى أقلية كما هو حالنا فى كل مكان آخر ، وتحبط الغايات التى كانت منشودة من الوطن القومى فى فلسطين » ويقول بيلين إن اليهود يقبلون أن تكون فلسطين مستعمرة يهودية تابعة للتاج (البريطانى) على أن يكون لليهود فيها الأغلبية بطبيعة الحال .

ما هى الحقائق فى القضية اليهودية ؟

ألقى اليهود بملايين من الدولارات فى فلسطين . والقدس الجديدة مدينة حديثة ، وغمر تدفق اليهود تل أبيب فصارت مدينة

تعداد أهلها ٢٠٠,٠٠٠ وأدخل اللاجئون عدة صناعات مثل صناعة الماس التي يزاولها يهود هولنديون من أمستردام ، وصناعة العقاقير الطبية المهمة . وتحسنت الأحوال الصحية بفلسطين تحسناً كبيراً ، ولم يعد الرمد الحبيبي ، مثلا ، وباء ونقمة ، وهناك مستشفى هداسا وفيه ٢٥٠ سريراً وقد كلف إنشاؤه مليون دولار ، ويعمل فيه جراحون يهود ذوو شهرة عالية ، وأطباء ، وباحثون ، خرجوا جميعاً من بلادهم .

وقبل أن يجيء اليهود كان العرب يصدرون في العام حوالى ٥,٠٠٠,٠٠٠ صندوق من برتقال يافا المشهور . وقبل أن تمنع الحرب الحاضرة الصادرات كان يشحن في العام ١٥,٠٠٠,٠٠٠ صندوق من بساتين الموالح ، يملك العرب منها ٥٥ ٪ واليهود ٤٥ ٪ . ومن هذا يتضح أن اليهود بما أوجدوا من المنافسة قد جعلوا تصدير الموالح مصدراً كبيراً لثروة فلسطين .

وقد أصلح اليهود عدة آلاف من الأفدنة في فلسطين وجعلوها خصبة منتجة . وقامت المستعمرات الجماعية « كفوتزوت » باستثمار التربة الصخرية ، وغرست الأشجار ، واستنبطت الماء ، واستنبتت الأرض الغمقة في الشمال . وكانت الملاريا تعيث فيها منذقرون وهم يقومون بأعمال الصرف في الأرض ، ويقضون على البعوض ، ويحيلون الأرض ممكنة للزرع والإنتاج .

وقد زرت في وادى الأردن مستعمرة تقوم بعمل رائع . والأرض هناك ذات ملح نسبة ١٧ ٪ وهي قاحلة جرداء . وكان بعض الشبان اليهود من ذوى الأرومات الكريمة قد ذهبوا للعمل في مصانع البوتاس هناك ، وأنشأوا مستعمرة غير بعيدة من الأردن ، فجلبوا الماء بالأنابيب إلى الأرض وتركوا الأرض تمتصه فيحمل ملحها ويخرج به منها ، وقد فعلوا هذا ثمانين مرة في ثمانية شهور ، فأزالوا الملح عن الطبقة العليا للأرض واستنبتوا محصولا من الطماطم يبلغ ضعفي ما يؤتيه الفدان في أى مكان آخر .

والمستعمرة جماعية بحت ، والرجال يتناوبون العمل في الغسل وفلاحة الأرض ومصانع البوتاس ، وهو جهد مضن لا يكاد يتصوره العقل ، وترتفع درجة الحرارة في الصيف إلى ١٦٠ ، ولكنهم لا يفترون ولا ينون .

ولم يسعنى إلا الإعجاب بمثل هذا الجلد العظيم والشجاعة المصممة ، ولكن عقلي قال لى إن هذا بدع ، ولو أن أجور العمل كانت عادية لبلغت تكاليف إنتاج الطماطم ستين سنتاً للواحدة على الأرجح ، ولكن هذا يثبت أن الرغبة في امتلاك الأرض

واستثمارها فى وطن لهم ، قوة دافعة لكثير من اليهود .

وزرت مزرعة « جماعية » غير بعيدة من القدس كنت قد رأيتها قبل ذلك فى سنة ١٩٣٢ ولم تكن يومئذ شيئاً ، وكانت هناك دساكر قليلة فقيرة لا تكاد تؤتى الكفاية ، فالآن قامت فيها بنى جديدة ، وغرست فيها غابة من أشجار الصنوبر فطالت واخضرت والتفت أفنانها ، وفيها بعض الماء . وصارت المزرعة تكفى أهلها حاجاتهم ونما عدد أهلها من أربعين إلى أكثر من ثلاثمائة .

والناحيـة النفسانية لمسألة فلسطين على جانب عظيم من الأهمية لليهود ، وقد أجملها هارى بيلين فقال : « إنى هنا لا أشعر بمركب النقص ، فإن لى هنا شيئاً هو ملكى ، وأنا وقومى نمشى ورءوسنا مرفوعة . وهنا لا أرى قط لوحاً كتب عليه « الزبائن محدودون » أو « لا يسمح لليهود والكلاب بالدخول » . ولنا هنا أغانينا القومية ، ورقصنا القومى . وقد صارت العبرية لغة حية » .

ما هى قضية العرب ؟

من حجج اليهود الأصلية لإنشاء الوطن القومى اليهودى ، أن اليهودى ينبغى أن يرتد إلى الأرض ، وأن يهجر الحضر ويعمل فى الفلاحة . ولكن أرقام اليهود نفسها تدل اليوم على أن ١١٣٫٠٠٠ فقط ، أى ٢٣ ٪ من اليهود البالغ عددهم ٥٥٠٫٠٠٠ يعملون فى الأرض ، أما الباقون — ٧٧ ٪ — فيعيشون فى المدن .

وكان اليهود قد صرحوا فى سنة ١٩٢٣ بأن الوطن الفلسطينى سيكفى نفسه حاجاته على الأيام ، ولكنه بعد عشرين سنة لا يزال مشروعاً ضخماً معتمداً على الخير والإحسان. ويقول البريطانيون إن نسبة الاستكفاء ٤٠ ٪ ويقول اليهود إنها ٦٠ ٪ وتبعث الولايات المتحدة وحدها — بحسب الوثائق الرسمية — بخمسة ملايين ونصف مليون ريال إلى فلسطين كل عام (منها نصف مليون ريال من تبرعات المسيحيين) ومعظم هذا المال الكثير فى أيدى الوكالة اليهودية وهى الهيئة التى تهيمن على اليهود وتمول معظم المشروعات وتسد العجز . ويرد على هذه الدعوة إلى قبول مهاجرين آخرين من اليهود ، بأن البلاد لا تستطيع أن تعول الملايين الأربعة الذين يطالب اليهود بهجرتهم . فإن أرقام الوثائق الرسمية تدل على أنه ليس فى فلسطين سوى ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ فدان من الأرض المنتجة أو القابلة للإنتاج . ولست تستطيع اليوم أن تحصل على ما يكفيك من الطعام فى فلسطين ، وقد كنت جائعاً طول الوقت فى فلسطين ، وإن

كان معى المال الذى أشترى به ما أريد .

وقد صار لكل ميل مربع فى فلسطين الآن ٥ر١٤٤ من الأهالى يقابل هذا ٣ر١١ فى أوريجون مثلا ، فإذا بلغ عدد اليهود ٥٠٠ر٥٠٠ر٤ بإضافة أربعة ملايين أخرى من اليهود ، فإن كثافة السكان تصبح أعظم منها فى بلجيكا ، وهى من أكثر الأمم اشتغالا بالصناعة .

واليهود يعترفون بهذه الحقائق حين تبينها لهم وتنبههم إلى أن الوطن القومى عجز عن الوصول إلى حد الاستكفاء . ويقولون إن المخرج الآن لا يكون بالاشتغال بالزراعة بل بتحويل البلاد إلى الصناعة . ويشيرون إلى كثرة الصادرات من مثل الماس والعقاقير والمنتجات الطبية ، وإلى مشروع زيت يشحن فى حيفا ، ومصانع البوتاس الكبيرة . ولكن هذا خليق أن يجعل من فلسطين دولة يهودية صغيرة صناعية قائمة فى قلب عالم عربى معاد لها يقاطع سلعها اليهودية (وقد قالت هنريتا زولد مؤسسة الهداسا — وهى سيدة جليلة — قالت مراراً إن الغلطة الوبيلة التى ارتكبها اليهود من مبدأ الحركة الصهيونية هى عجزهم عن فهم العرب ومصادقتهم) .

وقد زرت أخيراً معرض المنتجات الصناعية بتل أبيب ، فألفيته عظيم الوقع فى النفس إذا اعتبرنا عدد المنتجات ، ولكن كثيراً من مصنوعات الصلب والحديد وغير ذلك إنما تجد سوقاً لها لأن الحرب قيدت التجارة وضيقت نطاق التبادل ، وهى لا تستطيع فى زمن السلم أن تنافس المنتجات الأمريكية أو البريطانية .

يضاف إلى هذا — وهو مهم — أن رجال الوكالة اليهودية يخشون بعد الحرب أن يعود اللاجئون من العمال الحاذقين — وهم الذين يصنعون كثيراً من هذه المنتجات — إلى أوطانهم . فقد كان اليهود التشك يندمجون فى الأمة التشيكية إلى أن شبت الحرب ، ولم يكن يقع عليهم اضطهاد ، ولا كانت تعترض حياتهم عوائق ، وهم يعدون أنفسهم — كما أخبرونى — من التشك ، لا من اليهود ، ويتلهفون على العود إلى بلادهم . وينوى المشتغلون بصناعة الماس أن يعودوا إلى هولندا ، ومن الغريب أن عشرات من اليهود الألمان يريدون أن يعودوا إلى ألمانيا ، وهذا الفشل فى تقرير جذور اللاجئين وتعميقها فى ثرى فلسطين ، ينطبق على الأمريكيين أيضاً ، فما نزل عن جوازات السفر الأمريكية إلا أقل من مئة من اليهود الأمريكيين الذين تبلغ عدتهم ٥٣٠٠ ، واليهود فى فلسطين يعرفون هذا ويخافونه ، وهذا أحد الأسباب التى دفعت

المتطرفين إلى أعمال ستزداد عنفاً فى نهاية هــذا الشهر (كتب هذا فى أوائل مارس وقد جاءت الأنبــاء فى ٢٥ مارس بالعنف الذى تنبأ المستر باينتون به) . وقد أخبرنى كثير من زعماء اليهود أنهم يخشون أن تسقط حجتهم الكبرى عند نهاية الحرب بأن لا يكون هناك مهاجرون .

ويأسف زعمـاء اليهود لوقوع أعمـال العنف الحديثــة فى فلســطين ، وهى التى ارتكبها المتطرفون منهم ، وقد سمعت وأنا فى القدس انفجار تسع قنابل على مسافة غير بعيدة من فندقى ، وقد نسف قلم المهاجرة للانتداب الفلسطينى بحيفا وبتل أبيب وقتل اثنان من البوليس الفلسطينى . وتتخذ الجماعتان المتطرفتان ــ أرجون زباى ليومى ، وهجانا ــ المراسم الفاشــية والزى الفاشى ، وقوامهما جنود العاصفة ، وهنـاك أيضاً عصابات من الخوارج الحقيقيين . ويذهب هؤلاء المتطرفون إلى أن العرب ثاروا فى سنة ١٩٣٦ فأرهبوا الحكومة البريطانية وحملوها على إصــدار الكتاب الأبيض ، فالآن يرجو هؤلاء اليهود باتباع هذه الخطة نفسها أن يرهبوا البريطانيين ويحملونهم على إقرار الهجرة مرة أخرى .

ويذكر العرب الحقائق الآتيــة : إنهم يملكون معظم الأرض وفى جملتها ٩٥ ٪ من مزارع الزيتون ، ويملكون من الماشية ٢١٥,٠٠٠ رأس ، ولا يملك اليهود سوى ٢٨,٠٠٠ . وللعرب من الغنم ٢٢٥,٠٠٠ وليس لليهود سوى ٢٠,٠٠٠ من الغنم ، وكل الخنازير والجمال ملك للعرب . وهذه أرقام تثبت حقوق العرب ومصالحهم فى بلادهم وتقررها وتنقض ما يقال من أن العربى بدوى .

وقد قال لى أهل شرقى الأردن بلهجة مُرة : « إن إخراج العرب من فلسطين لإدخال اليهود فيها يشبه أن يطالب أهل كنساس بأن يحملوا متاعهم ويخرجوا من الولاية ليتسنى لغيرهم أن يستوطنوها » . وللعربى فى هذه البلاد ألف سنة وبضع مئات من السنين ، وسيقاتل فى سبيلها إلى النهاية ليبقى فيها ، ويبدو الآن أنه سينال التأييد والمعاضدة من الدول العربيــة المحيطة به . (انظر الاحتجاجات الشــديدة التى تلقتها وزارة خارجيتنا من مصر وسورية ولبنان والعراق وغيرها ، لما قدم بعضهم اقتراحاً إلى الكنجرس بتأييد ما يطلبه الصهيونيون من إلغاء البند الخاص بالهجرة فى الكتاب الأبيض) .

ويقال للعربى إنه لايتقدم ، وإن فلسطين ارتقت مذ جاء اليهود إليها ، فيرد على ذلك بقوله : «إن عند اليهود مالاً لا ينفد، وليس

عندنا إلا ما نأخذه من أفواه شعبنا وقلوبه».

وقال محدثى (وهو عربى كبير لا أستطيع أن أسمّيه): «ليس لنا مال نُعان به من الخارج، وعلينا أن نصنع ما نصنع بأنفسنا وبما عندنا، ولهذا نحتاج إلى وقت. والذين يقولون إننا بقينا على حال واحدة مئات من السنين ينسون أننا لما كنا تحت الحكم التركى لم نكن نجد تأييداً وعطفاً، وإنما كنا نحكم لنخضع».

وقد بسط لى أرقاماً تدل على أن العربى يسعى حقاً فى سبيل التقدم، وأنه ارتقى فى الأعوام الخمسة والعشرين الماضية من الانتداب. من ذلك أن مدينة نابلس العربية مثلا قد زاد تعدادها حتى بلغ ٤٠٫٠٠٠ بين عامى ١٩١٩ و١٩٤٢، وقام فيها ألف بيت جديد، و٤٢٧ دكاناً، وفندق، ومصنع للورق، ومطحنان جديدان حديثان، ومصنع للكبريت. وذكر لى أن حوالى ٦٥٫٠٠٠ طفل يتعلمون فى المدارس العامة و٣٥٫٠٠٠ تلميذ يتعلمون فى المدارس الخاصة أو المدارس الأجنبية. وقال إن عدد التلاميذ يزداد كل عام وبذلك يتسنى إيجاد المعلمين لتعليم غيرهم. وصرح بأن العربى قد أخذ يكتسب الوعى الاجتماعى، وهو يتبرع بالمال لمدارس الأيتام والمستشفيات ومدارس التجارة.

ويزعم اليهود أن التحسينات التى قام بها العرب مستمدة من القوانين البريطانية فى ظل الانتداب، وتدفق أموال اليهود، وانبعاث الوطنية العربية من جراء الغيرة من اليهود، وإن العربى يستمتع برخاء عظيم فى فلسطين، ولكن إذا سحبت ملايين الدولارات التى تدخل البلاد كل سنة، وهى الواردات الخفية من الاكتتابات اليهودية، وصار مستوى المعيشة فى فلسطين قائماً على ما تستطيع أن تقدمه البلاد وحدها، فإن هذا المستوى خليق أن يرجع إلى حيث كان تماماً. فإذا حدث هذا فهل يستمر تقدم العرب، والارتقاء التدريجى فى الثقافة؟

النتيجة:

إن هناك عدة إحصاءات تدعم الصورة العامة التى أسلفت عرضها، ولكنى لا أرى داعياً لإيرادها لأنها قد تزيد ولكنها لا تحسن البيان الإجمالى، وقد بعثت بها إليكم. ومهما يبلغ من حرص المرء على عرض الحجج المختلفة عرضاً واقعياً وبأمانة، فلا مفر من إثارة البغضاء والاحتجاجات. واليهودى يؤمن إيماناً روحيا منطوياً على التعصب بفلسطين كبرى لليهود، ولكن العربى يتناول الثرى بيديه ويقول إن هذه أرضه، تاريخاً وفعلا، وانه ما من قوة

ثالثة فى العالم تستطيع أن تسلبه إياها بغير قتال . والمراقبون هنا ومخبرو الصحف يعطفون عطفاً واضحاً على كلا الفريقين ، وهم فى حيرة تامة لا يدرون كيف يمكن الوصول إلى حل .

وليس ثم حل للمسألة الحالية العاجلة ، فإن العالم العربى تثور ثائرته إذا نقض البند الخاص بالهجرة فى الكتاب الأبيض . فإذا لم ينقض ، فإن اليهود سيجأرون بالشكوى فى صحف العالم ، وسيلجأ المتطرفون منهم إلى العنف ما دام يبدو لهم من الممكن أن يخدم العنف قضيتهم . ولن يقبل اليهود الحكم الذاتى لفلسطين وهم أقلية . وإذا استمرت الحالة الراهنة على قاعدة الكتاب الأبيض ، فإن العرب يظلون هادئين ، ولكن اليهود سيقولون للعالم إن الغاية الأصلية من تصريح بلفور للصهيونية قد أحبطت وأن المسألة اليهودية قد عادت فألقيت على كاهل العالم كما كانت دائماً .

ولا أمل فى نجاح فكرة التقسيم . فقد كانت فلسطين فى الأصل جزءاً من ولاية تركية كبيرة هى الشام ، ثم تجزأت بعد سنة ١٩١٩ فصارت شرقى الأردن وسورية وفلسطين الخ ، غير أن هذه كلها كانت وحدة اقتصادية كما كانت النمسا والمجر وحدة اقتصادية ، فلما فصلت النمسا عن المجر — وهى سلة الخبز — ماتت النمسا . وكذلك فلسطين خليقة أن تذوى لولا أموال اليهود ، لأن سورية وشرقى الأردن تقدمان القوت الذى يكسب الجميع الاستكفاء الذاتى . فإذا قامت دولة يهودية صغيرة تحيط بها العداوة والحواجز الجمركية فإنها خليقة أن تهلك .

ومما يتبوأ مكاناً بارزاً فى هذه المسألة العربية اليهودية ، ما قررته الولايات المتحدة من استثمار بترول الشرق الأوسط بمد خط من الأنابيب من أرض الدولة السعودية العربية وسيجرى خط الأنابيب مئات من الأميال فى أرض عربية ، ويتوقف عمله على صداقة العرب حتى لا يقذفوا محطة من محطاته ببعض القنابل . ومن أجل هذا — كما قال لى اليهود بأسى وحزن — لا يسع الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية أن تفعل أى شئ يمكن أن يغضب زعماء العرب مثل الملك ابن السعود . ومؤدى ذلك أن مسألة العرب واليهود ستبقى كما هى الآن تماماً إلى ما بعد الصلح .

وعلى هذا فإذا كانت ملاحظاتى صحيحة ، فإن مسألة فلسطين ستموت لعدم وجود يهود مستعدين أن يخرجوا من أوطانهم ويغرسوا أنفسهم من جديد فى جبال أرض المعاد الجرداء .

حركة المقاومة السرية فى أوربا تجد فى الاذاعة البريطانية صوت الخلاص المقبل

إنجلترا وحربها الخاطفة بالراديو

وليم د . باسيلز • ملخصة عن صحيفة " ستردى نايت "

تدل التقارير الواردة من قلب أوربا أن إنجلترا تنشئ الآن فى عالم الأثير الغامض عبر قنال المانش جمعاً لاينفك يتزايد من المستمعين سراً إلى إذاعتها ، ويقدر عددهم الآن بما يربى على ٢٠٠ مليون. ويتدفق صوت إنجلترا فوق القارة فى إذاعات يبلغ مجموعها ٤٤ ساعة إذاعة فى اليوم الواحد ، وهى تذاع فى ٢٤ لغة ، على ٣٦ موجة مختلفة الأطوال . وفى المقر الرئيسى لهيئة الإذاعة البريطانية فى لندن — وهو بناء حصين من القنابل ، يتناوب العمل على مدار الساعة ٦٠٠ شخص فى إنتاج الذخيرة اللازمة لهجوم الأثير — ويشترك فى البرامج ملوك وملكات ، وعدة من رؤساء الحكومات اللاجئة إلى لندن ، وقواد وساسة .

هذا الهجوم الخاطف بالراديو الذى تؤيده أعمال الاستطلاع السرى الجرىء ، يجرى فى الواقع تحت أنف الجستابو . فلندن تعلم — مثلا — حق العلم كيف تبلغ الإذاعة البريطانية مستمعيها فى الممالك التى يحتلها النازى . وهناك رقباء من ذوى الخبرة فى كل ناحية من نواحى أوربا يوالون إطلاع المقر الرئيسى فى لندن على درجة وضوح الإذاعة واستجابة المستمعين لها . وترسل إلى إنجلترا نماذج من أجهزة الراديو الشائعة فى القارة لفحصها ، وتذاع على المستمعين إرشادات لإحداث تعديلات هينة فى تلك الأجهزة لكى يتسع مدى قدرتها على التقاط الإذاعة . فيقال للألمان — مثلا — كيف يهيئون فى مساكنهم سلكا هوائياً يلف على إطار ليتخلصوا من (التشويش) وكيف يصلحون جهاز جوبلز الشعبى ذى الصمامين ليتسنى لهم التقاط إذاعة لندن بوضوح .

ولهزم هذه المجهودات أنشأ النازى إدارة خاصة للاذاعة الدفاعية رجالها من خبراء الراديو . ولما كانت هذه الإدارة تعترف بأن عقوبة الإعدام لم تحل بين الأوربيين وبين الاستماع إلى لندن ، فقد اقترحت الاستعانة (بالتشويش) على نطاق هائل . فالموجات اللاسلكية المنتشرة فوق

أوربا شحنت بقوقأة خليطة من أنغام أرغن يدوى ، وذبذبة مناشير موسيقية ، وشقشقة عصافير ، ولغط أصوات ، ورنين مطارق على السندان ، وصفارات بحارية ، وإشارات (مورس) البرقية الصاخبة .

فأخذت إنجلترا بثأرها مستعينة بأجهزة إضافية للارسال ، واذاعت البرامج ذاتها على موجات متعددة قد تصل إلى ١٢ موجة مختلفة الأطوال . فما كان من الألمان إلا ان عززوا محطات (التشويش) الكبرى بآلاف من محطات إضافية قوتها ١٠٠ واط تؤثر الواحدة منها فى محيط ميلين . وفى برلين مراقب عام (للتشويش) وهو الذى يختار البرامج التى يجب أن يعبث بها ، ويصدر أوامره إلى مراقبي المناطق وهؤلاء يسارعون بإنباء محطات التشويش الصغيرة التى تتخذ مقرها عادة فى مراكز الجستابو المحلية . فإذا بدأ البرنامج غير المرغوب فيه استوثق مراقبو المناطق من نجاح التشويش ، أو استنهضوا مشوشين إضافيين إذا لزم الأمر . ولهؤلاء المراقبين وحدهم حق الاستماع .

وفى محاولاتهم المحمومة لكتم صوت إنجلترا ، خصص الألمان للتشويش من الوقت والنفقة والعدة مالم تظفر به الإذاعة ذاتها .

وعند اختيار المذيعين لأوربا يلجأ خبراء لندن إلى وسيلة جد عملية ، ذلك أنهم يضيفون تشويشات على شريط اختبار صوت المذيع ثم يستمعون إلى النتيجة . وقد أثبتت التجارب خلال أشهر طويلة أن خير الأصوات للتغلب على التشويش هو الصوت الذى يحافظ على نبرة موحدة النغمة ، تعلو طبقتها قليلا ، وينتظم إيقاعها ، ولا يجدى الاعتماد على جاذبية الصوت التى يهفو إليها مذيعو الأنباء فى أمريكا .

وأكثر ما يهتم به مستطلعو آثار الراديو فى إنجلترا ، هو التثبت من نوع البرامج التى تروق لمختلف الممالك . إن أناساً يعرضون أنفسهم للموت فى سبيل الاستماع ، لجديرون بأن يكون لهم حق اختيار برامجهم .

وهناك وجهة نظر تجمع عليها كافة الشعوب الأوربية ، ألا وهى إبطال « الإذاعة المنمقة » . فقد صرح أحد رجال المقاومة السرية فى بولندا قائلا : « نحن فى أوربا وسط معركة شاقة مرة مع النازى ، فلا تزودونا بخطب وقصائد عن جمال الحرية والاستقلال ، بل كل ما نطلبه هو أن تزودونا بالأنباء القاطعة حتى نعلم كيف يسير القتال » .

ولذلك فإن المستمعين الأوربيين يتلقون برامج تخصص ثلاثة أرباعها لنشرات الأخبار بدون تعليق ، وربعها الباقى لأحاديث من زعماء البلد وتعليقات ومتنوعات أخرى .

وعلى الضد من الأسلوب المطنطن الذى استنه جوبلز للاذاعة ، وتمهيده لنبأ لا يستغرق إلا دقيقتين بمؤثرات نفسية تدوم ربع ساعة لتشوّق السامعين وتزيد لهفتهم ، تتمسك لندن فى إذاعتها بأسباب الهدوء والصراحة ، وتميل — إن مالت — إلى القصد فى بياناتها.

وتضع لندن حماية المستمعين فى المحل الأول من اعتبارها ، إذ يجب أن تكون كفيلة بتحذير مستمعيها إذا استحدث الجستابو أصواتاً مشوشة يذيعونها على موجة مماثلة للموجة البريطانية ليتمكن عيونهم الذين يجوسون خلال الديار بآلات حساسة كاشفة من الاستدلال على المستمعين للندن . وتحاذر لندن فضح المستمع بإذاعة موسيقى رنانة عالية أو رفع طبقة الصوت .

ويقول أندريه فيليب الزعيم الاشتراكى الفرنسى الذى استطاع أن يروّج نشرته السرية فتبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ نسخة ، إن الفضل كل الفضل فى وجود المقاومة السرية يعود إلى الإذاعة البريطانية وتشجيعها . فمئات من النشرات السرية ، تمد بانتظام بالأنباء ، يتلقاها مسجلون مختبئون فى أنحاء أوربا . وإذا لم يتوفر لمحررى هذه النشرات وسائل الاتصال المحلى بغيرهم ، أحيطوا علماً بما يجرى فى أنحاء بلدهم ، كما تذاع تحذيرات لاتقاء المبلغين الخونة .

وتتبع لندن فى دعايتها سياسة موحدة المبدأ : وهى عرض وجهة النظر البريطانية . فبينما تزعم ألمانيا والروسيا أن برامجهما تذاع من محطات « حرة » داخل بلاد العدو ، تعلن لندن بجلاء أنها صاحبة البرامج وتحرص على طبعها بالطابع الإنجليزى الصميم .

وقد دلت الأبحاث المستفيضة عن أمزجة المستمعين أن الأوربيين يفضلون الاستماع إلى أصوات إنجليزية أصيلة من لندن . فالألمان — حتى من كان منهم يمقت النازية — يعدون من الخونة ، كلّ ألمانى يعمل مع العدو خارج بلادهم ، ولكن الإنجليزى الأصيل وإن لم يحسن نطق اللغة الأجنبية ، يقف من الوجهة الأخلاقية موقفاً سليما يجعله جديراً بانتباه السامعين .

وقد فاق إقبال الأوربيين على اتباع تعليمات لندن كل ما كان يتوقع . فلما نصح التشاك بمقاطعة الجرائد التى يشرف عليها الألمان ، لم يمر يوم واحد حتى تضاءل توزيعها وتكدست فى محطات السكك الحديدية أعدادها الكاسدة . وأعدت حملة « لعرقلة الإنتاج » فى المصانع الحربية فى أنحاء أوربا ، فكانت وصيتها للعامل «ضاعف مرات تمخطك ، واعطس مراراً ، وضاعف مرات ذهابك إلى المرحاض ،

وضاعف وقت مكثك فيه » فاتبعها العمال فى أوربا كلها ، وسرعان ما صدرت إنذارات الألمان تهدد بعقوبات جسيمة جميع «هؤلاء الأغرار الذين يصيبهم الزكام والإسهال بعدوى من هيئة الإذاعة البريطانية » .

وحتى فى الدوائر الرسمية الألمانية تتمتع كلمة لندن بسلطان كبير ، مما يغتم له دعاتهم دائماً . فقد حدث أخيراً أن الملازم الأول (فين) وهو قائد غواصة ، أبلغ بأن طائرات السلاح الجوى البريطانى هاجمته وغواصتين أخريين ، وأن إحداها كفت عن إطلاق النار وحاولت أن تغطس فى الماء ، فتمكنت الطائرات من أن تطبق ، ففتكت بغواصتين ولم تنج إلا غواصته هو. فأزجيت إليه التهانى ، ونشرت الصحف قصة نجاته . ثم إذا بألمانيا تستمع لرواية لندن عن الحادثة فى إذاعتها . فقد كانت غواصة «فين» هى التى كفت عن إطلاق النار وغطست ، فقدم الملازم (فين) فوراً إلى المحاكمة العسكرية . والظاهر أن السلطات الألمانية كلها لم تجد عجباً ما فى ترجيح الرواية الإنجليزية على رواية ضابط ألمانى .

وقد يكون فى مقدور إنجلترا أن تحافظ على هذا الجيش العرمرم من المستمعين بعد الحرب، إذ أنها أسست لها — وسط الفوضى التى تعم أوربا — إمبراطورية قوية ، تقوم قواعدها على الإذاعة ، وتستقر مكانتها فى قلوب الملايين .

عمر الرجل !

يكون الرجل شاباً إذا استطاعت سيدة أن تسعده أو تشقيه ، ويكون كهلا إذا وسعها أن تسعده ولم يعد يسعها أن تشقيه ، وهو هرم مفروغ منه إذا عجزت عن إسعاده أو إشقائه .

[كتبه عازف البيانو موريس روزنتال فى الخامسة والسبعين فى مجلة « تايم »]

☆ ☆ ☆

● القاص المجيد شخص له ذاكرة قوية يرجو أن لا يكون لغيره ذاكرة مثلها .

[إرفين س . كوب]

● الغيرة : هى الصداقة بين امرأتين .

هل لك فى استعمال قشر البيض
أو قرص من السباغ أو قرص من البرسيم فى جفنة ؟

أغذية جديدة لمائدتك

جورج بويندكستر + ملخصة عن مجلة "ستردى ايفننج بوست"

فى جميع أرجاء أمريكا ، تتكشف الآن مواد جديدة للطعام ، فالعلماء ينقبون فى الزوايا المتوارية ، ويستخرجون نماذج من صناديق العلف ، ويحدّقون حتى فى جزاز العشب والتبن عسى أن يجدوا مواد جديدة للطعام . فالنفايات من قشر البيض إلى السمك الذى كان يستعمل فى التسميد تقع جميعاً تحت البحث الدقيق .

وأحد هذه الأطعمة سمك « المنهادن » وهو نوع من السمك لم يكن فى يوم ما أكله شائعاً لما يحويه من آلاف العظام ، رغم أن لحمه لذيذ الطعم ، يشبه من وجوه ، لحم السالمون . ففى العام المنصرم كشف الباحثون عن أنه يمكن إذابة هذه العظام بطهى السمك ثم تعبئته ثم طهيه ثانية تحت ضغط عال . وهكذا أصبح هذا النوع من السمك — وهو يدعى الآن « بالرنجة الفضية » — من ألوان الطعام المفضلة فى بريطانيا بين أطعمة الإعارة والتأجير . ولعل علبة منه تزن رطلا تباع بعد الحرب بثمن بخس بين قرشين وثلاثة قروش .

وثمة طعام آخر ولدته الحرب وهو الخليط الشهى المؤلف من الموز المجفف ولب جوز الهند ، وقد يؤكل كما هو حين يستخرج من العلبة التى يحفظ فيها ، أو يلف كأنه قطعة من الحلوى . أما الموز المجفف فيغلب أن يكون مادة لزجة ، وتصبح كالثريد إن طبخت .

وقد صنع شاب يدعى جون فوركنر طريقة تهيئته ، وهو يستعمل أصابع الموز بقشورها ، إذ ثبت أن فى القشور مادة مغذية ، تضارع ما فى اللباب نفسه ، فالموز يجفف فى حقوله ثم يوسق مجففاً إلى مصنع فى كاليفورنيا حيث يطحن ويمزج بلباب جوز الهند والسكر ، ثم يخرج كتلا صغيرة سمراء داكنة طيبة المذاق .

ولقد قامت شركة تجارية بتهيئة مزيج من الحبوب واللحم وجعلته قطعاً ، تبلغ الواحدة حجم قطعة من « البقلاوة » وهى تقوم مقام وجبة كاملة من الطعام . وإن علماء الحكومة الأمريكية ، الذين يبحثون صنع أقراص غذائية ، يعالجون تحويل الخضر والفاكهة إلى مسحوق مستخلص من

عصارات الألياف التي لا تحوى فائدة غذائية كبيرة . فالبوشل من السبانخ يمكن تحويله إلى قرص صغير يحتفظ بكل ما فى البوشل من قيمة غذائية .

وجل الفضل فى هذا الفوز يرجع إلى « مات ستاكوم » ، فهو حين اخترع آلة تبين له أصلح أنواع الخشب لركائز أحواض السفن . . . لم يكن يفكر فى مسائل الطعام وكان يختبر أنواع الخشب بضغطها ضغطاً يستخلص به منها راتنجياتها وعصائرها ثم يحللها . وعلى غير قصد منه ، أهمل بعض هذا العصير فى زجاجة . وقد أخذ منه العجب بعد بضعة أسابيع حين كشف أن العصير لم يتخمر ولم يفُرْ من الزجاجة ، على حين لم يكن السائل قد عولج بشىء يحول بينه وبين التخمر والفوران . فجرب التجربة نفسها فى كل من قصب السكر والبرسيم والبرتقال ، فما حدث شىء .

فقرر ستاكوم أن الضغط العالى المستعمل فى استخلاص العصارات لا بد أن يكون قد حطم الخلية فخرجت منها بعض المواد الواقية من التخمر ، وهى توجد فى جميع أنواع النبات . فإذا صح هذا فعساه أن يكون قد حمل عوامل أخرى فى السائل على الاستقرار . ولقد حلل عصير البرسيم وعصير البرتقال ليكشف ما فيهما من فيتامين جـ فألفاهما محتفظين بجل ما فى المادة الطازجة من هذا الفيتامين . وإذ ذاك جفف ستاكوم هذه العصائر بالحرارة فحولها مسحوقاً ، فظلت فيتاميناتها كاملة غير منقوصة ، وظل مذاقها لذيذاً .

هذه الطريقة الحديثة تفتح مجالا واسعاً فلعل البرسيم يضحى مادة أكل ، فهو أغنى من البرتقال فى فيتامين جـ وأرخص ثمناً ، ولعل عيدان الذرة تصبح مصدراً للغذاء يفوق حبوبها ، وعسى أن تكون عرائش البسلة غذاء أجدى من حبوب البسلة نفسها .

ولقد صنع فريد مولينز طريقة أخرى تتيح غذاء الحيوان للانسان . فقد قضى سنين يهيء طعاماً من السمك المطحون يقدمه للثعالب والنموس . وكان هذا الطعام يبدو مغرياً فتذوقه مولينز ، وكان يحوى السمك كله لا بعض أجزائه ، وهو نوع من سمك السردين ، ومن الأسماك القليلة التى لا تتغذى إلا بالنباتات المائية الدقيقة يشبه فى ذلك المحار ، فالسمكة كلها تصلح للأكل .

ولقد أثبت التحليل أن هذا السمك المطحون يحتوى على فيتامينات وأملاح معدنية أكثر مما يحويه السمك العادى المحفوظ الذى تتركز هذه المواد فى أعضائه الداخلية . وثبت أن فيه من الريبو فلافين ،

وهو أندر الفيتامينات ، مقداراً يعادل ضعف ما يحتويه اللحم ، ثم فيه مقـدار كبير من البروتين . وتشـــبه أقراصه في منظرها وطعمها ، المعروض في السوق من عجائن السـمك الأخرى ، ولـكنها لا تضاهيها فيما عولجت به من أنواع التوابل .

وقد صنع طعام جديد سينقذ مائة مليون رطل من أنواع شتى من السمك كالقـدّ والرّماح الأزرق والبياض والبورى من البوار ، وهى تنبـذ الآن لأن السماكين لا يقيمون لها وزنا تجاريا ما .

هذا الطعام الجديد هوالسمك المطحون، وبه تحول هذه النفايات إلى خدمة أغراض الحرب . فبعـد أن يزال الرأس والذيل والأحشاء ، يطهى السمك ثم يطحن ويعبأ مضغوطاً في علب ، ولك بعد ذلك أن تقطع منه شرائح فتقليها أو تنشرها على قطع من الخبز أو تصنع بها « يخنة » أو فطائر محشوة بلحم السمك . وهو الآن يعبأ ليشحن بحسب قانون الإعارة والتأجير . أما بعد الحرب ، فلا ريب في أنه سيتخـذ مكانه على رفوف البدّالين الأمريكيين .

وحين أرغم نقص القصدير أحد المصانع الأمريكية على خفض إنتاجه من الفاصوليـا المطبوخة المحفوظة ، أخذ يجرب التجارب ثم شرع ينتج في شـكل مجفف ، فاصوليـا مطبوخة بصلصتها . وهـذا طعام يمكن أن يعدّ للأكل في ١٥ دقيقة . ولقد نجح هذا الطعام نجاحاً باهراً فقرر الجيش الأمريكى ابتياع كل مايصنع منه ، وستكون الفاصوليا المجففة ، بعد الحرب ، إحدى مواد الطعام المألوفة في دكاكين البدّالين .

وقد صنع نوع جديد من البروتين يشبه الخمـيرة في رائحتـه في مصانع الـكحول ، فالبروتين والنشا يفصلان عن الدقيق الخشن للقمح ، ثم يخمر النشا فيصنع الـكحول . وهذا البروتين يشبه جبن الريف الطرى ، وله طعم الخمـيرة المجففة ورائحتها . ويمكن أن يضـاف إلى الأصـناف التى تفتقر إلى البروتين ، أو يجفف ويطحن دقيقاً ، أو يدخل في مواد طعام الإفطـار والأغذية المحمصة .

وتعـانى أمريكا نقصاً عظيم الخطـر في معدن الكلسيوم ، وهو نقص كان بادياً في طعـام الأمريكيين قبـل الحرب . والآن صنعت آلة تسحق قشر البيض ، وهو غنى بالكلسيوم ، فيضاف المسحوق الناعم إلى البيض قبل تجفيفه . وكذلك عظـام البقر والدجاج هى مصـدر آخر من مصادر الكلسيوم وبعض المعادن الطبيعية الأخرى . وثقل القهوة يحوى من البروتين والدهن مقداراً يعادل مايحويه لحم البقر ، ومن المواد

النشويةمقداراً يعادل مافىالفاصوليا الرومية.

ويمكن اســتخلاص زيت للأكل من قشور الأرز التى تســتعمل الآن فى علف الماشــية ، ومن بذور العنب المتخلفة من صناعة النبيذ .

وأعظم شأناً من هذا احتمال استخراج زيت من القرع اليابس ، يقـال إن مذاقه كمـذاق زيت الزيتون . ويمكن إنتـاج هـذا القرع على نطـاق واسع فى وســط أمريكا وجنوبها . فيعصر من بذوره زيت يستطاع أن ينافس ثمنه ثمن زيت الطهى العادى.

ولا ريب فى أن أطعمة الغد ستمد مائدة الطعام بعـد الحرب بمقادير وافرة ، وعما قريب يحـل اليوم الذى يستطيع فيه كل إنسان أن يجـد نصيبه اليومى الوافى من الوحدات الحرارية والفيتامينات والأملاح المعدنية فى أصناف متباينة ، وفى مذاق لم يرق إليه خيال من قبل .

● سبيلى فى الفكاهة أن أقول الحق ، فإن هذه أطيب فكاهة فى العالم .
[برنارد شو]

سؤال محرج

لما قام لاجوارديا بأول حملة انتخابية لمنصب محافظ نيويورك فى سنة ١٩٢٩ ، اتهم جيمى ووكر المشهور بكل ضروب الفساد والرشوة ، ولم يرد ووكر على أية تهمة منها . وقال لى « لماذا أقوم أنا عنه بحملته الانتخابية ؟ كلا ، لن أبنى له مجداً . ولكنه قد يكون من بواعث التسلية أن أوجه إليه سؤالا واحداً — ماذا كان يصنع فى ووتر برى فى يوم ١٦ يوليه سنة ١٩٢٨ ؟ » .

فسألته : « هل كان هناك فى ذلك الوقت ؟ » .

فقال ووكر « لا أدرى . ولـكن إذا سألته هـذا السؤال فإنه خليق أن يظل يصيح منكراً أنه كان هناك حتى يغدو وجهه أزرق من الجهد، وأخلق بعد ذلك بكثيرين من المغفلين أن يظلوا يعتقدون أن فى الأمر شيئاً يحسن ستره » .

[وليم كونكين فى كتابه : « رأينا ذلك يحدث »]



هوليوود تصغى إلى النظارة

وليم ا . ليدچيت . ملخصة عن مجلة « إدارة السجع »

صاحب سينما روكسى بمدينة نيويورك يقول قبل وفاته : « إن الجمهور يعلم دائماً ماذا يريد بعد مشاهدته » . وقد خصصت شركة راديو وشركة كولومبيا وغيرها أكثر من نصف مليون دولار لتتعلم ما يريده الجمهور قبل أن يصنع الفيلم ، وأحياناً قبل أن تشترى القصة .

وللهيئة التى أخذت على عاتقها القيام بهذا البحث — وهى معهد الدكتور جورج جالوب لأبحاث النظارة — مراسلون يقيمون فى نحو ١٠٠ مدينة من مدن الولايات المتحدة كبيرها وصغيرها ، من نيويورك إلى ووكى بولاية أيووا (وسكانها ٤٧٣) ، وهؤلاء المراسلون مُزوّدون بموجز لقصة فيلم ما ، فيقابلون مئات من الناس ويسألونهم واحداً واحداً : هل تحب فيلماً قائماً على هذه القصة ؟ وما مبلغ حبك له ؟ ولماذا تحبه ؟ وتشمل هذه الأحاديث الشخصية طائفة من الناس تمثل جمهور رواد السينما .

وقد أصدر هواة السينما أحكامهم على أكثر من ١٠٠٠ قصة سينمائية عن طريق معهد أبحاث النظارة فرفضوا نصفها على أنه لا يصلح فى نظرهم لفيلم من الدرجة الأولى . وتكاد الأحكام التى تصدر على مقدار ما يصادفه الفيلم من نجاح مالى أن تكون صحيحة على الدوام . وقد تنبأ معهد الأبحاث بدقة عظيمة عن رواج فيلم «عودة الأسير» و « السيدة الماجنة » (سيدة برليسك) و « بلاد الشمس المشرقة» و «مسز منيفر» وكثير غيرها .

ويقابل هذا إخراج أفلام لم تصب نجاحاً مثل « الرجل الذى باع نفسه للشيطان » ، و « التضحية العظمى » برغم تحذير معهد الأبحاث ، فلما عرضت هذه الأفلام أيّد الاختبار رأى المعهد .

ومن الأمثلة الحسنة على المساعدة التى أسدها المعهد إلى هوليوود فيلم «مسترلكى» تمثيل كارى جرانت وإخراج شركة راديو . فقد كان الدور الرئيسى فى القصة دور يونانى مهاجر ، مقامر ، ساعد جمعية للسيدات على إقامة حفلة خيرية راقصة ، ثم اختلس الأموال . فلم يقبل الناس أن يكون القامر

رجلا يونانياً ، ولم يقبلوا كذلك أن يختلس البطل الأموال التى جمعت لحفـلة خيرية ، فاضطر الأستديو أن يغير شخصية البطل ، وجعله أمريكيا من أصل يونانى ، ثم جعل خصوم البطل يسرقون الأموال فى نادى القمار الذى يديره البطل ، فحاول هذا أن يحبط مكيدتهم، فجرح ، فاستطاع كذلك أن يسترد مكانته فى أعين الناس . فلما عدّلت القصة هذا التعديل تبين معهد الأبحاث أن فيـلم « مستر لـكى » قد يبلغ دخله ثلاثة أضـعاف دخل فيلم عادى من أفلام الدرجة الأولى . وقد دلت نتيجة عرضــه على أنه تجاوز الحد الذى توقعه المعهد له .

ويعبر المعهــد عن نتيجة استفتاء الناس بنسب عددية يطلق عليــه « دليــل اهتمام النظارة » . فالفيلم العادى من أفلام الطبقة الأولى ١٠٠ درجة فإذا حاز الفيلم على مئة درجة من اهتمام النـاس قدّر دخله بمليون دولار ، وإذا بلغت نسبة نجاحه ١٢٥ تجاوز دخله مليونى دولار قليــلا . وقد كانت درجات فيلم « توندلايو المرأة الخطيرة » ١٢١ ودرجات فيلم « لى ولصديقتى » ١٢٩ ، وقد بلغ دخل كل منهما على انفراد عدة ملايين .

ولا تساعد هــذه الأبحاث على تقــدير عناصر القصة فحسب ، كما حدث فى فيـلم « مستر لكى » ، ولـكنها تبين أيضاً مقدار ما يثـيره فريق الممثلين من اهتمام النـاس بالفيــلم . وقد يسأل عن القصة أولا دون تعيين الممثلين ، ثم يسأل عنها بعد ترشيحهم لأدوارهم . فإذا ظهر بعــد السؤال عن قصة عـيّن ممثلوها ، أنها أقل من المستوى العـادى لفيلم من الدرجة الأولى ، فإن هوليوود تعلم أنه يتعين عليها إما تغيير القصة وإما تدعيم فريق الممثلين أو كلاهما .

وإذا أريد الاستفهام عن قصة ما ، صيغ لبابها فى عبارة وجيزة جدا لا تزيد على جمل معدودة . ورجال معهد الأبحاث يستطيعون مع ذلك أن يتوصلوا بهــذا العرض الموجز إلى نتيجة صحيحة عن اهتمام النـاس ، لأن الرجل العادى لا يعلم سوى وقائع عامة يسيرة حين يعزم على مشاهدة فيلم ما . ويلوح أن هواة السينما يحققون دون وعى رأى أحد منتجى هوليوود الذى قال : « إذا كانت قصة جيــدة ، ففى وسعك أن ترويها لى فى ثلاث جمل » .

والإعجاب بالأفلام أو عدم الإعجاب بها لا يختلفان كثيراً باختلاف المناطق الجغرافية ، ولا فرق بين الأرياف والمدن ، غـير أن التفاوت فى ذلك يظهر أكثر ما يظهر بين الجماعات المختلفة فى السن وبين الجنسين . فالفتاة الصغيرة تميــل إلى الملهاة الموسيقية وقصص الحب الغريبــة ، وأخوها وأبوها

يميلان إلى المغامرة والحركة والضحك ، وتفضل أمهما المآسى الغرامية وقصص الزواج.

ومما يدعو إلى الدهشة أن معظم نجوم السينما يميل إليهم من كان من جنسهم لا من كان من الجنس الآخر . فقد أثبت الاستقصاء أن ٧٨٪ من جميع الممثلات ظفرن بإعجاب النساء أكثر مما ظفرن بإعجاب الرجال . ولم يكن فى ذلك العهد سوى سبع منهن فحسب أدنى إلى إقبال الرجال على أفلامهن من النساء ، وهن : هيدى لامار وبيتى جرابل ودوروثى لامور وپوليت جودارد وآن شريدان وآن سوذرن ولانا ترنر . وحين استفتى الرجال سنة ١٩٤١ فى من يفضلون من النجوم ، كان فى رأس القائمة ثلاثة عشر نجماً — من الذكور .

ويفسر معهد أبحاث النظارة هذه الظاهرة بنظرية « تحقيق الذات » ومؤداها أن اهتمام الكائن البشرى بموقف من المواقف مرتبط بمبلغ استعداده لوضع نفسه فى هذا الموقف ، أو يعدّ نفسه هو وصاحب الدور سواء . ونظرية تحقيق الذات تنطبق على مواقف القصة انطباقها على الممثلين . فقد أحب النساء روزالند رسل مثلا فى دور « روث » فى فيلم « شقيقتى إلين » أكثر من حبهن لها فى دور قائدة الطيارة فى فيلم « الفرار إلى الحرية » . فإن طبيعتهن تأتلف مع الفتاة الطموحة التى تسعى وراء عمل فى المدينة الكبيرة ولا تأتلف مع المرأة التى تقود طائرة . وهن فى الواقع لا يعنين بالطيران كموضوع للسينما . فكلما كان الموقف فى الفيلم أقرب إلى ما تصادفه المرأة العادية فى الحياة كان إعجاب النساء به أشد .

يقابل هذا أن الرجال لا يحفلون بالقصص التى تصور الحياة المألوفة فحسب ، بل وبتلك التى تصور الحياة التى يتمنونها . فهم يفضلون الدرامات الزاخرة التى تذكى خيالهم وتكشف لهن عن تجارب جديدة . وهم أقل من النساء احتفالا بالعواطف على الشاشة البيضاء . إنهم يرغبون فى معرفة ماذا حدث ، لا فيما يحسه الناس إزاء ما يحدث .

ويتفق أحياناً أن تتوافر فى قصة ما ، العناصر التى تصادف هوى فى نفوس من يتفاوتون سناً ودخلا ، والذكور والإناث . ومن الأمثلة على ذلك الفيلم الذى حاز نجاحاً هائلا فى اقتراع معهد الأبحاث ، وهو فيلم أرضى الجميع . كان بطله هامفرى بوجارت فأعجب الذكور والشباب به لأنه يفيض بالحياة والجرأة ، وأرضى الفتيات لأنه كان يزخر بالحب ، وأرضى العجائز لأنه كان دراما غرامية ، وكانت بطلة الفيلم أنجريد برجمان وهى أحب ممثلة إلى سيدات الطبقة الغنية ، أما الفيلم فهو « الدار البيضاء » .

وقد توقع له المعهد نجاحاً رائعاً لأنه جمع عناصر متباينة شتى . وقد كان دخله أربعة أضعاف المتوسط .

ويعترف معهد الأبحاث بأن النبوغ والابتكار فى صناعة السينما لا يمكن ردهما إلى قاعدة عامة . ويذهب المعهد إلى أن أعظم عبقرية مبدعة تستطيع أن تصنع فيلماً ناجحاً من فكرة لا تثير فى ذاتها إلا حماسة يسيرة . وقد أساء المعهد تقدير الإقبال على فيلم «خضرة الوادى» تمثيل والتر بيدجون ، لأن إخراج الفيلم أروع إخراج وإتقان تمثيله وحواره وتصويره، وجوه العام ، أمور لا يمكن أن تظهر فى الاستفهام عنه قبل عرضه .

وقد حاول الدكتور جالوب تذليل هذه العقبة بإجراء تجربة بنيويورك على عدد معين من رواد السينما المختارين ، بقياس ما يثيره فى نفوسهم أى فيلم أثناء مشاهدته ، مستعيناً بجهاز كهربائى . فيمسك كل شخص من الحاضرين — وهم ٣٠ أو ٤٠ شخصاً — جهازاً بيده، ثم يحرك إبرة صغيرة ذات اليسار أو ذات اليمين ، إذا راقه المنظر الذى أمامه أو لم يرقه . وتسجل كل حركة من حركات الإبرة على أسطوانة متحركة داخل الجهاز ، ثم تحول النتائج بعد الاختبار إلى رسم بيانى ، يعطى صورة بينة عن درجات التفاوت فى تقدير الفيلم . ويجرى هذا الاختبار قبل عرض الفيلم على الجمهور ، فيتسنى بذلك للمنتج أن يطلب تغييراً فى المناظر التى لم تصادف قبولا . وإنها لمساعدة أخرى يسديها معهد أبحاث النظارة لصناعة السينما بإقامة التقدير على أساس .

● العافية هى ما يشعرك بأن يومك خير أيام السنة .

« النمر » يزأر

كان أحد دعاة السلام يحادث كليمنصو (النمر) مرة ، فسأله : هل بغضه للألمان قائم على معرفتهم ؟ قال : أذهبت إلى ألمانيا ؟

فردّ كليمنصو : كلا ، ياسيدى ، لم أذهب إلى ألمانيا ، ولكن الألمان أتوا إلى فرنسا مرتين خلال حياتى !

الأبسوم الدّالف البليد

لويس نوردايك

ملخصة عن مجلة "سوث وست ريفيو"

يقول علماء الحيوان إن الأبسوم أبلد الحيوان، وأبعده عن الاعتداء. بيد أنه ما يفتا يدب فى الغابات كيف يشاء، فيمد من انتشاره ويضاعف من تعداده.

والأبسوم حيوان أمريكى أصيل، هو البقية الباقية هنالك من الحيوانات الجرابية القديمة التى خصت إناثها بجيوب أو أكياس. وقد عثر فى ولاية مونتانا على جماجم مستحجرة دلت على أن هذا الحيوان قد عاصر «الدناصير» فى العصر الطباشيرى من العصور الجولوجية، وهى جبابرة مفترسة لم تستطع أن تتكيف وفقاً لتغاير الأحوال الطبيعية، فبادت.

إذا انحدرت الشمس نحو المغيب، وناء الظلام، وخيم السكون على الحرجات والجداول فى الجزء الشرقى من القارتين الأمريكيتين، من حدود كندا حتى الأرجنتين، انتفض الأبسوم فى عشه المورق فى وقب شجرة.

الأبسوم: كلمة معربة من لغة الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية.

وبفم فاغر يبين عن كشرة بلهاء، يدفع فنطيسته الطويلة من خلال فوهة ذلك الوقب، ويتطلع إلى الدنيا بعينين كأنهما حبتان لامعتان من حبات التوت. ومن ثمة يزحف على حافة ما بأرجل قصيرة يخيل إليك لقصرها، أن كشحه يكنس الأرض، والظهر مقنطر قليلا، فى حين أن ذنبه الأملط الطويل يلتف من حول غصن من الأغصان. هو الآن متأهب لطوافه الليلى على ضفاف الجداول والبحيرات، وربما انسلّ إلى حظيرة دجاج يطلب رزقا.

وللأبسوم صورة خنزير أصوف، وهو فى حجم هرّ أهلى كبير الجثة، وله فرو أشمط إلى غبرة، وأذنان صغيرتان ملطاوان فإذا بلغ، وزن تسعة أرطال.

وقد جاءت على الأبسوم الوليد فترة استقر خلالها فى كيس أمه الجرابى المؤثر بالفرو، وهو جيب قابل للتمدد سعته أربع بوصات، ويمتد بطول البطن فى الأمهات. وعند ما يبلغ شهراً من العمر لا يكون قد رأى شيئاً من الدنيا الحافة به خارج ذلك

الجراب . أما كيف وصل إلى الجراب وعاش فيه ، فقصته من أغرب القصص التى تروى عن الحيوان .

إن زمن الحمل عند الأبسوم يتفاوت بين ١٤ و١٧ يوماً ، وهى فترة أقل من فترة الحمل عند غيره من الحيوان . وحين ميلاده ، يكون شيئاً قرنفلى اللون لا شكل له ، أقل من بوصة طولا . ولا يظهر النماء والتخلق فى شىء منه سوى فكيه ورجليه الأماميتين ، وليس له عينان . فتساعد الأم ذلك الدانق الضعيف حتى يدلف إلى جيبها . على أن بقاءه لا يضمن حتى بعد دخوله الجيب ، فإن جراب الأم لا يحوى أكثر من ١٣ ضرعاً . والغالب أن يبلغ المولودون ١٦ عدًّا ، فمن ساء حظه منها مات جوعاً . ولا تناوب بينها فى التقام الضروع ، فإذا تسلم مولود منها أحد الضروع تضخم فى فمه ، حتى ليتعذر عليه التخلص منه .

وتمتد الرضاعة فى الظلام شهراً ، حتى يشعر الأبسوم الصغير ذات ليلة أنه فى مستطاعه الإفلات من ضرع الأم ، ويكون قد بلغ حجم الفأر ، وغطى جسمه زغب ناعم ، فيخرج رأسه فى رفق من الجيب فيتبين أنه يبصر وبعد قليل يقدم على الزحف فوق فراء الأم .

فإذا خرجت الأم إلى تطواف الليل ، تسلق صغارها على ظهرها ، ولفت ذيولها الدقيقة على ذنب الأم الطويل ، وهى تمده لهم راضية من فوق ظهرها ، فكأنه سير يمسك به الركاب فى حافلة .

وقبل زمن طويل ، يكون جراب الأم متأهباً لاستقبال جيل آخر . وثلاث بطون فى جو الولايات الجنوبية المعتدل ، ليست شيئاً غير عادى . فإذا قدمت البطن الثانية استقر أفراد الأولى بمقربة ، وغالباً فى العش ، زهاء شهرين ، تنصرف بعدها ساعية . ولن تعرف الصغار أباها فإن « الأباسيم » لا تراعى حرمة زواج ، ولا يحمل الذكر أية مسئولية بعد الوضع .

وعلى طوال طريقه الذى يقطعه وئيداً غير متعجل ، يواجه الأبسوم أحياناً المخاطر والآفات ، فالنسور والبواشق وضخام السنانير المفترسة ، تطلب لحمه ، ويقتنصه الإنسان والكلاب . وقد خص غيره من الحيوان بوسائل للدفاع كالناب والمخلب والسرعة والحيلة والقرون والأشواك والدروع والمفرز الكريه والصوت المروّع ، وليس للأبسوم شىء من هذا ، فإن سلاحه الأوحد عدا تسلق الشجر ، هو التظاهر بالموت .

تهاجمه فرقة من الكلاب ، فسرعان ما يتجعد حتى يرى كأنه كومة لا حياة فيها . أما أسنانه البارزة فتحمى نحره ، المكشوف للخطر ، فتنهشه الكلاب وتهزه ، فتتهاوى

أعضاؤه على الأرض مسترخية كأنه فى همود الموت ، ثم تنصرف الكلاب . وبعد فترة طويلة قد ينهض الأبسوم الجريح ، ثم يمشى . وهو الحيوان الوحيد الذى يظل متماوتاً ، بينما يصر عدوه أسنانه عند نحره ، أو يضربه بعصا غليظة . ولكنه قد يموت أحياناً إذ يتماوت .

ويرى كبار المواليديين أنه لا يتخذ قصداً هذه الوسيلة أداة دفاع عن النفس ، وإنما هم يظنون أن اقتراب الخطر منه أمر لا يحتمله جهازه العصبى، وأن الخوف يشله إلى حين . وقد يكون ذلك صحيحاً ، غير أن كثيراً من القناصة قد أصابهم الأبسوم بجراح خطيرة ، إذ ينتفض فجأة .

وذات مرة أوسع كلب أبسوماً هزاً ونفضاً ، وظن كل من الصبى والكلب أنه ميت ، ولكن عندما قرب الصبى إبهام قدمه العارية من الشفتين المكشرتين ، أصابته قضمة أسالت دمه .

ويغلب أن يكون فى كل مملكة قليل من الأباسيم ، بالرغم من أن هذا الحيوان لا يستسيغ البرد ولا البرارى . وهو يأكل كل شىء يجده من فواكه وخضر وجذور طرية وطيور وبيض وقواضم وحشرات وسمك وضفادع . ولقد تعلم كيف يجد طريقه إلى حظائر الدجاج ليفوز بطعام طيب . وهو من البلادة بحيث يقدم على التهام فريسته فى الحظيرة وهى لا تزال دافئة ، حتى ولو ملأ بقية الفراريج الجو صياحاً وأثارت غضب الفلاح .

وقد أخذ الأبسوم اسمه هذا من هنود فرجينيا الحمر ، حيث رآه المستعمرون هناك أول مرة. وهو فى الواقع الحيوان الشائع فى جنوبى الولايات المتحدة ، وصيده هناك من الرياضات المحبوبة ، ومن أجله تدرب سلالات أصيلة من كلاب الصيد .

وقد يحصل الصبية على بعض الكسب من صيد الأبسوم وبيع جلده ، فيتفاوت ثمنه بين قرشين وعشرين قرشاً . وجلود الأباسيم من المحصولات ذوات الشأن فى أمريكا . وشواؤها أكلة شائعة فى الجنوب ، وبخاصة عند الزنوج . ومع هذا كله فإن الدالف البليد يمضى شاقا طريقه إلى البقاء فى الغابات ومجارى النهيرات الجافة ، كاداً عاملا ، شأنه خلال عصور طوال . والظاهر أن الأبسوم سيظل باقياً إلى ما شاء الله .

● لم تخسر أمريكا قط حرباً ، ولا كسبت مؤتمراً . [وليم روجرز]

تيدر – نائب قائد الغزو

لويل ف. بوش • ملخصة عن مجلة "لايف"

صورة للقائد الجوّى المبدع قائد سلاح الطيران البريطانى فى الشرق الأوسط سابقاً، والساعد الأيمن للجنرال أيزنهاور الآن.

مارشال الجو السير آرثر وليم تيدر، نائب الجنرال أيزنهاور، والقائد الذى يلى القائد العام لغزو أوربا، رجل يوصف بأنه يبدو كالمتعب، وفيه دعابة وعبث يستغربهما من يظن أن قواد الجو لابدأن يكونوا ذوى جهامة وصرامة.

وهو يحب أن يقضى لحظات الفراغ فى الرسم أو فى العزف على البيانو أو فى قراءة الشعر. ومن عادته فى اجتماعات هيئة أركان الحرب أن يقعد ورجلاه على ذراع الكرسى، ويدخن الغليون راضياً، وإذا أراد أن يقول شيئاً – وهذا نادر – قاله فى الأغلب بصوت خفيض وبلهجة تنطوى على تهكم خفيف ودعابة رقيقة.

وقد كان مراسلو الصحف، فى مؤتمرات الشرق الأوسط، يدهشهم أن يروا فى آخر الموكب الجليل المؤلف من السيارات الفخمة التى يستقلها المندوبون فى المدينة، سيارة خرعة من سيارات « جيب » يقودها تيدر، ويمضى بها كأنها مركبة (السبنسة) الملحقة بقطار الضاعة. ولم يكن هذا من القائد الجوى غير مألوف، فقد حصل على سيارة من طراز « جيب » فى الجزائر منذ عام، ولم يزل بعد ذلك يقودها بنفسه ويذهب إلى حيث يشاء.

وهو ودود بغير تكلف. زار مرة مطاراً للسلاح الجوى الملكى فى الشرق الأوسط، فى يوم قائظ، وكان يرتدى قميصاً قصير الكمين، ورأسه عار، ولكنه كان يلبس ربطة الرقبة التى يتخذ فى السلاح الجوى، فلم يعرفه أحد الصناع فى المطار، وسأله عن هذه الربطة لماذا يلبسها فقال تيدر: « إنى من ديوان القيادة، وأنت تعرف مبلغ جفوة الرئيس ».

ومع أن تيدر أنجح قائد جوّى فى هذه الحرب، إلا أن الجمهور لا يعرف عنه إلا القليل.

وقد أفردته أعماله فى الحرب وجعلته طرازاً وحده، فهو الذى اختار وحسّن ذلك النوع من الطائرات الذى مكن بلاده

من كسب معركة بريطانيا ، وهو الذى وضع الخطة ونفذها لانتصار السلاح الجوى البريطانى على السلاح الجوى الألمانى فى مصر ، وجعل من الممكن أن تغير معركة العلمين مجرى الحرب ، وهو الذى أدار المعارك الجوية التى كان لها الفضل الأكبر فى الاستيلاء على تونس وغزو صقلية وإيطاليا .

ومن المهمات الأخرى التى قام بها تنسيق الجهود البريطانية والأمريكية ، لما وصل الجنرال لويس بريرتون ليتولى قيادة القوة الجوية التاسعة التابعة للولايات المتحدة . وقد تحاب تيدر وبريرتون النشيط السريع الغضب ، من أول لحظة ، ولعل السبب الأكبر هو الدهشة المتبادلة . فكان تيدر يسمى صاحبه « ذا القدم الحامية » وصاحبه يدعوه « الرئيس » . ويحب تيدر أن يزعم أن الأمريكيين والإنجليز مختلفون فى وجهتى النظر اختلافاً لا أمل فيه ، وأنهم يتكلمون لغتين متباينتين . ويرى أن هذا أكفل بالتعاون من افتراض تشابه وجهات النظر .

وقد وصف جنرال أمريكى طريقة هذا القائد الجوى الذى يناهز الثالثة والخمسين فى حل المسائل النظامية بديوان الرياسة فقال : « أجىء إليه بمشكلة فنتحدث فيها ، وأخيراً نتفق على أن كيت وكيت خطأ فى خطأ . ثم يقول تيدر : « سأحاول أن أدبر الأمر » ويخرج من الغرفة ويعود بعد عشر دقائق أو نحوها فيقول : « قد دبرته » فيدبر الأمر فعلا » .

وكان أبو تيدر موظفاً فى أعمال الجباية يعيش فى ديفونشير . وبعد أن درس تيدر فى جامعة كمبريدج التحق بخدمة المستعمرات ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى كان ضابطاً فى كتيبة دورستشير ، ولكن ساقه أصيبت بأذى جعله غير صالح لأعمال المشاة . فقال : « إذا كنت لا أستطيع أن أمشى ، فسأطير » .

وقضى العامين التاليين فى الفيلق الجوى الملكى ، أولا كطيار فى قاذفة ثم قائد سرب استطلاع . وقد أسقطت طائرته مرة ، وذكر ثلاث مرات فى التقارير . ولفت نظر رؤسائه ببراعته فى التنظيم أكثر مما لفتهم ببراعة طيرانه . وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان يتولى عملا إداريا فى القاهرة .

وأدرك تيدر أن السلاح الجوى الملكى — وكان جديداً — لا بد أن ينمو ، فقرر أن يبذل معونته فى إنمائه . وفى خلال العقدين التاليين ، تولى مناصب عدة ، من معلم طيران إلى مدير التدريب فى وزارة الطيران ، فوضع النظريات الخاصة بكيفية إدارة الحرب التالية فى الجو .

ويذهب تيدر إلى أن الألمان لا يحسنون حرب الجو ، وأنهم وإن كانوا خبراء مهرة

فى الأعمال الفنية وكطيارين، إلا أنه ينقصهم الخيال الذى يستجيبون به لدواعى هـذا العنصر الجديد واحتمالاته ، وهذا لا يتيسر لشعب معبأ كالألمان . وقد أعد الألمان قوة جوية للحرب الحاضرة فحصروا همهم فى أنواع من الطائرات تصلح لضرب الأهداف الأرضـية . ومن رأيه أن السلاح الجوى الألمـانى قد يحسن العمل فى أوربا ، حيث لا توجد أمة تملك مثل هذه القوة ، ولـكن إذا وجـدت قوة جوية متينة حيالها فإنها تستطيع أن تهزم الألمان .

وفى سنة ١٩٣٨ صار تيدر مدير الأبحاث للسلاح الجوى الملـكى فدار البحث على هذه المسألة : هل تقلد إنجلترا قوة ألمانيا الجوية أو تسـتحدث نوعاً مختلفاً ، فأقنع تيـدر زملاؤه بالرأى الثانى ، وكانت النتيجة أن طائرات سبتفاير كانت حاضرة مهيأة لمـا نشأت الحاجة إليها ، وقد ساعدها على أداء مهمتها — « الرادار » الذى كان لتيدر فضل كبير فى ترقيته .

ولمـا عين تيـدر قائداً للسـلاح الجوى الملـكى فى الشرق الأوسط شرع فى العمل ليثبت أن التأييد الجوى يجب أن يعاون القوات البرية، بالقضاء على قوة العدو الجوية. وبعد ذلك لا قبـله يتعقب السـلاح الجوى الدبابات والمدفعية ووسائل النقل التى للعدو وابتكر خططاً جديدة ، وقبـل أن تدور معركة العلمين بعام، بدأت قوته الجوية هجوماً جريئاً على السلاح الجوى الألمانى . وقد كان من جراء النجاح الذى أحرزه السلاح الجوى البريطانى فى تحطيم القوة الجوية الألمـانية ، أولا، ثم فى العصف بخطوط التموين الطويلة لجيش روميل، أن صارت نتيجة معركة العلمين مفروغاً منها ، وكان فضل السلاح الجوى أعظم من فضل عامل آخر بمفرده .

وعلى مقتضى هذه المبادىء طردت قوات تيدر الجوية السـلاح الجوى الألمـانى من تونس قبـل أن تنتهى المعركة البرية بزمان طويل . ثم كان التطويق الجوى حائلا بين ١٥٠٫٠٠٠ من جنود المحور وبين الفرار بحراً إلى صقلية . وكان هذا تمهيداً لغزو إيطاليا الذى كان عبـارة عن تجربة كاملة للمهمة التى يعالجها تيدر فى الوقت الحاضر .

وقد نبه تيدر ، فى مؤتمر الدار البيضاء إلى أنه كلما ضاق الخناق على الألمان فى أفريقية الشمالية ، فإن قوته الجوية ، والقوة الجوية التى تعمل تحت قيـادة أيزنهاور تتراكبان واقـترح إدماجها ، فاختـــاره تشرشل وأيزنهـاور لرياسة القوتين المنـدمجتين . وتشـمل القيادة الجوية للبحر المتوسط — وهى من أكبر المناطق التى يتولى القيـادة فيها رجل واحد ، فى هـذه الحرب أو أية

حرب أخرى — البحر الأبيض المتوسط وأفريقية كلها ، ورقعاً كبيرة من المحيط الأطلسى ، والمحيط الهندى ، ومعظم أوربا الجنوبية . وقد راوح تيدر بين الضباط الإنجليز والأمريكيين فى القيادة ، فوفق فى نهجه . وتيدر اليوم لا ينوب فحسب عن أيزنهاور، إذا وقع له حادث أو أصابه مرض، بل هو أيضاً مستشاره الأكبر . وقد يتقرر مصير الغزو — نجاحاً أو فشلا — بقرارات تيدر فيما يتعلق بالقوة الجوية .

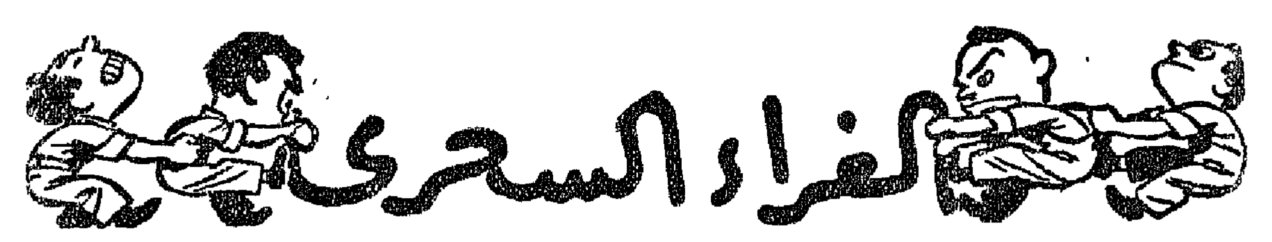
ويعيش السير آرثر تيدر وزوجته قرب لندن ، وقد منح هذا اللقب غير الوراثى جزاءً له على « خدمته الممتازة » فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ . وقد قضت زوجته الأولى نحبها فى حادثة طائرة منذ عام ، وقتل ابنه الأكبر فى غارة على ألمانيا فى سنة ١٩٤١

وقد كان الارتقاء المدهش الذى أحرزه السير آرثر فى العامين الأخيرين من ذلك النوع الذى يكون من أثره أن يشيع فى النفس الشعور الصادق بقيمتها ، ولكنه كان له على ما يبدو نقيض هذا الأثر . فإنه ينفر من مخاطبة الجماهير ، ولا يكاد يفعل ذلك أبداً ، وبدلا من أن يخطب هو ، يجلس من حين إلى حين فى حلقة من الطيارين ويطلب منهم أن يتحدثوا إليه . ويؤثر هذه الطريقة مع المراسلين الحربيين أيضاً ، فيحصل منهم على المعلومات بدلا من أن يحصلوا هم عليها منه .

وتنطوى نظريات تيدر عن الحرب الجوية، على احتقار فلسفى للحرب على العموم. ونظريته الأساسية ـ باعتباره إدارياً حكيما ـ عن الجو هى أن ما يتيحه فى الحقيقة هو أحسن وآخر فرصة لتنسيق العالم كله ، وجعله كلا رشيدا تدار أموره بحكمة .

تشبيهات جميلة

بدأ اليوم وضيئاً مصقول الحواشى كثمرة شُقّت لساعتها . . . [دونالد كالموس برتى] قطار يزحف زحف قطة على عرق من خشب . [دافيد لامبسون] . . يهمى المطر وفيه لجاجة أنثوية عذبة. . . [هنرى وليامسون] أصوات السكان الحادة النافذة وهى تتلمس اللحن . [جون ستاينبك] . . يتواثب الأطفال حولها كالسمك . . . [ازابلا هولت] سكون الأدغال ، كأنه عدو كامن علق أنفاسه . . . [إيرا ولفرت] الطائرات المقاتلة تقذف نارها كأنها النسوة السليطات . . . [مجلة تايم] وجه رقيق كضوء الشموع . . [رتشى كولدر]



الغراء السحرى

هارلند مانشستر . . ملخصة عن مجلة "سينس نيوز ليتر"

ما فتىء الإنسان منذ أن بدأ يخترع يبحث عن غراء يربط بين جميع أنواع المواد برباط لا تنفصم عروته ، غراء أشد قوة من مسامير البرشام والمسامير اللولبية . بل قد طاف بحلمه كذلك غراء يضم أجزاء دار أو طيارة أو سيارة بعضها إلى بعض ، فيوفر من الوقت والمادة ما لا يكاد يصدق . والآن كشف س . غوردون سوندرز ، أحد الباحثين فى شركة كريزلرعن غراء يعد بتحقيق الغرض.

وحين زرت معمله ، منذ عهد قريب ، ألفيت سوندرز رجلا فى الأربعين من عمره قليل التكلف ، رضىّ الطبع ، فقال لى إن عنده شيئاً يريدنى أن أراه . وجاء بعلبة تحوى مادة تشبه الغراء العادى ، ودهن بها لوحين كبيرين من الحديد ، وضغطهما معاً دقائق قليلة بمشد سخن تسخيناً كهربائياً ، ثم دعا عاملا مفتول العضل فتناول إزميلا بارداً ومطرقة ، وجهد أن يفصل القطعتين غصباً ، وظل يعمل ، دون جدوى ، حتى تفصّد عرقاً .

ثم عرض علىّ سوندرز قدتين رقيقتين من سبائك الألومنيوم لصقتا بهذا الغراء من طرفيهما ، بوضع أحد الطرفين على الآخر ، ثم أدخل القدتين الملتصقتين فى آلة شد وأدار ذراعها ، فابتدأ عقرب يتحرك ببطء على ميناء ، مبيناً قوة الشد محسوبة بالأرطال . فما أرغمت القدتان على الانفصال إلا حين أشار العقرب إلى ٣١٠٠ رطل وهى قوة شد تربى على طن ونصف طن .

وليس هذا الغراء العجيب ألهية معمل ، فهو لا يستعمل فى ربط معدن بمعدن وحسب ، بل يربط — ربطاً سريعاً دائماً ، — معدناً بخشب أو صفائح من العجائن الكيميائية أو الزجاج أو ألواح من الألياف أو المطاط الطبيعى أو معظم المواد المركبة بالتأليف الكيميائى . وقد أطلق على هذا الغراء اسم « سيكل ولد » وقد استعمل فى خمسين شركة من شركات الإنتاج الحربى ، فوفر بمئات الطرق ، ساعات عمل كثيرة ومقادير وافرة من المواد . ففى صناعة الطائرات اقتصد هذا الغراء السحرى الآلاف من مسامير البرشام .

وإن مقاومة هذا الغراء للاهتزاز سمت

بقيمته فى بناء الطائرات، ولقد رأيت الألواح المعدنية المعدة لأجنحة المقاتلات من طراز ب — ٤٠ يلصق بعضها ببعض فى ١٨ دقيقة ، فوفر بذلك عمل أربع ساعات فى البرشمة ، وخفضت التكاليف إلى الثلث . ولقد كان تثبيت ألواح الجناح فى أماكنها يحتاج — فى وقت ما — إلى ١٢٠٠ مسمار برشام ، ولكنه الآن لا يحتاج إلا إلى ٣٠٠ مسمار ، ومقدار من الغراء المتفوق يرش برشاشة ، ثم تضغط الأجزاء جميعاً بمكبس محمى .

حدثنى مستر سوندرز قائلا : « انظر إلى جهاز التوازن فى هذه الطائرة ، فمنذ أشهر كان ربط أجزائه بعضها ببعض يتطلب ٥٥٠٠ مسمار برشام ، أما الآن فيكفيه ٣٠ مسماراً ، والباقى يلصقه الغراء العجيب. وهذا الجناح يعدل الجناح القديم متانة أو هو أمتن ، والعمل كله لا يكلف إلا عشر التكلفة لو كان الاعتماد على مسامير البرشام .

و « السيكل ولد » مادة راتنجية صناعية من فصيلة المركبات الكيميائية التى تشمل العجائن الكيميائية المستعملة فى صنع منافض السجائر وسماعات التليفون ورؤوس القذائف أما تركيبه فما برح سرا بحكم الطبع .

وسوندرز مهندس كيميائى تخرج فى جامعة كانساس ، ثم انضم إلى شركة كريزلر إخصائياً فى الأدهنة والراتنجات الصناعية . ولقد سأله أحدهم يوماً ما : ما يجعل الدهان يلصق بالمعادن ؟ فبدا لسوندرز أن نزع دهان مساحته بوصة مربعة واحدة ، عن سيارة يقتضى قوة عظيمة . فلماذا لا يبحث عن السبب ، ثم يعتمد على علمه فى صنع غراء متفوق جديد ؟

وفى خريف سنة ١٩٤٢ عرض « السيكل ولد » فى ديترويت امام مئتين من ممثلى صناعة الطائرات ، فأعجبوا بما رأوا فراحوا يحبذون استعمال هذا الغراء فى طائرات الحرب . وجارتهم فى ذلك قيادة مخازن سلاح الطيران الأمريكى فى مطار رايت. ومكتب طيران الأسطول فى فلادلفيا.

وإذا كان الغراء السحرى قد أحدث انقلاباً فى صناعة الطائرات المعدنية . فإن مستقبله فى صناعة الطائرات المصنوعة من رقائق الخشب تخطف الأنفاس . ولقد تنبأ سوندرز بمقاتلات يربط هذا الغراء السحرى بين أجزائها . وتدخل فى تركيبها مقادير من رقائق الخشب لم يسبق لها نظير فيخفض وزن الطائرة — بالقياس إلى مثيلاتها المصنوعة من المعدن — إلى الثلث. وتكاليفها إلى الربع. وزمن إنتاجها إلى الربع كذلك .

هذا الغراء يفتح آفاقاً جديدة فى مواد البناء وصناعة الأثاث ، لأنه يربط بين جميع

أنواع مواد البنـاء والأثاث ، فيجعل منها منتجات خفيفة ومتينة ورخيصة . وقد بدأت بعض المصانع فى إعداد أرضيات للبيوت المصنوعة أجزاءً قبل تشييدها . وهذه الأرضيات قوامها طبقة من الصاج المضلع تعلوها صفائح من الخشب ، ربطت بهذا الغراء . وعلى أن سمك هذه الأرضية يعدل سمك أرضية الخشب العادية تقريباً ، غير أنها أخف وزناً وأصلب ، وهى لمتانتها لا تتطلب أكثر من نصف قدر الخشب فى الأرضية العادية .

ومما عرضه سوندرز كتلة صنعت من طبقات عديدة من الخشب ، لصقت بعضها ببعض بغراء سيكل ولد المسخن بحرارة أمواج الراديو . وتجزيع الخشب فى هذه الطبقات متخالف . وإن دعامة للبناء، أو ركيزة هيئت على هـذا النمط ، تكون فى صلابة الصلب .

كان أول عمل قام به الغراء السحرى ، بعد أن طلع من المعمل ، لصق مادة عازلة بسقف السيارة الحديدى ، ولكن نواحى استعماله فى السيارات كثيرة . والواقع أن الغراء الجديد قد يغير من مظهر السيارة فى المستقبل ، فسيقلل من كثافة أجزاء كثيرة فيها ، فيتيح صنع هيكل أخف وأصلب وأرشق .

وأخيراً قد يصنع سقف السيارة من العجائن الشفافة ، وقد كان صنعه حتى الآن مستحيلا ، لأن الاهتزاز يحطم المفاصل حيث يرتبط السقف بالركائز . أما الآن فيمكن ربط السقف المعدنى بالركائز بوساطة حشوة من المطاط تربط بالسقف من فوق وبالركائز من تحت ، بغراء سيكل ولد .

قال سوندرز : ولا نزال فى البـداية . فحين تجد مادة تستطيع أن تلصق أى شىء بأى شىء آخر ، فليس لنفعها حد يعرف .

صراحة يابانية

كتب صحفى أمريكى فى اليابان إلى صديق : «لعلّ هذه الرسالة لن تصلك ، فالمراقب اليابانى قد يفتحها » . وانقضى أسبوع فتلقى مذكرة من إدارة البريد اليابانية : « إن قولك فى كتابك لا صحة له ، فنحن لا نفتح الرسائل »

[جون جنتر فى : « داخل آسيا »]



بل بايلى والعمد الأربعة

ف. پ. ماك ايڤوى ا ملخصة عن مجلة "بانكنج"

تسمع في ولاية تنيسي حديثاً مستطاباً عن سعة حيلة بل بايلي مدير مصرف كلار كسفيل الأهلي ، ولعلك تقدر سبب ذلك ، فإنه مثل لما يمكن أن يسديه أصحاب المصارف فى الأرياف إلى مواطنيهم، إذا اتسعت حيلتهم وتوفرت لديهم الرغبة فى استخدام مواردهم .

وسيقص عليك بل بايلي كيف أن فلاحاً مسنا بدل وجهة نظره فى أعمال المصارف فى الأرياف ، وأحدث انقلاباً كبيراً فى الاقتصاد الزراعى فى تلك الجهة من ولاية تنيسى .

فقد مضى على حقول مقاطعة مونتجمرى الشاسعة أكثر من مئة عام وهى تزرع نوعاً من الطُبّاق (التبغ) يجفف مدة أسابيع فى مخازن الغلال المظلمة على نار هامدة خابية . وقد أودى هذا النبات النهم بخصب التربة وأدى إلى إفقار المزارعين .

وكان بايلي وقد ارتقى من كاتب صغير إلى رياسة المصرف ، يرسل نشرات حافلة بالنصائح إلى عملائه من المزارعين، إلا أن

برنامج زراعى فذ لمدير مصرف ريفى أفضى إلى زيادة دخل المزارعين

الأحوال ساءت سوءاً مطرداً فى تلك الجهة فساءت حال المصرف معها .

وفى ذات يوم زار بايلي بيتاً فى مزرعة فدعاه صاحبها ، وكان فلاحاً مسنا ، إلى الجلوس برهة وقال له : «إنى أريد أن أتحدث معك لقد قرأت رسائلك طوال هذه السنين وأريدك الآن أن تصغى إلىّ .

« إن الفلاحين فى هذه الجهة قد نسوا كيف يفلحون الأرض ، فقد درجنا زمناً طويلا على زراعة هذا الطبّاق لأن هذه الجهة هى من الجهات القليلة التى تصلح لزراعته . وقد كسبنا من ورائه مالا كثيراً ، ولكن هذه الأيام قد انقضت، ومع ذلك فقد مضى الفلاحون لا يزرعون إلا هذا الطباق ومضيت أنت تقرضهم المال ليفعلوا ذلك على حين يجب عليك أن تخبرهم بأمر العمد الأربعة» .

— العمد الأربعة ؟ ! وما هى تلك العمد؟

فأجاب الفلاح : « إن العمد الأربعة هى أربعة محاصيل لفصول السنة الأربعة . فالطبّاق

للبيع فى أواخر الشتاء ، والضأن للبيع فى الربيع ، والقمح للحصاد فى يوليه ، والماشية للخريف . هـذه هى الطريقة التى اتبعها آباؤنا فى فلاحة الأرض قبل أن شرعنا فى جر المغانم من زراعة الطباق ، فأنسانا الجشع كيف نفلح الأرض بالطريقة التى تدر علينا شيئاً نبيعه طوال السنة » .

وعاد بايلى تلك الليلة إلى بيته وأطال التفكير فيما سمع . وبعـد أيام قلائل تلقى عملاؤه الذين يراسلهم رسالة يبسط لهم فيها نظرية « عمد الإيراد الأربعة » .

هزىء الفـلاحون المحافظون بالفكرة وقالوا لبايلى إن الأغنام لا يمكن تربيتها فى تلك الجهة ، ولكن بايلى كان يعلم أن فلاحى إحدى مقاطعات كنتكى القريبـة التى لا تختلف تربتها وجوها عن جو مقاطعتهم وتربتها ، يربون ٥٨٫٠٠٠ رأس من الغنم تدر عليهم مليوناً من الريالات كل سنة ، من بيع لحم الضأن والصوف . وهذه المقـاطعة أصغر كثيراً من مقاطعة مونتجمرى .

ونظم بايلى قافلة من السيارات عبر بها ٦٣ فلاحاً حدود المقاطعة إلى ولاية كنتكى ، وأراهم ما يمكن أن يقوموا به فى بلدهم قياساً على ما رأوه . وعادوا إلى أهلهم وهم مقتنعون .

ولـكن من أين لهم المال لتربية الأغنام ؟ فوعـدهم بايلى بالمساعدة المالية ووعدهم كذلك بتـدبير الإرشاد العمـلى ، وكان توجيه الخبراء لازماً فى المشروعات الجديدة ليضمن المصرف ماله من الضياع . فاستخدم بايلى بالمصرف عدداً ممن لهم دراية فى جميع فروع هـذا البرنامج الزراعى المتشعب النواحى .

وبعث إلى الفـلاحين برسالة عنوانها « خمس وعشرون نعجة وكبش » يخبرهم فيها بأسلوب شعبى بنبأ هؤلاء الإخصائيين فأقنعهم بسداد الفكرة فأقبلوا عليها . وحين استقدم بايلى شحنـة قوامها ألفا رأس من النعاج الصغيرة السن ، تهافت عليه الفلاحون من كل ناحية لشرائها . ومن لم يستطع منهم الدفع نقـداً أقرضه بايلى المال ، فبلغ ما أقرضـه نحو ٢٠٫٠٠٠ ريال فى الأيام الأولى . وقبل أن تنقضى خمس سنين كنت ترى ٣٠٫٠٠٠ رأس من الغنم ترعى فى مقاطعة مونتجمرى ، فتدر فى أواخر الربيع إيراداً من بيع اللحم والصوف .

وفى الوقت نفسه أنشأ بايلى مزارع نموذجية لتربية الماشية ، واشترى المصرف لحسابه خمسين ثوراً أصيلا من ثيران هريفورد ، أعارها للفلاحين دون مقابل ، على شريطة أن ينتفع بها جيرانهم دون مقابل أيضاً . وبعد سنتين كان الفلاحون يخيرون

بين شراء هذه الثيران وبين إعادتها للمصرف . ومعظمهم اشترى ، ولكن مراجع الحسابات أدركته الحيرة حين وجد حسين ثوراً مقيدة تحت «ممتلكات جارية» شك فى أمرها ، ولكن بايلى أزال شكه . وقد أشيع أن بايلى بما عرف عنه من روح الدعابة ، غير اسم هذا البند فى دفاتر الحساب إلى « ثيران للتحصيل » .

ولكل فلاح اليوم فى مقاطعة مونتجمرى قطيعه الصغير من الماشية يدر عليه اللبن والزبد لطعامه، والعجول لبيعها فى الخريف.

وقد أصاب برنامج بايلى لزراعة القمح نجاحاً كبيراً ، فقد كانت غلة الفدان من القمح عشرة بوشلات قبل شروعه فى نشر مبادىء « العمد الأربعة » ، فارتفعت إلى أربعين بوشلا .

ثم يسر بايلى للفلاحين بيع ماشيتهم ، فقد كان الفلاحون ينقلون الماشية فى المراكب أو فى السيارات الكبيرة مسافة ستة وعشرين ميلا إلى هوبكنزفيل بولاية كنتكى . فأعانهم بايلى على إقامة سوق للماشية يملكها الأهالى ، وقد بيع فيها فى الستة الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٢ ما قيمته ٧٥٠٫٠٠٠ ريال من المواشى .

وجعل يوم الأربعاء يوم المزايدة فى كلاركسفيل ، فيهرع الفلاحون إليها ومع كثيرين منهم عجل أو بضعة خنازير ، فهم يجنون من بيعها فى بلدهم ما قد يجنونه فى ناشفيل عاصمة الولاية . ولا يكاد الفلاح يستوفى ثمن ماشيته حتى تأخذه زوجه إلى المتاجر المحلية لتسديد حسابات قديمة أو شراء حوائج جديدة ، وقد قال أحد التجار فى ذلك : « لقد أصبح لنا الآن يوما إقبال كل أسبوع بدلا من يوم واحد » .

وصنع بايلى شريطين سينمائيين لنشر دعوته. فأقبل على الأول ـ واسمه «الأغنام فى منطقة كلاركسفيل التجارية» ـ جماهير كبيرة من الناس لمشاهدته أينما عرض، فى الكنائس والمدارس فى طول المقاطعة وعرضها . ثم جعل بايلى من قصة « العمد الأربعة » شريطاً سينمائيا ملوناً يستغرق عرضه ساعة ونصف ساعة . وقام موظفو المصرف أنفسهم بصنع هذا الشريط بالمصورات اليدوية وأظهروا فيه بعض الفلاحين المعروفين .

ويكشف هذا الشريط السينمائى الذى بلغت نفقته أقل من ١٥٠٠ ريال عن جمال الفصول الأربعة ، ويظهر خطوة خطوة كيف تنتج أفضل أصناف الطباق وتربى أحسن أنواع الماشية، ويجنى أكبر محصول من القمح ، ويحافظ على خصب الأرض وقوتها . وقد شاهد هذا الشريط ١٥٫٠٠٠ من الفلاحين مع أسرهم .

لقد أقام بايلى صرح المجتمع فى بلده بالسخاء فى إقراض المال للأهلين فى حكمة وبصر . وتعد طريقته فى جمع المعلومات عمن يطلب العون المالى معجزة فى الدقة ، فلديه سجل كامل عن كل فرد من ٧٥٠٠ فلاح فى المنطقة ، وقد بلغ من الدقة مبلغاً يمكن المصرف من الفصل فى طلب أى فلاح بالرفض أو القبول فى خمس دقائق .

ويقول بايلى فى اجتماعات أصحاب المصارف : إن صاحب المصرف فى الأرياف ينبغى له أن يعرف ثلاثة أشياء : أولها أهل بلده ، وثانيها ما تستطيع الأرض إنتاجه ، وثالثها السوق اللازمة لتصريف هذه المنتجات . ويقول إن كل صاحب مصرف فى الريف يستطيع أن يقوم بما قام هو به : يقيد جميع أصحاب الأراضى فى بلده نقلا عن سجلات الضرائب ، ويقسم هذه القائمة إلى مناطق ، ثم يستشير رجلين على الأقل فى كل منطقة عن حالة جيرانهم ، ويقارن نتائج هذه الاستشارات بعضها ببعض . ويقول بايلى إن التاجر والطبيب والمدرس والفلاح الكبير فى كل بلد، هم مراجع يعتمد عليها فى الحصول على المعلومات الخاصة بحالة طالب الاعتماد المالى .

ويجتمع بايلى بموظفيه فى السابعة والنصف من صباح كل يوم للنظر فى طلبات القروض والحسابات الجديدة والأعمال الرتيبة . ثم يتفرق هؤلاء الموظفون فى أرجاء الريف ، ويزورون عملاء المصرف من الفلاحين ليزودوهم بالمعلومات ، وليبذلوا لهم النصح والإرشاد فيما يعرض لهم من مسائل . فإذا كان الفلاح فى حاجة إلى قرض تفاوضوا معه فيه على الفور .

ويبلغ بل بايلى الآن الستين من عمره ، وهو طويل القامة بدين الجسم أشيب ، يتفجر نشاطاً وحيوية ، وله فى وطنه كرامة . هذا العبقرى الذى أنجبته بلدة لا يزيد عدد سكانها على ١٢,٠٠٠ يجتذب جمهوراً من المستمعين إذا ألقى خطبة حين تعقد مدرسة الدراسات المصرفية العليا فصولها الصيفية بجامعة روتجرز فى نيوجرزى . وقد وفد كثير من أصحاب البيوتات المالية فى ولايات كثيرة ، ليروا بأنفسهم ما فعله بايلى و « عمده الأربعة » بمقاطعة مونتجمرى .

ويقول أحدهم فى ذلك : « فى الولايات الجنوبية جميع العناصر التى قامت عليها المدنيات العظيمة الغنية ـ فثمة الثروة المعدنية ، والتربة الخصبة ، والجو الملائم ، وموسم طويل للزراعة . ومع هذا فإن الجنوب أفقر جزء من بلادنا . والظاهر أننا نحتاج إلى سياسيين اقتصاديين لهم بصر بل بايلى العملى ، وفهمه السليم ، وإدراكه المستنير للمصلحة الشخصية » .

عندما يواجه الإنسان الموت لا يفكر في نفسه

ملخصة عن



طيار فرنسي تمتزج كتابته بروح الشعر والفلسفة

« اليوزباشي ده سنت إكسوبيري والملازم دوترتر : فليقدما نفسهما إلى الصاغ » .

كان معنى هذه الدعوة أننا سنؤمر بالخروج مرة أخرى عبثاً ، وكنا قد شارفنا ختام مايو سنة ١٩٤٠ ، وكان ذلك وقت تقهقر تام ونكبة شاملة . وكان كل شيء يتقوض حولنا ، وكانت طائفة في إثر طائفة من رجال الطيران يضحَّى بها . وكنا كأنما نقذف بأكواب من الماء في غابة تضطرم فيها النار رجاء أن تخمدها .

وكان كل ما للجيش الفرنسي أجمعه من طائرات الاستطلاع خمسون ، لكل منها ثلاثة من الرجال . من هذه الخمسين ثلاث وعشرون تتألف منها وحدتنا ، وقد زالت من الوجود في ثلاثة أسابيع سبع عشرة من الثلاث والعشرين . وذاب فريقنا كأنه كتلة من الشمع . وكنت أتحدث البارحة إلى الملازم جافوال فجرى لساني بهذه الكلمات : « على كل حال ، سنرى ما يكون من هذا الأمر بعد الحرب » فقال جافوال ، وقد صدمه كلامي : « أرجو ألا يكون معنى كلامك ياحضرة اليوزباشي أنك تتوقع أن تخرج من الحرب سالماً حياً ؟ »

ولما ذهبت أنا ودوترتر إلى الصاغ ألياس ألفيناه ساهماً وكأنما قد استنفد قوته وخذلته أعصابه .

ومضت هنيهة قبل أن يتكلم ، ثم قال أخيراً وهو يهز كتفيه : « إن هـذا حرج جدا . مهمة حرجة جدا . ولـكن هيئـة أركان الحرب تطلب القيام بها . وقد جادلتها ، ولـكنها تصر عليها . . . فلا حيلة هناك » .

وكان يتكلم كأنه طبيب جالس إلى سرير مريض مشف على التلف . ويقول الطبيب وهو يهز رأسه : « همم ! هذا أمر ثقيل » وتدرك أنه يلمح إلى أن الأولى بك أن تكتب وصـيتك . ولم يكن يخالجنى أنا أو دوترتر شـك فى أن ألياس كان يتكلم عن التضحية بجماعة أخرى من رجال الطيران .

ولم يكن هذا ذنب أحد . ولم يكن ذنبنا أننا لم نكن نشعر بالسرور والمرح ، ولا ذنب الصاغ أنه لا يقبل علينا باشا هاشا ، ولا ذنب هيئـة أركان الحرب أنها تصدر الأوامر . والصاغ خارج عن طوره لأن الأوامر سخيفة . ونحن نعرف أنها كذلك ، وهيئة أركان الحرب تعرف هذا كما نعرفه ، وهى تصدر الأوامر لأنه لابد من إصدار أوامر ، وإصدار الأوامر حرفتها فى زمن الحرب .

وأقول جاداً إن هيئـات أركان الحرب تصدر أوامر لا تصل إلى أحد ، وهى تطلب معلومات من المستحيل تقديمها ، وحتى لو عدنا بها فإنها لا يمكن أن تنتفع بها لأنها لا تنقل إليها ، فإن الطرق تكون قد سدت من الزحام ، وخطوط التليفون تكون قد قطعت ، وتكون هيئـة أركان الحرب قد انتقلت من مكانهـا على وجه السرعة . أما الخبر المهم حقيقة — وهو مكان العدو — فإن العدو نفسه يكون قد أذاعه .

وقـد يخطر لك أنه فى حالة التقهـقر والنكبة ، ينبغى أن يكون هنـاك طوفان من المسائل الملحة لا يكاد يدرى المرء أيها أولى بالتقديم . ولـكن الحقيقة أنه فى حالة جيش منهزم تختفى المسائل نفسها .

إن الاندفاع والضجة من علامات النصر لا الهزيمـة ، فإن النصر يدعو إلى الحركة والعمـل ، أما الهزيمـة فتورث الـكلال ، والتفكك والملال ، وتترك كل شيء باطلا ومحالا ليس يجدى .

وقـد صارت هـذه المهمات التى نؤمر بالخروج فيها أشد عقماً وأقتل ، على الأيام ، ولـكن الحرب ينبغى أن تتخذ صـورة الحـرب . وما كان قوادنا ليستطيعوا أن يدافعوا أمام هذا السيل الدافق الذى يغمرهم ويسحقهم ، إلا بما يملـكون . وكان عليهم أن يلقوا بما فى أيديهم من ورقات . وكنت أنا ودوترتر — ونحن جالسان نصغى إلى الصاغ — بعض هذه الورقات .

وكان الصاغ يبسط لنا برنامج العصر . وقد أمرنا بالطيران للتصـوير على ارتفاع

٣٠٫٠٠٠ قدم ثم بالاستطلاع على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم فوق مرابض الدبابات الألمانية المبعثرة حول أرّاس .

وقلت لنفسى ، ونحن خارجان لنرتدى ثيابنا : «هذا فريق آخر يلقى به على التهلكة» . ولكنى لم أكن أزن وأقدر فرص الإياب ، فقد كان الموت يبدو لى لا جليلا ، ولا مهيباً ، ولا صارماً ، ولا من البطولة فى شىء . وإنما كان يبدو لى كأنه مجرد أمارة من أمارات الاضطراب ، ونتيجة للاضطراب ، وستفقدنا جماعتنا كما يفقد المتاع فى الاضطراب الذى يحدث عند الانتقال من قطار إلى قطار .

وطرنا ، وصرنا على ارتفاع ٣٣٫٠٠٠ قدم « ياحضرة اليوزباشى . إنى أرى ست مقاتلات ألمانية إلى يسار مقدمتنا وعلى مسافة ١٥٠٠ قدم تحتنا » .

فكان لهذه الكلمات وقع الرعد فى أذنى ، وكان من حسن حظنا أننا كنا نطير فى عين الشمس ، وما كانوا ليستطيعوا أن يصعدوا إلى مثل ارتفاعنا من غير أن يتيحوا لنا أن نسبقهم ببضعة أميال ، وعسى أن ننجو منهم . على أن من المحتمل أن تدور معركة ، ولهذا تهيأت لها .

ولم يكن طبيعياً أن أتصبب عرقاً ودرجة الحرارة حولى ٦٠ تحت الصفر . وكنت مدركا تمام الإدراك لما يحيق بى ، فقد أنهكت قواى فى إدارة الدفة وأنا على ارتفاع عظيم فأحسست بالدوار يدب ، خفيفاً خفيفاً .

فضغطت أنبوبة المطاط فردت إلى الحياة نسمة من الهواء ، إذن كان جهاز الأوكسيجين منتظماً ! وكان قد خيل إلىّ لحظة أنى لن أفيق وأننا سننقض برغمنا انقضاضاً وبيلا . ومع ذلك لم أشعر من ذات نفسى بذلك الخوف الحاد الذى يقول الناس إنه يشيب الرأس فى لحظة . وبدأت أفكر فى ساجون الذى أسقطت طائرته وراء خطوطنا منذ شهرين .

وإنى لأراه الآن كما كان ، وهو راقد فى المستشفى ، وقد أصيب وجهه ويداه بحروق بالغة وكسرت ساقه ، ولكن ساجون لم يشعر برجة نفسية ، فقص علينا قصته ببطء ، وبلهجة عادية ، كأنما يقدم تقريراً عن مهمة متعبة .

كانت الطائرة قد ظلت تحترق برهة قبل أن يلقى بنفسه منها ، وكانت القاتلات لاتزال تطاردها وتمطرها وابلا من الرصاص ، ومع ذلك لم يشعر ساجون برغبة ما ، وهو يخرج من هيكل الطائرة ويزحف على جناحها . لم يشعر بشىء قط ، وكان فى سراح من وقته ورواح ، وكان يسبح فى فراغ لا نهاية له . وهنا فطنت إلى الشعور الغريب الذى يخالج المرء من حين إلى حين ، عند الإشراف

على الموت ، وهو شعور بفراغ غير متوقع ، على نقيض ما يؤخذ من الكتب ، من الإحساس بالسرعة التى تخطف الأنفاس .

والذى يذكره ساجون من حادثته كلها ، من أولها إلى آخرها ، هو أنه كان فى حالة انتظار — انتظار ارتفاع ألسنة النار ، ثم الانتظار على جناح الطائرة لما لا يعلمه إلا الله . وأخيراً سقوطه فى الهواء ، وهو متحير ، وسأمان ، ونافذ الصبر قليلا — ولكنه مع ذلك يشعر بحالة الانتظار .

إن مجال الوعى ضيق ، وهو لا يتقبل إلا مسألة واحدة فى وقت واحد . اشترك فى ملاكمة ، واحصر خواطرك فى خطة العمل ، فإنك خليق أن لا تشعر بلكمات خصمك . وقد حدث لى مرة أن ظننت أنى سأغرق فى حادث طائرة مائية ، فخيل إلىّ أن الماء المتجمد فاتر ، ولعل الأصح أن أقول إن وعيي كانت تستغرقه خواطر أخرى .

وبينما كانت ذكرى ساجون تدور فى نفسى ، أفلتنا من القاتلات الألمانية ، ثم هبطنا إلى ارتفاع قليل ليتمكن المراقب من الرؤية ، وشرعنا نتعرج فى طيراننا فوق منطقة انتثرت عليها البطاريات الأرضية . وكانت الرصاصات القاصّة ترسل فى الجو سهاماً من النور بلون الحنطة ، وتنفجر القذائف فوقنا على هيئة أهرام من الدخان والشظايا . وقد أورثتنى هذه الدواخن والشظايا الصاعدة بمثل بطء جبال الثلج ، شعوراً بأنى لا حركة لى ، فكأنى واقف جامداً فى قفص الاتهام أمام محكمة ، والقضاة يتداولون فى مصيرى ، وأنا لا دفاع لى .

وما قيمة حياة الإنسان فى وحل هذه السماء القذرة ؟ عشر ثوان على الأرجح ، أو عشرون . ورجت السماء أصوات القذائف المنفجرة . وكانت القنبلة إذا انفجرت قريباً من الطائرة ، ينتفض لها بدنها ، ويدب الصوت دبيب الصخرة سقطت فوق منحدر . وقد اخترقت الشظايا مستودعات الوقود ، وكان من السهل أن تنفذ ، بدلاً منها ، فى بطوننا . ولكن من ذا الذى يعبأ بما يصيب بدنه ؟ وغريب أن لا تكون للبدن قيمة ! والمرء يحتاج ليعرف ذلك إلى مثل هذا الوابل من مطر الرصاص الصاعد ، ومثل هذه المحكمة المنعقدة للقضاء الأخير !

وكثيراً ما كنت أتعجب للحظات الأخيرة فى حياة الإنسان كيف تكون . وكنت دائماً افترض أن الامتحان — حين يجىء — سيكون مداره على الجسم وحده . وكنت كغيرى من الناس قد وهبت جسمى حصة جزيلة من الوقت ، فكسوته ، وغسلته ، وأطعمته ، وأطفأت ظمأه ، وذهبت به إلى

الحائك ، والجراح ، والحلاق ، وخلطت نفسى بهذا الحيوان المروض ، وقلت عنه : « إنه أنا » والآن ذهب عنى هذا الوهم فجأة . وماذا يعنينى من جسمى ؟ إنه خادم لى ، وما هو إلا أن يتلهب غضبى ، أو يسمو حبى ، أو يتجمع حقدى فى صدرى ، وإذا بالوحدة المزعومة لى ولبدنى معى قد زالت .

ويكون ابنك فى بيت يحترق ، فلا يقوى أحد على صدك . وقد تأكلك أنت النار ، فهل تراك تفكر فى هذا ؟ إنك إنما توجد فى عملك ، لا فى بدنك ، وعملك هو نفسك ، وليس لك ذات أخرى هى أنت . أتراك تهم بأن تضرب عدواً ؟ إنه ما من خوف من أذى بدنى يصيبك ، يستطيع أن يردك . إنك فى هذه اللحظة تبذل نفسك لتقتل عدوك ، أو تنقذ ولدك . وفى اللحظة التى تنزل فيها عن جسدك تتعلم وأنت فى دهشة — وكل الناس يتعلمون فيدهشون — قلة احتفالك بشأن هذا البدن .

وقد كنت خليقاً أن أتعلم هذا الدرس وأنا فى الخامسة عشرة ، فقد كان لى أخ أصغر منى فى سياق الموت ، فأيقظتنى ذات صباح — حوالى الساعة الرابعة — ممرضته وأخبرتنى أنه يطلبنى .

فسألتها : « أهو يتألم ؟ » .

فلم تقل شيئاً ، فارتديت ثيابى بأسرع ما أستطيع .

فلما دخلت عليه قال بلهجة عادية : « اشتهيت أن أراك قبل موتى . فإنى سأموت » وتخشب ، وبدا عليه الألم ، ولم يستطع أن يمضى فى الكلام . وكان وهو مُثبَتٌ وقد جهده الألم يلوح كأنما يقول : « كلا ! » . فلم أفهم . وخطر لى أنه إنما يرفض الموت ويأباه . وسُرّى عنه فعاد إلى الكلام .

وقال : « لا تبتئس فإنى بخير ، ولا حيلة لى فإنه جسمى ليس إلا » كأنما صار جسمه أرضاً أجنبية — شيئاً غير ذاته .

وهذا الأخ الأصغر الذى مات بعد عشرين دقيقة إنما دعانى إليه لأنه شعر بحاجة ملحة إلى أن يهبنى شيئاً من ذات نفسه ، فقد قال : « إنى أريد أن أوصى » واتقد وجهه من الزهو والارتباك إذ تكلم بكلام الذين دخلوا مداخل الرجال ، وما كان إلا صبياً ، وما كان الذى وهبنيه إلا قاطرة بخارية من لعب الصغار ، ودراجة ، وبندقية .

إن الإنسان لا يموت ، ولا موت هناك حين تلاقى الموت ، ومتى هوى البدن فى حضيض الموت فإن جوهر الإنسان يتكشف ، وما الإنسان سوى شرك تعلق بها وترتبط العلاقات ، وهذه العلاقات هى التى لها قيمة . وما عرفت إنساناً قط فكر فى نفسه وهو يجود بأنفاسه . أبداً .

وكنت كلما أدرت الطائرة بعنف لأتفادى هذا الإكليل الهائل المعقود فوقي من الدخان والشظايا ، تبعتني طعنات الرصاصات، ورجت القذائف المنفجرة الطائرة من جديد . فهل ترانا سننجو ؟ ولكن كيف نستطيع ؟ وكيف اتفق أننا بقينا سالمين ؟ وبدأت أؤمن بنفسي وبالطائرة وأقول لنفسي : « يظهر أننا أمنع من أن نصاب » .

وخيل إليّ أني رئيس فرقة مظفرة ، ومنذ تلك اللحظة صار كل انفجار يبدو كأنما هو ليس تهديداً بل تقوية للقلب . وفي كل مرة — مسافة جزء من ثانية — كان يخيل إليّ أن الطائرة قد تمزقت أشلاء ، ولكنها في كل مرة كانت تستجيب لي وأنا أدير آلاتها ، وكنت معها كأني سائق يشد بيديه على لجم الخيل ، وبدأت أشعر بالسكينة والاسترخاء ، وغمرتني موجة من الجذل ، ولم يكن يعروني من الخوف إلا تقبض يحدث كلما حدثت ضجة عالية ، ولكن بعد كل انفجار يعود الجذل فيسري في بدني . وكان ينبغي أن أشعر بالرجة ثم بالخوف ثم أتنفس الصعداء ، ولكنه لم يكن ثم وقت لذلك ، فكان الذي أشعر به هو الرجة ثم التشهد في إثرها ، أما الخوف ، وهو المرحلة الوسطى ، فكان مفقوداً .

وتدفق في شراييني سيل من الابتهاج لم يكن متوقعاً . وكنت أشعر كلما مضت ثانية كأنما وهبت الحياة من جديد ، وكأنما الحياة ، كلما مرت ثانية ، صارت أوضح وأزهى وأسنى ، فأنا أحيا ، وأنا حي ، وتمشت فيّ نشوة الحياة ، ومن العبارات المألوفة قولهم : « حمى وطيس المعركة » ولكن الحياة أحمى ، وقلت لنفسي : « ترى أيعرف هؤلاء الألمان الذين يقذفوننا بنارهم من تحتنا أنهم يخلقون الحياة فينا ؟ » .

وقال المراقب إنه أتم عمله ، فرفعت مقدم الطائرة مرة أخرى إلى حمى السحب، وسرعان ما كنت أطير في أول كشف من السحاب ، ثم أطبقت عليّ السحب ، وصرت كالزوجة التي فرغت من ابتياع ما تحتاج إليه لطعام بيتها ، فراحت تفكر في الغداء الشهي الذي ستسر به أسرتها ، فشاعت في نفسي البهجة ، فقد انثنيت عائداً إلى قاعدتي .

ومتى عدت ، فسيستجوبني الصاغ ألياس ، ويسألني عما رأيت ، ولكن الذي أعود به من هذه الرحلة لا يصلح أن يكون موضوعاً لتقرير ، وسأبدو تعساً جداً ، ولكني لن أكون تعساً ، فإن التعس ورائي ، وقد ذهب في اللحظة التي بدأت فيها انفجارات القذائف تحدث الانتفاض للطائرة ، ولو أني كنت قد تلفتّ إلى الخلف قبل ذلك بثانية واحدة ، لفاتني أن أعرف نفسي .

قصّة جنين

تلخيص كتاب بهذا العنوان تأليف

مارجريت شيا جلبرت

ظفر هـذا الكتاب بجائزة ألف دولار منحتها شركة ويليامز ويلكنز ، وهي من كبريات دور نشر الكتب العلمية والطبية « لأفضل كتاب على المطالعة العامة » .



توطئة للدكتور ألكسيس كاريل

« كان عملا جريئاً وصف ما يعترض تكوين أجسامنا من جسام الحوادث ، بغير لغة الفن . ومع ذلك فقد نجحت المؤلفة في أن توضح بدقة ، وغالباً بجمال حقيقي في التعبير ، كيف أن بيضة ضئيلة تتخلق طفلا ، بأفعال كأنها من عمل السحر . إن هـذا الموجز الرائع ليقحم القارئ على دنيا معقدة لا عهد له بها ، فالأساليب التي تنتهجها الحياة لا تشبه الأساليب التي اخترعها الذكاء البشرى ، وطرق الطبيعة تبدو عجباً لمن منا غمرته البيئة المفتعلة التي برأتها العلوم والفنون الصناعية ، وإن مسز جلبرت بقصتها الخالبة للب لتقربنا إلى الحقيقة الغامضة في حياتنا » .

تبدأ الحياة لكل منا فى لحظة لا تحس ولا تدرك ولا تدعو إلى الزهو ، تنساب فيها نطفة (حيوين منوى) دقيقة إلى أن تصطدم ببويضة كاملة النمو ، وتبلغ النطفة الواحدة من التناهى فى الصغر ، أن لو جمعت كل النطاف اللازمة لإنتاج الجيل المقبل بأمريكا الشمالية لوسعها رأس دبوس . ومع ذلك فإن البويضة الهادئة التى يكهربها دخول هذا المخلوق العجيب تستجيب له فى هياج عنيف ، وتطلق ما تختزنه بالفطرة من طاقة على خلق الإنسان . وفى لحظة هذا الامتزاج بين النطفة والبويضة (وهو ما يسمى بعملية الإخصاب) ينشأ شخص جديد يحوى من القوى الكامنة مدداً لأجيال من البشر لا عداد لها .

فإن اختلف هذا الموعد بين البويضة والنطفة فلم يلتقيا ، صارا كلاهما إلى الفناء . ويالطول الطريق الذى يجب على النطفة أن تقطعه خلال المجارى التناسلية للأنثى حتى تبلغ البويضة ، ويالعمرانه بالمخاطر ! إنه إن هدى إلى الهدف نطفة واحدة ، أضل عنه الملايين .

وفى لحظة هذا الإخصاب لا يتقرر وجود الكائن البشرى الجديد فحسب ، ولكن كذلك يتقرر نوعه (ذكر أو أنثى) وشخصيته ، إذ باتحاد النطفة والبويضة يرث هذا الكائن خليطاً من السمات البدنية للأبوين ، كما يأخذ عنهما تلك الصفات المتوارثة التى ينقلها بدوره إلى ذراريه .

الشهر الأول

من ثنايا المجهول

من ثنايا المجهول إلى صورة الإنسان ... ذلك هو التغير الخارق الذى يحدث خلال الشهر الأول من الحياة البشرية . إننا نكبر من بيضة لا تكاد لصغرها تبصرها العين المجردة ، إلى مضغة بشرية صغيرة تبلغ فى الطول ربع بوصة أو تكاد ، وبذلك يزداد حجمنا ٥٠ ضعفاً ووزننا ٨٠٠٠ ضعف ، ونستحيل من خلية بيضية ضئيلة مكوّرة إلى مخلوق له رأس وجسد وذنب — كما يجب أن نعترف — وله قلب يخفق ، ودم يجرى ، وبدايات أذرع وسيقان ، وعيون وآذان ، ومعدة ومخ . والواقع أنه فى خلال الثلاثين يوماً الأولى من حياتنا تكاد جميع الأعضاء التى نستعملها طوال ما كتب لنا من أعمارنا تكون قد بدأت فى التكوين (وكذلك ما قد ينقرض من هذه الأعضاء قبل الميلاد) .

وما هو إلا أن يحدث الإخصاب حتى

يؤدي النشاط الهائل الذي أحدثه دخول النطفة فى البيضة إلى انقسام البيضة أو « انشقاقها » إلى خليتين ، فانقسامهما بدورهما إلى أربع ، وهكذا دواليك حتى تتكون ملايين من الخلايا التي يتألف منها جسم الإنسان .

وفوق هذا النمو واطراد التطور العجيبين، يجب علينا كذلك أن نعانى أول جهادنا فى سبيل الطعام . ومن أجل هذا الغرض تنشأ طبقة مغذية — تسمى بالغلاف الأكال « تروفو بلاست » — على المحيط الخارجى لتلك الكرة الصغيرة الممتلئة بالخلايا ، تأكل ما تصادف من أنسجة ، شاقة طريقها إلى الرحم . وبما أن هذه الأنسجة تذوب أمام الغلاف الأكال ، فإن الرحم يتخذ له درعاً واقية من المشيمة (الخلاص) التى تتعاون مع الغلاف الأكال على إطعام المضغة النامية . ويحمل دم الأم الطعام والأكسجين، وهو العنصر الأساسى فى الهواء الذى نتنفسه ، كما يحمل الماء إلى المشيمة ، ومن ثم يمتصها الغلاف الأكال ويرسلها إلى المضغة خلال الأوعية الدموية فى الحبل السُّرّى . وبالتالى ترسل فضول المضغة إلى المشيمة حيث تنتقل منها إلى دم الأم الذى يحملها إلى كلاها ورئتيها تمهيداً لنفضها . فدم الأم لا يسرى بذاته فى الجنين قط ، رغم الاعتقاد الشائع على غير أساس .

وفى أثناء ذلك يكون المخلوق الجديد دائباً على السير ببطء فى طريق التطور المرجوّ أن يجعل منه إنساناً . فبينا يبنى الغلاف الأكال عشاً للبيضة فى جدار الرحم، تكون كتلة الخلايا الداخلية قد حالت من كرة صلبة من الخلايا إلى جسم صغير متكهف يشبه رقم 8 الأفرنجى، أى يحتوى على كهفين تفصلهما من الوسط صفحة مزدوجة تسمى « بالقرص المضغى » ، وهذا القرص هو وحده الذى يستحيل بالنمو إلى كائن بشرى. فأما النصف الأدنى من رقم 8 المتخيل فيصير حويصلة صغيرة فارغة تسمى بالكيس الصفارى ، وهذا الكيس ينفصل على الزمن (فى الشهر الثانى) من المضغة . وأما النصف الأعلى فتنشأ منه قربة ممتلئة بالماء (تسمى بالسَّلَى) تحيط بالمضغة إحاطة تامة إلا حيث يتصل بها الحبل السُّرّى الغليظ ، وكذلك تسبح المضغة فى غلاف مائى يقوم بعمل مانعة صدمات ، تفنى عليها أية رجّات أو لكمات تصيب جسم الأم .

وإذ قد اطمأنت إلى سلامتها تستطيع المضغة الحقيقية فى البيضة ، وهى القرص ذو الصفحتين ، أن تنشط للعمل المنوط بها ، وهو الصيرورة إلى مخلوق بشرى ، لعل من أعجب العجب أن يكون قلبه ومخه فى أبسط مظاهرهما هما باكورة التكوين فيه .

وتكاد تظهر على الفور (فى سن ١٧ يوماً على الأكثر) بواكير الخلايا الهامة التى يمكن التنبؤ بمستقبلها دون خطأ ، فهى خلايا دم طفلة تبدو كتلا مبعثرة تسمى بالجزر الدموية، ولكن سرعان ما يمتزج بعضها ببعض، لينشأ منها أنبوب واحـد هو أنبوب القلب ، فى البقعة التى ستصبح رأس القرص المضغى .

ويجب أن تتتابع على هذا الأنبوب البسيط تطـورات عديدة قبـل أن يتخذ المظهر المعروف لقلب الإنسان ، ولكنه عوضاً من أن ينتظر ذلك اليوم البعيد للبدء فى عمله ، يخفق من فوره ، فتسرى خلال الأنبوب هزة طفيفـة ، تعقبها أخرى ، وسرعان ما يتداوله الانقباض والانبساط ، فيدفع الدم إلى الجريان فى أوعية القرص المضغى ، وعليه أن يستمر على هذا الخفقان حتى نهاية الحياة .

وحوالى نفس الوقت ينشأ الجهاز العصبى كذلك ، إذ يتـكون فى القرص المضغى صفيحة سميكة بيضية الشكل تسمى الصفيحة العصبية، تنشأ حافتاها من سطحها المستوى، ويتقوس بعضهما على بعض حتى ينشأ منهما أنبوب ، فى وسـط ما سيصبح ظهر المضغة تماماً ، وهـذا الأنبوب هو الذى سيتطور مقـدمه بالنمو فيما بعـد إلى مخ ، ويتحول مؤخره إلى نخاع شوكى . وكذلك فى هذا الأسبوع الرابع من بدء الحياة ، يمثل هذا الأنبوب البسيط بداية الجهاز العصبى ، أو فجر المخ الذى سيكون أعز ما يمتلك الإنسان .

وعندئذ تولى المضغة اهتمامها شطر قناة الطعام ، وهذا الجهاز يدعوه الرجل الجائع معدته ، ولكن علماء الأجنة يسمونه قناة الهضم ، فيحدودب وسـط القرص المضغى المنبسط ، ومن هـذه الحدبة ينشأ كيس ذو ردبين (طرفين مسدودين) ولا يمضى غير قليل حتى تنفتح ثغرة فى الردب المقـدم من السطح الأسفل لما سيصبح الدماغ فى المستقبل ، وهذه الثغرة هى بداية الفم ، وإن كان المخرج المشابه من الردب المؤخر يظل مغلقاً إلى حين .

ففى خلال الخمسة والعشرين يوماً التالية لإخصاب البيضـة البسيطة بالنطفـة تكون المضغة مخلوقاً صغيراً يبلغ من الطول حوالى عشر بوصة ، وله طرف دماغى وطرف ذنبى وله ظهر وبطن ، ولكن ليس له أذرع ولا أرجل ، وينقصه الوجه والعنق ، وكذلك يتلاصق قلبه ومخه . وعلى أية حال ففى ثنايا هـذا المظهر غير البشرى تبدأ المضغـة فى تكوين رئتيهـا اللتين تظهران أول الأمر كأخدود قليـل الغور فى قعر مقدم القنـاة الهضمية ، وتبدأ كبدها فى الظهور كتضخم فى جدار هـذا المقدم خلف القلب تماماً ، وتكون المضغـة قد سلكت طريقاً طويلا

مضلا يؤدى بها فى النهاية إلى تكوين الكليتين .

إن نشوء الكلى البشرية يضرب لنا مثلا رائعاً لظاهرة يمكن تسميتها « بسلم الارتقاء » ، فعوضاً من أن تنشىء المضغة العضو على الطراز الذى يستعمله الرجل دفعة واحدة ، تنشئه على النمط الذى يوجد فى حيوان أدنى كثيرا من الإنسان كالسمك مثلا ، ثم تهمل هذا العضو « السمكى » وتنشىء عضواً آخر كالذى يستعمله حيوان أرقى كالضفدع ، ثم تعود فنهمله ، ومن ثم فلعلها تنشىء عضوها البشرى من أطلال هذه الأعضاء السابقة جميعاً . وإن ذلك ليبدو كما لو كان إنشاء كل قاطرة بخارية حديثة يتطلب من الصانع أن ينشئها أولا على أقدم وأبسط نمط صنع من القاطرات ، ثم ينحى هذا الطراز ، ومن أنقاضه وما يضيف إليها من أجزاء جديدة يبنى قاطرة أحدث ، ثم بعد محاولات مماثلة ينشىء فى النهاية أحدث طراز ، وقد يستغل فى صنعه بعض المعادن التى دخلت فى صلب قاطرته الأولى . ويعلل العلماء هذا التطور العجيب الشائع فى نماء كل مراتب الحيوان العليا بأنه تكرار سريع لتاريخ التطور العضوى الطويل .

وفى نهاية الشهر تكون المضغة قد أصبح طولها ربع بوصة ، ويلون بعضها قد التف على بعض حتى لتكاد تؤلف دائرة ، ويكون لها ذنب قصير مدبب فى أسفل البطن وأزرار صغيرة على جانبى جسدها هى براعم الأذرع والسيقان ، وتظهر على ناحيتى عنقها القصير شقوق أربعة يمكن تشبيهها من حيث الوظيفة بخياشيم السمك ، وهذا مثل آخر من أمثلة سلم الارتقاء ، وتكاد كل أعضاء الجسم البشرى حينئذ تكون فى بدء التخلق ، ففى الرأس تظهر العينان نتوءين أجوفين بارزين من أنبوب المخ الصغير ، وتبدو فى جلد مقدم الرأس فجوتان من نسيج سميك تمثلان بداية الأنف ، وخلف كل من العينين على مسافة قصيرة تنشأ أذن — لا صوان الأذن الخارجية ، ولكن ذلك النسيج الحساس الذى سيعين الإنسان على السمع فى المستقبل . وفى ٣٠ يوماً يكون المخلوق الجديد قد قطع الطريق من البيضة المخصبة الغامضة فى بساطتها إلى عتبة البشرية .

الشهر الثانى

وجه الإنسان

من فرخ الضفدع إلى رجل . . . كذلك يستطيع المرء أن يمثل للتطور الحادث أثناء الشهر الثانى من الحياة . حقيقة إن المضغة

ليست فرخ ضفدع، لكنها ليست بعيدة الشبه به ، فإن هذا المخلوق المذنب البصلي الشكل برأسه الضخم المطرق ، وفتحات خياشيمه المماثلة لخياشيم السمك ، وبراعم جوارحه (أطرافه) التي لم تتخلق ، قليل الشبه بمظهر الإنسان . ولكن في نهاية الشهر الثاني يتخذ الجنين سمات البشر المعروفة ، وإن بلغ الذنب أقصى نموه أثناء هذا الطور . وفي هذا الشهر يزداد طول المضغة ستة أضعاف (فيصبح بوصة ونصف بوصة تقريباً) ، كما يزداد وزنها ٥٠٠ ضعف ، وتساعد العظام والعضلات النامية بين الجلد والأحشاء على استدارة الجسد .

على أن الوجه والعنق النامیين هما أهم السمات التي تضفي عليها هيئة الإنسان بالغة ما بلغت من الغرابة ، فقد أخذ الفم الذي أصبح يحوطه فكان أعلى وأسفل ، يتناقص حجمه بالتدريج كلما امتزجت الأنسجة لتؤلف الأصداغ ، وقد اقتربت الفجوتان الأنفيتان إحداهما من الأخرى حتى تكون منهما أنف عريض ، والعينان اللتان كانتا في البداية على جانبي الرأس قد تحولتا إلى مقدمه ، وفي الأسبوع الأخير من الشهر ، تنشأ الجفون وتسبل على الأعين بعد أمد قصير .

أما الجبين فيكون بارزاً أفطح، ويسبغ على المضغة مظهر الذكاء . وفي الواقع تكون المضغة كذلك من حيث أن المخ يحتل من الرأس أوفى نصيب ، وعلى الوجه أن يقضي أعواماً عديدة قبل أن يستطيع الانتصاف من حيف المخ المبكر عليه ، وبلوغ الحجم النسبي له في الإنسان البالغ .

وتخضع الجوارح لسلسلة مماثلة مدهشة من التطورات ، إذ تستطيل براعمها ، ويتفلطح الطرف المطلق لكل منها حتى يصبح في مثل صفحة المجداف ، ومن هذه الصفحات تتكون راحات الأيدي وأمشاط الأقدام ، وسرعان ما تظهر في كل منها خمسة خطوط تفصلها أخاديد قليلة الغور ، وبالتدريج تنشق هذه الأخاديد ، فتنحسر عن خمسة أصابع جلية في كل يد وقدم ، وفي نفس الوقت تتكون برازخ مستعرضة في هذه الجوارح تدل على المرفق والمعصم في الذراع والركبة والعقب في الساق .

ويبلغ ذنب الإنسان أقصى نموه أثناء الأسبوع الخامس ، وتكون له العضلات التي تحرك الذنب في الأنواع الدنيا من الحيوان ، على أنه ينكمش منذ هذا الأسبوع ولا يبدو في المولود حديثاً إلا شذوذاً . وإذ تنشأ العضلات تنشأ معها العظام ، وفي معظم أحوال النمو العظمي ينشأ أولا طراز من العظم يسمى الغضروف ، وهو مادة أشد من العظم رخاوة وأشف منه ، وفي

هذا القالب الغضروفى وحوله تترسب مادة العظم الصلب . وكما يصوغ المثال تمثاله أولا من الطين ، ثم إذا أعجبتـه الصياغة صب التمثال فى البرونز ، كذلك يبدو أن المضغة الناشـئة تفصل هيكلها من الغضاريف ثم تصوغه من العظام ، وتستمر هذه العملية طوال أشهر الحياة مثل الولادة وفى الطفولة والمراهقة ، ولا تتم صياغة الهيكل العظمى كله إلا عند تمام البلوغ .

ولعل أهم ظواهر الشهر الثانى للحياة هى نشوء الأعضاء التناسلية . ففى مستهل هـذا الشهر لا يوجد طريقة للتكهن بجنس المضغة، وفى نهاية الشهر ينجلى جنسها بوضوح من أعضائها التناسلية الداخلية التى تكون لها فى العادة دلالات خارجية . وأعجب ظاهرة فى النمو التناسلى أن بواكير هـذه الأعضاء تتشابه فى الذكر والأنثى ، حتى الغدد اللبنية (الشدى) يبدأ نموها فى الجنسين كليهما حول نهاية الشهر الثانى ، وإنه ليـبدو أن الطبيعة تهب كل شخص أعضاء التـذكير والتأنيث البشرية جميعاً ، ثم بتدعيم بعض هـذه الأعضاء ، واضطرار سائرها إلى الضمور ، تحـول المضغة غير المتميزة إلى ذكر أو أنثى .

أكل كائن بشرى إذن فى منشئه خنثى توارى فيه الأعضاء والوظائف التناسـلية الغالبة والتى تقررت سـاعة الاخصاب ، خواص الجنس المضاد ؟ . . إن التجـارب المعملية لقلب الخواص التناسلية فى الأنواع الدنيا من الحيوان تعلل هذا بأنه قدتكون هناك درجات مختلفة للنمو التناسلى حتى فى البشر ، وأنه بين الذكر الخالص والأنثى الخالصة قد تحدث مراتب متعددة لتداخل الخواص الجنسية بعضها فى بعض .

وكذلك ينتهى الشهر الثانى من أشهر الحياة بوسم المضغة بطابع الشبه للانسان ، وخلال الأشهر السبعة الباقية يدعى هـذا الكائن البشرى الصغير جنيناً ، ويكون أهم تغير طرأ عليه هو النمو ، والخلق المفصل .

الشهر الثالث

وضوح الجنس

والآن يبدأ الذكور فى سـبق الإناث وتأييد سيادتهم . وذلك أن الطفل الذكر أثناء الشهر الثالث يندفع للعمل على إنماء أعضائه التناسلية بينما تتهادى الأنثى قريبا من أرض الحياد حيث لا تتميز الأجناس . فإن تناسينا هذه الفوارق الجنسية فيمكن أن نسمى الشهر الثالث « بشهر الأسنان » ، إذ أنه فى بداية هذا الشهر تصبأ براعم الأسنان اللبنية العشرين فى الأطفال ، وتنشا خدور هذه الأسنان فى عظام الفكين الآخذة فى التصلب.

ومع أنه يجب أن تنقضى ستة أشهر قبل أن نسمع صرخة الطفل الأولى، فإن الأوتار الصوتية التى تؤدى ذبذبتها إلى هذه الصرخات تظهر الآن ، وإن كانت فى الوقت الحاضر عاطلة عطل الأوتار الممزقة فى قيثار ، ولن تتخذ هيئة الأوتار الصوتية البشرية العاملة إلا بعد ستة أشهر من الميلاد . ويجب أن نتذكر أنه فى أثناء الحياة داخل الرحم لا ينفذ الهواء من الحنجرة إلى الرئتين ، فإن الجنين يعيش فى بحر لا يؤدى التنفس فيه إلا إلى إغراق الرئتين فى النخط (السائل الأمنيوسى) ، وكذلك تظل الأوتار الصوتية سميكة ، لينة ، مسترخية .

وفى الجنين البالغ ثلاثة أشهر تبدأ آيات نشاط الجهاز الهضمى فى الظهور ، فإن الخلايا المبطنة للمعدة تأخذ فى إفراز المخاط وهو السائل الذى يندّى مجرى الطعام فى الجهاز الهضمى ، وتبدأ الكبد فى صب الصفراء فى الأمعاء ، وتنهض الكلى للقيام بوظيفتها فتفرز البول ، فيتسرب من مثانة الجنين إلى النخط ، على أن دم الأم يظل يتلقى عن طريق المشيمة معظم الفضول التى ينجاب عنها جسم الجنين .

وتدرع الأحشاء بالعظام والعضلات التى تقرر بنموها المطرد هيئة الجنين واستدارة جسمه وقواه . وفى الوجه تكون عظام الفكين النامية ، وعظام الأصداغ ، وكذلك العظام الأنفية التى تكوّن قصبة الأنف آخذة فى إضفاء السحنة البشرية والمحيا الإنسانى على وجه الجنين المتغضن الصغير ، كما أن بؤراً عظمية تكون قد ظهرت فى غضاريف الأيدى والأقدام ، وإن كانت المعاصم والكعوب لا تفتأ معتمدة كل الاعتماد على الغضاريف .

ولم يعد هناك مجال للشك فى هل هذا الجنين كائن بشرى حى أو لا ، فإن كثيرا من الأحشاء قد بدأ يمارس وظائفه الدائمة ، وليس هذا فحسب ، بل العضلات التى بلغت مرتبة من النماء قادرة الآن من تلقاء نفسها على تحريك الأذرع والأرجل والأكتاف بل والأصابع .

الشهر الرابع

الارتفاض

يبسط الموت ظله على الإنسان قبل مولده ، وذلك أن الحياة يجرى معينها أسرع ما يجرى خلال المضغة والجنين الصغير ، ثم لا يلبث أن يبطئ إبطاء محتما ، حتى فى الرحم . ويحدث أقصى النمو فى الشهرين الرحميين الثالث والرابع حيث ينمو الجنين إلى ست أو ثمانى بوصات تقريباً فى الطول ، ويكاد يبلغ حينئذ نصف طوله حين الميلاد ، ومنذ

اليوم يتضاءل معدل النماء تضاؤلا مطرداً .

وأياً كان الأمر فإن الجنين الصغير لا يكون حينئذ تمثالا مصغراً دقيقاً للانسان، ولكنه مخلوق كالمسخ ، رأسه شديد الضخامة، ومنكباه عريضا الانساع ، ورجلاه واضحتا القصر . إذ فى نهاية الشهرين الأولين يكاد الرأس يساوى نصف الجسد ، وعند الولادة يساوى ربعه ، فإذا بلغ المرء أشده كان طول الرأس عشر طول الجسد .

ومع ذلك فإن الجنين فى شهره الرابع لا يكون مخلوقاً دميما ، فرأسه الذى كاد يرتفع ، وظهره الذى أوشك أن يستقيم يضفيان عليه شبهاً حقيقيا بالرضيع العادى ، ورغم اتساع وجهه فإنه يكون حسن التقاسيم ، أبلج ما بين العينين ، وها هى ذى أيديه وأقدامه حسنة التقويم ، وإن كانت أصابعها أميل إلى العراضة ، وأقرب عادة إلى الانثناء . وعلى أعلة كل أصبع تأخذ فى الظهور سلسلة من الدوائر مكونة من خطوط جلدية ، تكون أساساً للبصمات العتيدة لأصابع اليدين والرجلين ، وتختلف صورة هذه الخطوط — كما ينبغى أن نتوقع — فى كل جنين عنها فى الآخر ، وفى نهاية الشهر الرابع يكون كل كائن بشرى قد اتسم حتى نهاية الحياة بطابع شخصى لا يتغير يميزه عن سواه .

وفى الجلد الذى يكون شديد التغضن فى ذلك الوقت تشيع حمرة داكنة ، وآية هذه الحمرة أن الجلد يكون من الرقة بحيث يستمد لونه من لون الدم السارى فى العروق الدفينة فيه ، ولا يختزن جسد الجنين قبل الشهر السادس من حياته داخل الرحم ، إلا مقداراً تافهاً من الشحم ، ولذلك يظل الجلد رخواً ومتغضناً حتى يتراكم الشحم تحته.

وفى ذلك الوقت ينشط الجنين ويسرع فى رحلته الهادئة الصامتة بين بداية الحمل والمخاض ، فيضطرب أولا ، ثم ينبسط ، ثم يتمطى بقوة ، ولقد تحس الأم أول ما تحس بهذه الحركات كخفيف الأجنحة ، ولكن ما هو إلا قليل حتى تشعرها لكماته لجدار الرحم بأساوب لا مجال للخطأ فيه ، أن الحيـاة على الأبواب . فهذا أوان « ارتكاض الجنين فى الرحم » .

الشهر الخامس

الشعر والأظافر والجلد

الإنسان لغز ، لا يتجزأ ولو أنه مركب ، وإنه ليتألف من مئات من الأجزاء المنفصلة يدركها الموت باستمرار فتتجدد ، وهو مع ذلك محتفظ بشخصيته الغامضة . وفى الإمكان مقارنة الكائن البشرى بجماعة تعاون يتضافر أعضاؤها على تبادل المعونة والحماية ، ليواجهوا

العالم الخارجى بجبهة متحدة ، ويتقاسموا بالتساوى مزايا دنياهم الداخلية وتبعاتها . فتقسيم العمل، والتخصص، وتبادل المحاصيل لها من الخطر فى جماعة الخلايا والأعضاء نفس ما لها فى جماعة التعاون . الجهاز الهضمى يحول مواد الطعام إلى مقوّمات الخلية الحيـة ، وسوائل الجسم السارية فيه تؤلف شبكة هائلة من وسائل النقل ، وتقوم الأعصاب بعبء المواصلات البرقية ، بينما يناط بالمخ عمـل المكتب الرئيسى ، وتقرر الغـدد الصم المسيطرة سرعة كثير من أنواع النشاط ودوامها ، ويحيط الجلد بجميع الأجهزة الهامة فى الجسم ، كوقاء وحافظ وكشّاف لسائر الأعضاء .

فأما وقد تدعمت الأحشاء فإن الجـلد والأنسجة المتفرعة منه ينشط كل منها إلى تكوين صورته النهائية ، فيتغطى سطح الجلد بخلايا صلبة جافة ميتة ، تقوم مقـام الحاجز الواقى لأنسجة الجسم الرخوة من مخاطر البيئة ، ولا تزال هذه الخلايا الميتة تتحاتّ ، كعهدها بعد الولادة ، ليحل محلها سواها من الجلد الدائب على النمو ، وتنشأ الغـدد العرقية والغدد الدهنية التى تفرز مادة زيتية حول كل جذر من جذور الشعر . وخلال الشهر الخامس تمج هذه الغدد إفرازاً دهنياً تتألف منه ، ومما لفظ الجلد من الخلايا الميتة، عجينة كالجبن تغطى البدن كله ، والمقول أن هذه المادة التى تسمى «الطلاء الدهنى» تقوم للجنين مقام القباء الواقى من النخط المحيط به . والذى يشتمل الآن على فضول قد تؤذى البشرة التى لا تزال رقيقة .

ويدرك مشتقات الجلد كذلك نموظاهر، فينبت الزغب على فروة الرأس فى هـذه الآونة ويكسوها جميعاً ، وتظهر الأظافر على أصابع الأيدى والأقدام ، وفى البراعم النامية للأسنان اللبنية تتكون الميناء اللؤلؤية وما يليها من العاج الشبيه بالعظام .

على أن أهم ظاهرة من ظواهر النمو فى هذا الشهر هى استقامة محور الجسم . لقد كان الجنين فى بداية الشهر الثانى يكاد يلتفّ على نفسه حتى لا يبعد ذنبه كثيراً عن رأسه ، وفى الشهر الثالث يشمخ الرأس شموخاً ظاهراً ، ويؤلف الظهر قوساً قليلة الغور ، وفى الشهر الخامس يكون الرأس متزن الانتصاب على العنق الناشئ ، ويكون الظهر أقل انحناء . وعند الميلاد يكون الرأس تام الانتصاب ، والظهر مستقما إلى حد لا يكاد يصدق . والواقع أنه يكون أقرب إلى الاستقامة منه فى أى طور آخر من أطوار الحياة ، لأن الطفل لا يكاد يتعلم كيف يجلس ويمشى حتى تنشأ تقوسات ثانوية فى الصلب (العمود الفقرى) يتخذها الجسم عمَداً لاتزانه .

والجنين فى شهره الخامس كائن ضامر متغضن الإهاب ، طوله حوالى قدم ووزنه حوالى رطل، فإن ولد حينئذ (أو إن سقط بعبارة أصح) فقد يحيا بضع دقائق . وقد يتنفس بضع مرات ، وربما صاح ، ولكنه سرعان ما يتخلى عن النضال ويموت . وهو على قدرته أن يحرك ذراعيه وساقيه بنشاط ، يبدو عاجزاً عن الاستمرار فى أداء الحركات المعقدة الضرورية للتنفس المستمر .

الشهر السادس

وأعين التي تتفتح على ظلام

الآن وقد بلغ الجنين شهره السادس ، تعتاد الأبوين المشوقين حيرة بالغة من حيث الوليد المنتظر : أذكر هو أم أنثى ، ولا سيما حين يدركان أن جنس الجنين قد تجلت عليه آياته بالفعل ، وإن ظلت للعالم الخارجى سراً مكتوماً .

وخلال الشهر السادس تتفتح من جديد الأجفان التى ظلت مغلقة منذ الشهر الثالث ، وتبدو من بينها أعين كاملة الخلق لا تصبح قادرة على الإحساس بالضوء إلا فى الشهر السابع . وتنشأ الأهداب والحواجب عادة فى الشهر السادس أو السابع .

وفى هـذا الشهر تنبت براعم الذوق على سطح اللسان كله ، وعلى سقف الحنك وجدرانه ، وفى الحلق ، وتكون فى الجنين أكثر منها عـدداً فى الوضيع أو البـالغ . وإنه ليبدو عجباً أن الجنين الذى لا يتهيأ له التذوق توهب له حاسة الذوق بمثل هـذا السخاء . ويعتقد بعض علماء الحياة أن هذه الظاهرة ليست إلا آية أخرى على تكرار عملية الترقى أثناء التطور ، إذ تكون أعضاء الذوق فى الانواع الدنيا من الحيوان أوسع وأسخى منها انتشاراً فى الإنسان .

وإذا أتيح لهذا الجنين فى شهره السادس أن يولد ، فإنه يتنفس ويصرخ ويتلوى ، وقد يعيش عدة ساعات ، ولكن الأمل فى حياة هذا المولود الخديج (المولود قبل تمام أشهر الحمل) يكون أملا طفيفاً ما لم يُربَّ فى محضن (فرن درجة حرارته ثابتة عنـد درجة ٣٧ سنتجراد وهى الحرارة الطبيعية لجسم الإنسان) فإن الحيوية والقدرة على العيش شعلة ضئيلة اللهب ما أسرع ما تنطفئ لأول اصطدام بالعالم الخارجى .

الشهر السابع

المخ النائم

يعبر الجنين فى هـذا الوقت تلك الأرض المجهولة الكائنة بين الاستقلال وبين اعتماده على سواه ، ذلك أنه وإن كان يقضى عادة شهرين آخرين فى مستقره المكين بالرحم ،

فهو مع ذلك قادر على الحياة المستقلة ، فإذا دعت الظروف ، وكانت شروط الولادة ملائمة ، فإن الجنين ذا الأشهر السبعة كثيراً ما يكون أطول حياة من المولود الخديج . والمعتقد أن سبباً من أهم الأسباب لعجز الأجنة الصغرى عن الحياة بعد مولدها هو النقص فى نشوء الجهاز العصبى ، وبالأخص أجزائه المختصة بدوام حركات التنفس المنتظمة ، وبإجراء الانقباضات العضلية المتتابعة التى يستدعيها البلع ، وبوظيفة الجهاز المعقد الذى ينظم حرارة الجسم .

إن الجهاز العصبى البشرى يتألف من شبكة معقدة من الأعصاب ، تصل بين كافة أعضاء الجسم وبين المخ والنخاع الشوكى — المكتب الرئيسى لكل إشعار عصبى ترسله الحواس أو تتلقاه العضلات . ففى الشهر الثالث للحياة تنشأ مناطق وأنسجة هامة فى المخ ، كالمخيخ وهو الجزء المتضخم منه الذى يتلقى الألياف العصبية الوافد معظمها من الأذن ، ثم ذينك النتوءين الأجوفين الكبيرين — وهما الفصان المخيان — اللذين هما أبلج سمة للمخ البشرى ، واللذين كتب عليهما أن يصبحا أعقد الأنسجة فى الجهاز العصبى لأى حيوان ، وأشقها نماء ، واللذين هما الأداة الأولى — كما يقول البعض — لسيطرة الإنسان على سائر الحيوان .

ففى الشهر السابع يكاد هذان الفصان يغطيان المخ كله ، ويكمل نماءهما . تغير مبهم وغير محدد يصيب الخلايا والألياف العصبية الدقيقة ، ومنذئذ يصبح الجهاز العصبى للجنين قادراً على العمل الموفق .

والجنين ذو السبعة الأشهر أحمر الجلد ، مجعده ، تبدو عليه سحنة الطفل الشيخ ، ويبلغ طوله ١٦ بوصة ، ووزنه ثلاثة أرطال بالتقريب . وإذا ولد صرخ وتنفس واستطاع ان يبلع ، ولكنه على أية حال يكون شديد الاستهداف للعدوى ، ويتطلب المزيد من الوقاية ضد الصدمات التى تفرضها هذه الحياة الجديدة فى الدنيا الخارجية ، على جسده الرقيق . وهو يشعر باللمس الرفيق لراحته ، ولعله يستطيع التمييز بين النور والظلام ، وخير من هذا كله أن له أملا فى أن يعيش .

الشهران الثامن والتاسع

الجمال الأصيل

الآن يقضى الكائن البشرى الصغير — وقد تهيأ للميلاد ، وتقومت أعضاؤه الهامة جميعاً وأصبحت قادرة على أداء وظائفها — شهرين آخرين فى وضع الخطوط الأخيرة لكيانه ، واستكمال ما لا يزال موضع النظر من جماله . ها هو ذا الشحم

يتراكم على عجل فى جسمه جميعاً فينضر جلده المجعد المسترخى ، وتتم استدارة قوامه ، وها هو ذا الجلد الأحمر الأدكن يذوى لونه بالتدريج حتى يصبح وله اللون الوردى للحم ، وكذلك يستبدل الجنين ملامح الطفل الرضيع من سحنة الرجل العجوز .

وتكون صبغة الجلد عادة من الضآلة بحيث أن ابناء الأجناس السمراء أنفسهم يكون لون جلدهم ساعة الميلاد أدنى إلى إلى الفاتح منها إلى الداكن . ويشترك لون قزحية العين فى هذه الظاهرة ، إذ يكون فى معظم الأطفال عند الميلاد أزرق سنجابيا (ويعنى هذا أن نصيبه من الصبغة ضئيل) ومن المستحيل فى حينئذ التكهن بلونه المستقبل .

ولا يكون الجنين وقتئذ هادئاً رزيناً بحيث يدخر نشاطه لما بعد الميلاد ، وإنما يضرب بساعديه وساقيه ، بل وقد يغير موضعه داخل الرحم المزدحم بعض الشىء ، ويبدو أنه تتداوله فترات من النشاط والهدوء ، وكأنه ينام برهة — ولعله يفعل — ثم يستيقظ ليقوم برياضة بسيطة .

الهجرة

إن الدافع الأساسى الحقيقى لعملية الوضع لا يزال مجهولا للآن ، وإنه لتحدث فى الرحم لعدة أسابيع وربما عدة أشهر قبل الوضع ، انقباضات عضلية بطيئة ومتوالية ومشابهة للطلق (آلام الوضع) ، وإن كانت أخف . فلمَ يندفع الرحم فجأة بعد هذا الصبر الطويل على تلك الانقباضات غير المثمرة ، إلى تلك الحركات العضلية العنيفة الفعالة التى تطرد الجنين الذى طال الصبر عليه فى بضع ساعات ؟ . . ذلك ما سيظل خاتمة الأحاجى لحياتنا قبل الولادة ، ومن المحتمل أن يكون الباعث على تطورات الوضع تفاعل معقد فى جسد الأم جميعا وبالأخص فى تلك الغدد الصمّ المسيطرة التى قد تصب فى الدم مواد كيميائية تثير لساعتها الانقباضات العنيفة فى عضلات الرحم .

وليست تلك التسعة الأشهر والعشرة الأيام ، الشائعة كمدة للحمل ، مدة حتمية ولكن ١٠ فى المئة من الأجنة يولدون بعد ٢٨٠ يوماً من بداية آخر حيض حقيقى ، بينما يولد ٧٥ فى المئة تقريباً خلال أسبوعين من هذا التاريخ .

وما هو إلا أن يولد الجنين حتى يتنفس فى العادة بقوة ، ويملأ رئتيه بالهواء ، ثم يصرخ صرخته الثاغية الأولى إما بفعل الصدمة التى يحدثها فى جسمه العالم الخارجى الذى لم يتعوده ، وإما بتأثير منبه ما يحدثه فيه الطبيب . وأيا كان الأمر فلا يزال المولود متصلا بالمشيمة المستقرة بجدار الرحم بواسطة

الحبـل السرى . فأما وقد أصبحا ـ الحبل السرى والمشيمة ـ بلا فائدة، فإنهما يفصلان من الوليد ، وسرعان ما تضوى أرومتهما، ولـكن الندبة التى تتركها ، وهى المنخفض الناشىء بجدار البطن فى موضع اتصاله بالحبل السرى تظل باقية — باسم السرة — طول الحياة ، كأنها طلل دائم لحياة عشـنا فيها يوماً ما عيش الطفيليات .

على أن هذا الوليد ليس مخلوقاً بشريا كاملا مفروغاً من خلقه بأية حال ، إذ أن هناك عدة تعديلات عاجلة يتطلبها الانتقال من حياة الرحم إلى الحياة المستقلة . فالرئتان تكونان عنـد الوضع صـغيرتين نسبيا ، وتتكونان من كتل متراكمة كأنها من نسيج سميك ، ولـكن الأنفاس القليـلة الأولى تنشرها حتى لتملأ فراغ القفص الصـدرى كله . وفى الوقت الذى تمتلىء فيه كل جميع الحويصلات الهوائية بالهواء تخف الرئتان وتصبحان كالإسفنج ، ولـكنهما لا تكونان حتى الآن رئتين بشريتين كاملتى النماء ، وذلك أن حويصلات هوائية جديدة تتكون طول الطفولة ، وحتى الحويصلات التى تمت قبل الولادة لا تؤدى وظيفتها كاملة إلا بعد التنفس المنتظم عدة أيام .

والقلب الذى يكون أولا فى حجم قبضة يد الطفل بالتقريب ، يبطىء خفقانه بالتدريج ويقترب من المعدل الطبيعى لخفقان القلب البالغ . وبعـد الوضع بقليل يخرج العق الذى تجمع فى الأمعاء أثناء الأشهر السـتة الأخيرة من الحياة فى الرحم . ويمتاز الجنين المولود بأن أمعاءه ومحتوياتها تكون عقيمة تماما ، ولا يبدأ ظهور ذلك الخلق المتعدد الـكثيف من الميكروبات المتوطنة فى أمعاء جميع الـكائنات البشرية إلا بعد الميلاد .

والغدد الدمعية والغدد اللعابية لا يكون نموها قد اكتمل عند الميـلاد ، وكذلك يبكى الوليد بلا دموع ، ولعابه لا يستكمل كل قدرته على هضم المواد النشـوية إلا عند ما يوشك على الفطام . وعلى رغم حساسية العيون للضوء فليس فى إمكانها التحديق فى نقطة معينة ، ومن أجـل ذلك يكون المولود فى حالة حول مؤقت .

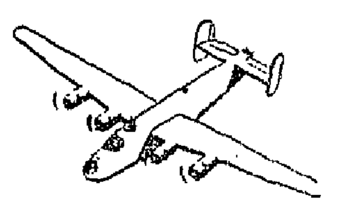
كذلك تنتهى التسـعة الأشهر الأولى للحياة ، فتؤلف التغيرات المتشعبة التى تحدث فى أثنائها، التاريخ الشخصى الأول لـكل فرد من أفراد الجنس البشرى . وهى الطور الوحيد من أطوار الحياة الذى نشترك فيه جميعا ، ويتشابه فيه كافة الناس .



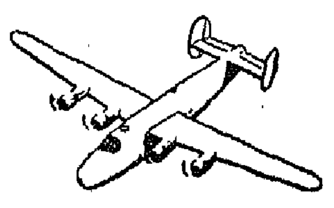

CHRYSLER
بليموث
دودج
دى سوتو
كريزلر
FARGO
فارجو
كريزلر
اليوم تنتج شركة كريزلر مقادير كبيرة من العتاد الحربى ، كالدبابات ، وسيارات النقل الحربى ، والمدافع المضادة للطائرات ومهمات الطيران والمحركات ، والذخائر ، والبوصلات من طراز « جيروسكوب » وغيرها من المعدات الحيوية . وبعد إحراز النصر ستعود شركة كريزلر إلى إنتاج منتجات عظيمة الشأن كبيرة القيمة بالنسبة إليك . كريزلر كوربوريشن ، قسم التصدير ، دترويت مشيجن بالولايات المتحدة الأمريكية .
CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION.


لمثل هذا أنا هنا . . .
إنّ العالم اليوم فى مسيس الحاجة إلى الطعام ... وقد أدركنا الآن أنه لم يكن فى الدنيا طعام كاف فى يوم من الأيام ، فعلى كل مزارع مسئولية جديدة .. وهى إنتاج مقادير من الطعام تزيد على مر الايام .
ولكن إذا طلبنا من الأرض إعطاءنا أقصى حد من الإنتاج أصبح من الضرورى المحافظة على خصوبة التربة .. وعلى المزارع أن يخلف للأجيال القادمة أرضاً أكثر خصوبة وأوفر إنتاجاً وإلا نكون قد أجلنا فقط يوم الحساب .
ولكى يبلغ المزارع هذه الأهداف ينبغى أن يعتمد على الآلات الزراعية الحديثة ، فالقوة الآلية هى التى تمكنه من القيام وحده بعمل جماعة من الرجال ، وإنجاز هذا العمل على وجه أتم . على أن الإنتاج الهائل المنشود يضع المزارع أمام مهمة ضخمة . . . بل أمام تحد لم يعرفه من قبل ! بيد أنه عندما يزن الأمور بميزانها الحق سيقول : « لمثل هذا أنا هنا » !
وسيواجه المزارع فى المستقبل شتى المشكلات وستكون شركة « مينيا بوليس ـ مولين » سعيدة بمعاونته على حلها ! فحين تضع الحرب أوزارها ستشرع فى صنع آلات زراعية جديدة من مختلف الأنواع خليقة بمساعدة مزارعى العالم على إنتاج مقادير أوفر من الطعام والألياف والزيوت ، بتكاليف أزهد ، وبهذه الطريقة تهيئ لجميع سكان العالم الإفادة من الإنتاج الزراعى الوافر ، وتساعد المزارعين فى كل مكان على بلوغ مستوى أعلى فى الحياة . . . نعم إن آلات « مينيا بولس ـ مولين » الحديثة ستساهم مساهمة فعالة فى تدعيم أسس السلام عندما يكتب لنا النصر .
MINNEAPOLIS MOLINE
MODERN FARM MACHINERY
MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U. S. A.

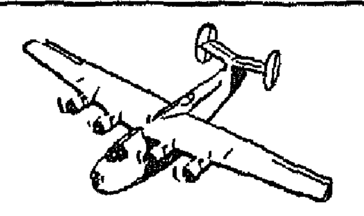
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



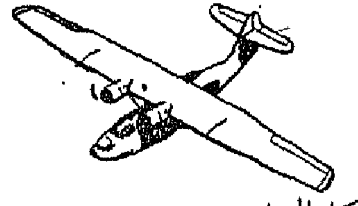
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



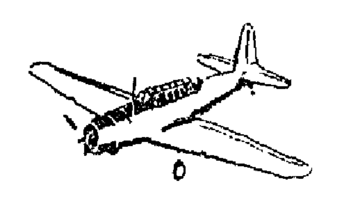
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



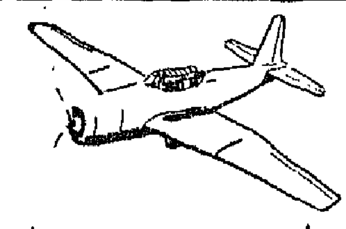
كورونادو — قاذفة داورية



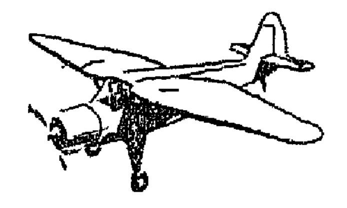
كاتالينا — قاذفة دورية



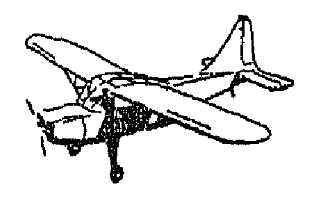
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

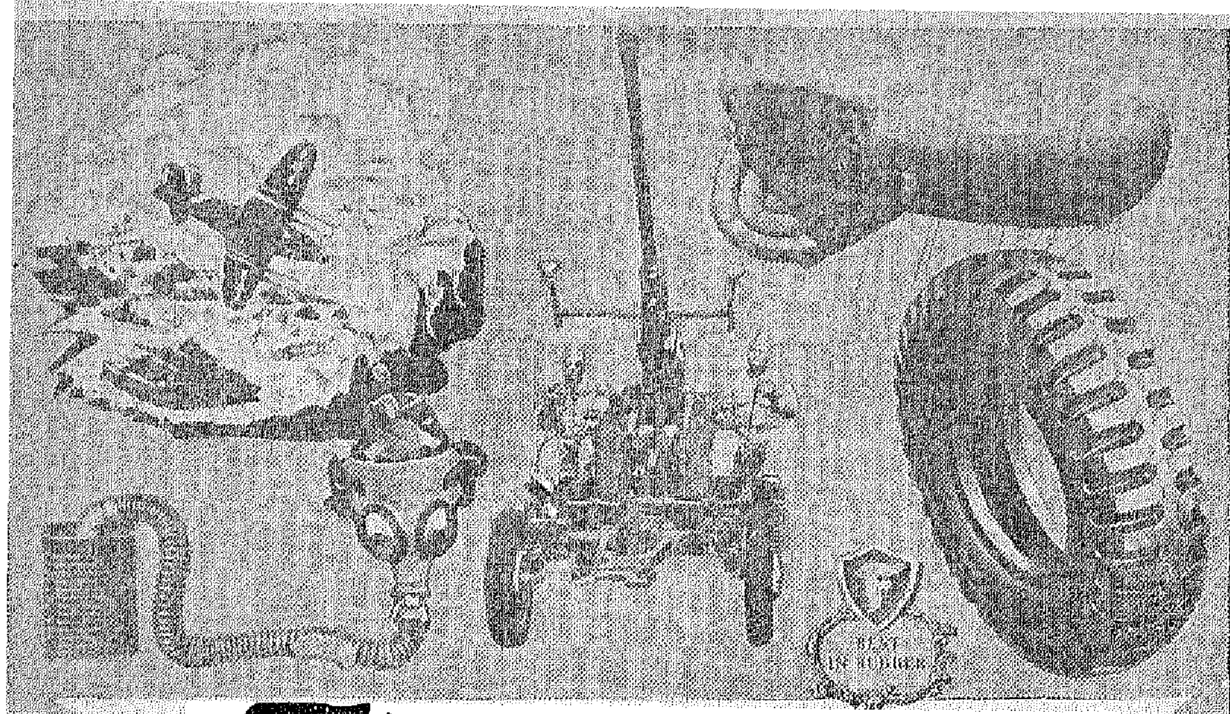
San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

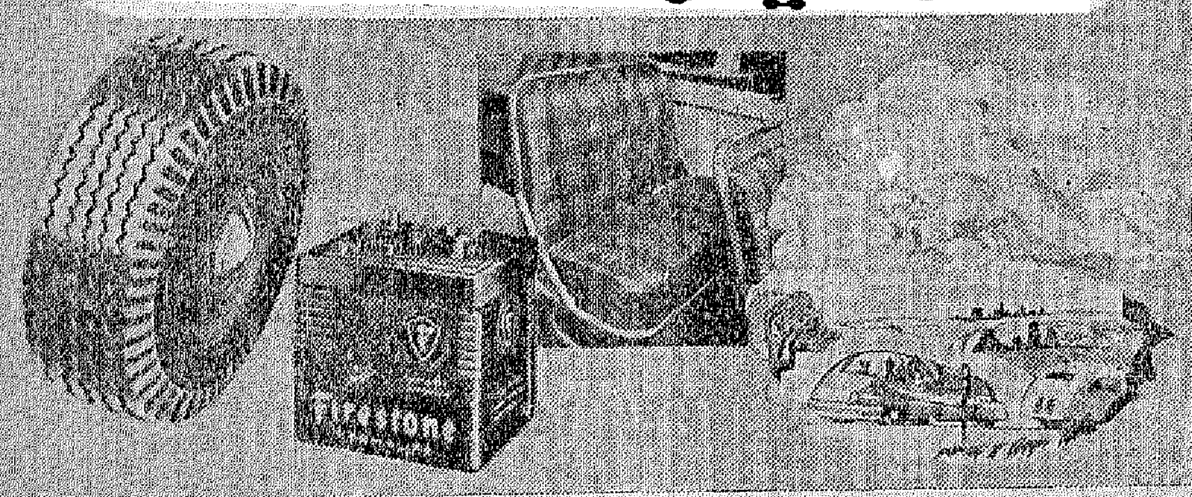


Firestone

تنتج للحرب .. وتحضر للسلم

... **إن** مصانع فايرستون منقطعة اليوم كل الانقطاع لإنتاج العتاد الحربي اللازم للأمم المتحدة . وبعد الحرب ستكون فايرستون على تمام الأهبة لتزويد الجمهور بألوان متعددة من منتجاتها المطبوعة بطابع الإمتياز والتفوق .

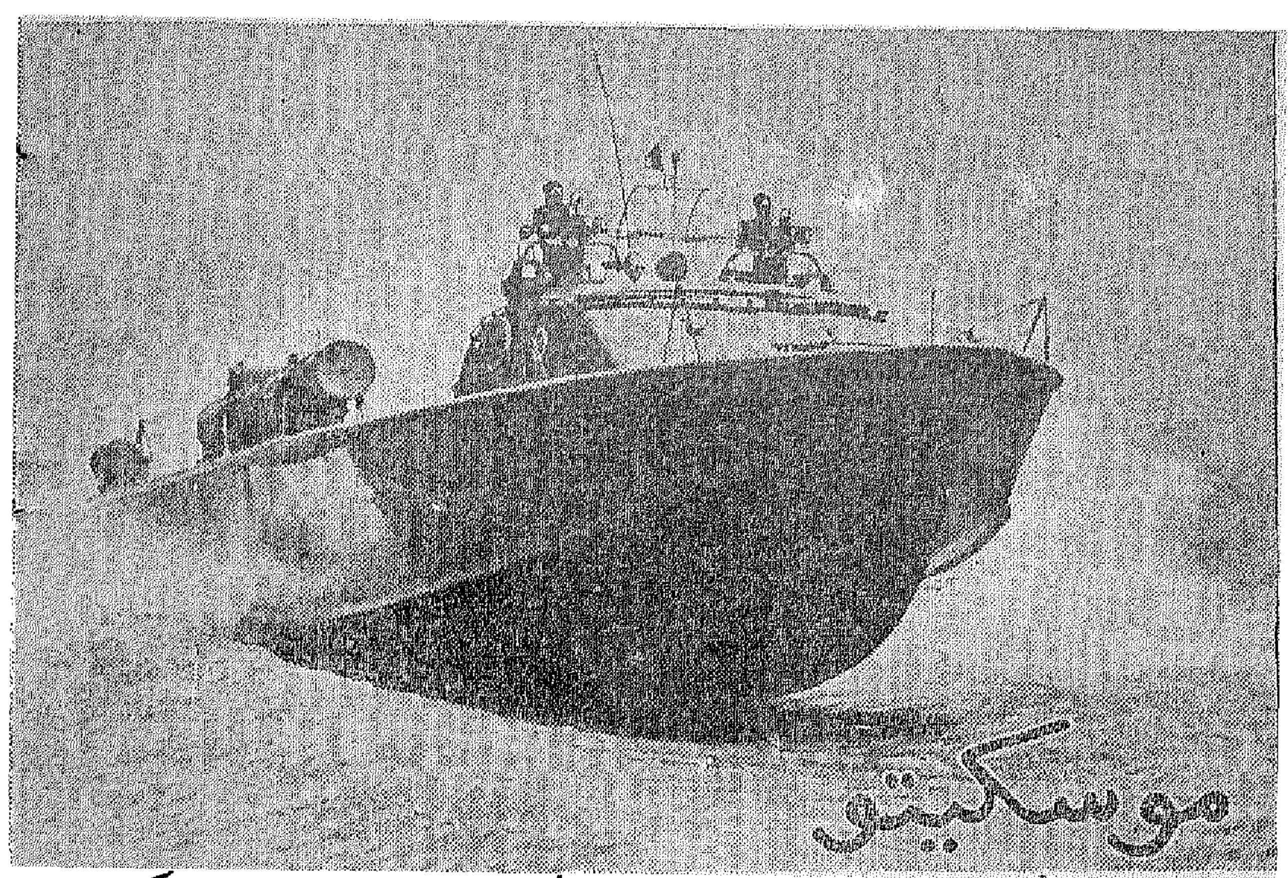
فايرستون




نورج
إحرص عليه جيدًا
إنّ أول وأهم غرض يرمى إليه نورج الآن هو المساعدة على كسب هذه الحرب .
ولن يصبح نورج فى متناول يدك حتى ينقشع دخان المعارك . فإذا كنت من الأشخاص المحظوظين الذين يملكون جهاز نورج فإننا نحثك على أن تبذل له من الرعاية ما هو أهل له . إن التحول من صناعة الأجهزة المنزلية الدقيقة إلى إنتاج أجزاء دقيقة بكميات متزايدة للوحدات الحربية والبحرية ليس ببعيد المدى كما قد يتبادر إلى الذهن . لأنه فى الحالين ينبغى المحافظة على المستوى العالى الممتاز الذى عرف عن نورج .
فعند ما يهل علينا السلام بطلعته سوف تتحول أنظارنا عن ساحة المعارك إلى المنزل وسنقصر جهودنا على خدمتك من جديد . وذلك بإمدادك بأفضل وأحدث الأدوات المنزلية المستطاعة .
إن قسم نورج في شركة بورج وارنر يصنع أجهزة نورج والثلاجات التجارية ، وهو يرحب بكل استفسار أو استعلام يصل إليه من رجال الأعمال الذين يمكن الاعتماد عليهم ويهمهم أن يعرفوا كيف يحصلون على امتياز نورج الفريد ويلمون بالمزايا التى تعود عليهم من مشروع نورج لما بعد الحرب .
NORGE DIVISION BORG-WARNER CORPORATION, DETROIT MICH., U. S. A.
NORGE
نورج
للأدوات المنزلية والتبريد التجارى
★ إحدى صناعات بورج - وارنر ★


جميل المنظر ...
سهل الانقياد ...
ذائع الشهرة ...
فى جميع انحاء العالم !
إن قلم پاركر فاكوماتيك اللامع يمتاز بالجمال والدقة المعروفتين عن پاركر ليسبغ على الكتابة لذة جديدة . وريشته المصنوع طرفها من الأسميريديوم تهيء للكتابة يسراً منقطع النظير وهيكله الرقيق ذو الدوائر يزيد هذه القدرة وهذه اللذة كما أن خزانه الكبير يتيح لك باستمرار الوقوف على مستوى المداد فيه بحيث تستوثق دائماً من امتلائه .
فاطلب اليوم من عميلك معاينة قلم پاركر فاكوماتيك تجده فى ٥ ألوان جذابة تختار منها ما تشاء ولا تنسى الماسة الزرقاء على مشبكه فهى ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .
پاركر
Parker
PARKER


ابتسامة متألقة ...
{ على مدى الرؤية }
يحق لكل إنسان ولا شك أن يزهى إذا كانت أسنانه بيضاء ناصعة تتألق كلما ابتسم – ولكن ما رأيك في الأسنان الخلفية التي لا يستطيع رؤيتها إلا الطبيب ؟ إنها هي أيضاً عظيمة الشأن .
وهذا هو السبب في أن فرشة بروفيلاكتيك مزودة بتلك الخصلة الطويلة المروفة في طرفها . بحيث تستطيع الوصول إلى جميع الأسنان وتنظيفها تنظيفاً كاملا ، وخصلاتها الخشنة تنفذ بين الأسنان وتصل إلى الفجوات الدقيقة التي تثير المتاعب ومتانة هذه الخصلات ومرونتها وخدمتها الطويلة . وهذا ما يجعل فرشة بروفيلاكتيك اقتصادية للغاية فضلا عن جودتها التي لا تضارع .
احرص على اقتناء برو-في-لاك-تيك
فرشة أسنان
Pro-phy-lactic
معجون أسنان ليسترين
مطهر ليسترين



ذات لسعة مهلكة !

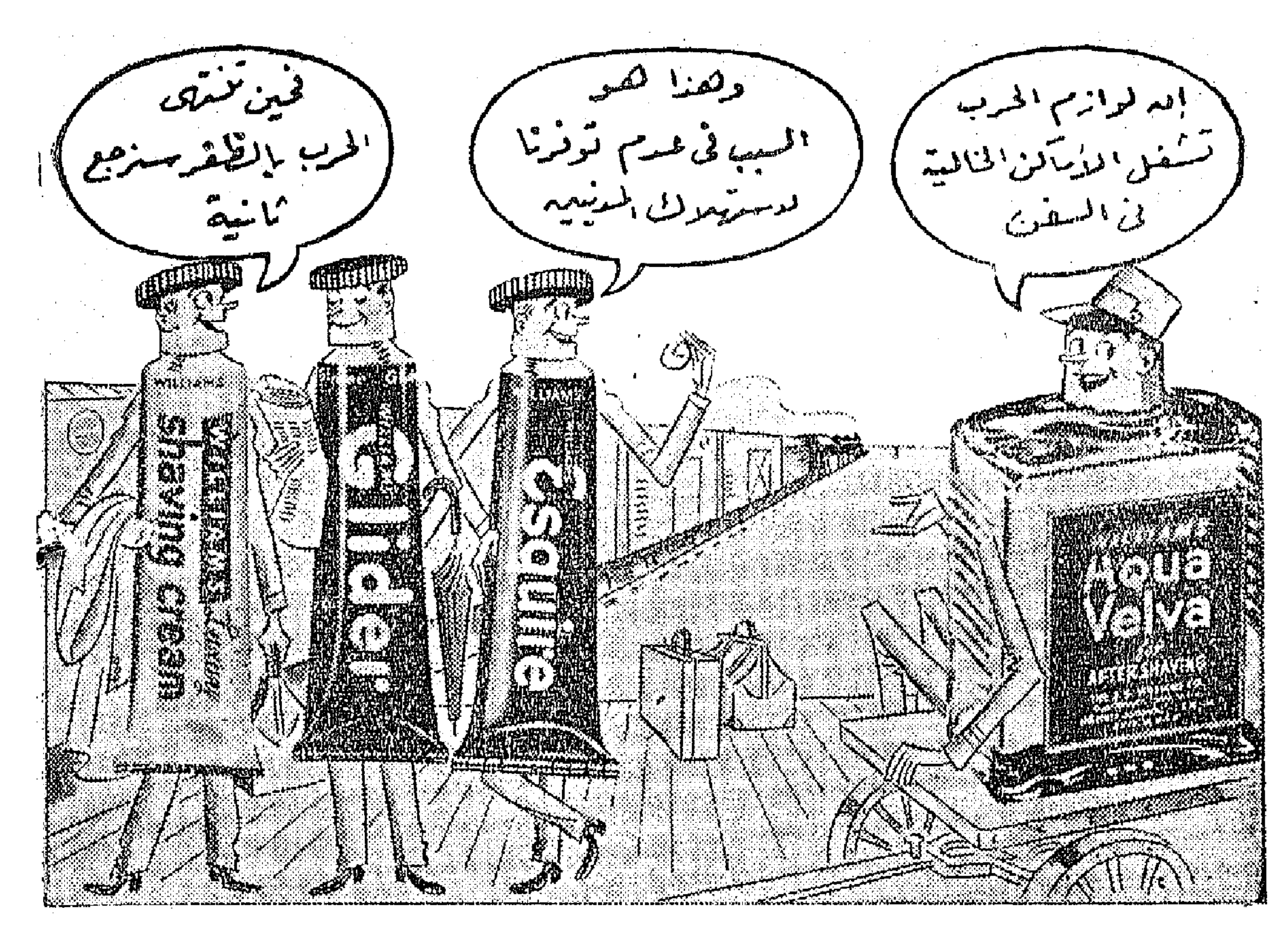
صحيح إن شكلها كالناموسة "موسكيتو" ولكن زوارق هيجنز P T لها لسعة مهلكة تكتب الآن التاريخ البحرى فى شتى ميادين الحرب . فإن مئات الالوف من الاطنان من بواخر العدو التى أغرقت أو أعطبت تشهد بصلابتها وقوتها فى المرة تلو الاخرى نوه بأفعالها العجيبة . وما من شك فى أن الإقدام على أعمال الهجوم والانقاذ والمراوغة تحت وابل من نيران العدو لم يكن مستطاعاً لو لم تتوفر السرعة وسهولة المناورة التى تمتاز بهما هذه الزوارق التى تبنى للأمم المتحدة .

إن تفاصيل التصميم والكفاءة التى تتيح لزوارق هيجنز تسجيل هذا النجاح المدوى ، هى حق مسجل لشركة صناعات هيجنز . وفى معامل الحرب تمتحن زوارق هيجنز الجديدة أدق امتحانة يقتضيها التفوق الذى وسمت به



شركة صناعات هيجنز
نيوأورليانس الولايات المتحدة
عجور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق فى العالم

أكبر بناة الزوارق فى العالم


إن لوازم الحرب تشغل الأماكن الخالية في السفن
وهذا هو السبب في عدم توفرنا لاستهلاك المدنيين
وحين تنتهي الحرب بالظفر سنرجع ثانية
Aqua Velva



إن هـذا السلك الذى لا تزيد ثخانته على ثخانة خنصرك يستطيع أن يتحمـل ثقل آلاف من الأرطال . وهو من إنتاج شركة يونيتد ستيتس سـتيل التى تعـد بحق أكبر شركات إنتـاج الصلب فى العـالم . . والتى وقفت جميع مواردها اليوم على ضرورات الحرب الحديثة . تلك الضرورات التى لا عهد بما يجاريها من قبل .

إن مئات من أنواع الصلب الحديثة المحسنة ومنتجات الصلب التى امتحنها الزمان ممـا تصنعه شركة يونيتد ستيتس ستيل ستعد حاجات السلام فى دنيا الغـد وستكون هذه المصنوعات متاحـة للجميع عن طريق شركة يونيتد ستيتس ستيل للإصدار ، التى ما فتئت تخدم أسواق العـالم منذ أربعين سنة .





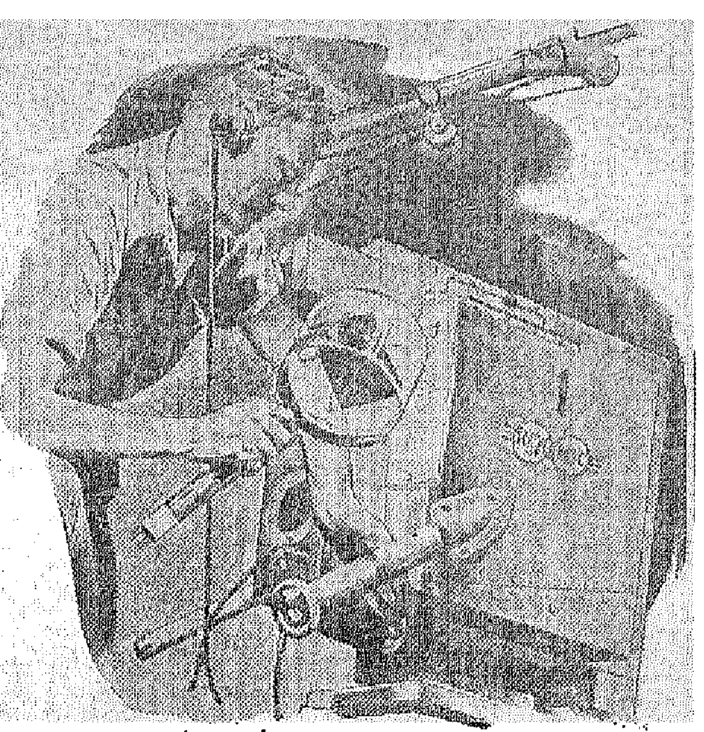




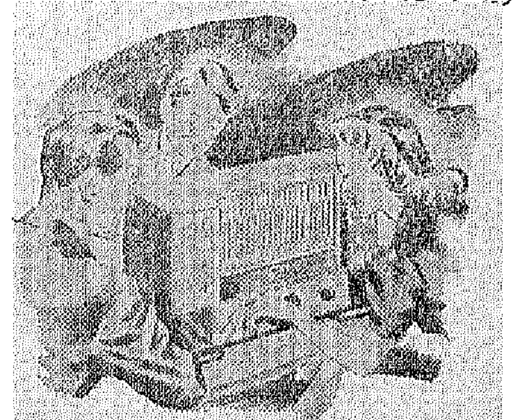
كالتكس لإنتاج البترول

تقدم RCA

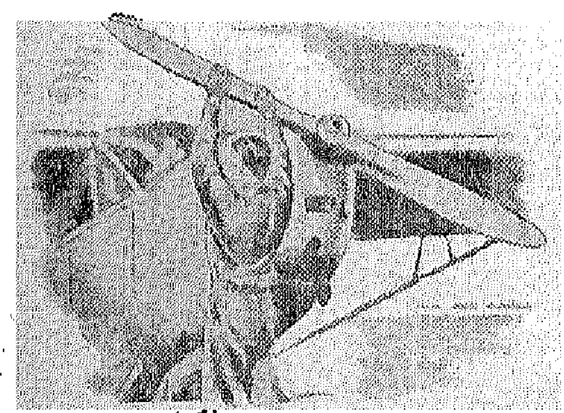
أحدث مبتكراتها



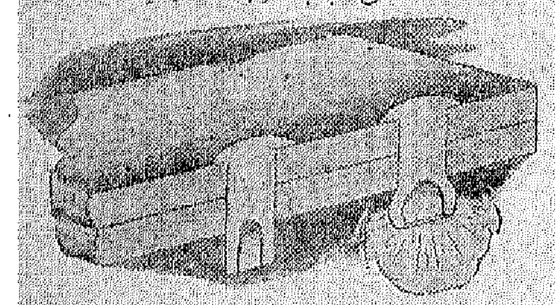
عين التلفزة السحرية : إن جهاز الأيكونوسكوب وهو اختراع RCA يجعل التلفزة الأليكترونية ممكنة . ويلتقط المرئيات بواسطة آلاف البصاصات الكهربائية ويرسلها على أمواج الراديو ، ومع أن RCA تقصر إنتاجها الآن على الأمم المتحدة ، فإن الخبرة التى تكتسبها وقت الحرب تبشر بمنتجات أفضل عندما يستتب السلام .



ماهى أحدث الأنباء : سؤال يسأله كل ليلة ملايين من المستمعين إلى أجهزة RCA . وإن نفس المهارة الهندسية التى تبذل فى أجهزة RCA للتلفزة ولاسلكى الطائرات ، قد أتقنت كذلك صمامات RCA اللازمة لجهازك المنزلى



حرارة الراديو تصنع مراوح المحركات : إن الطرق القديمة البطيئة للتجفيف وإلصاق أجزاء المحركات المصنوعة من الخشب المصفح قد حلت محلها طريقة RCA القائمة على ذبذبة موجات الراديو

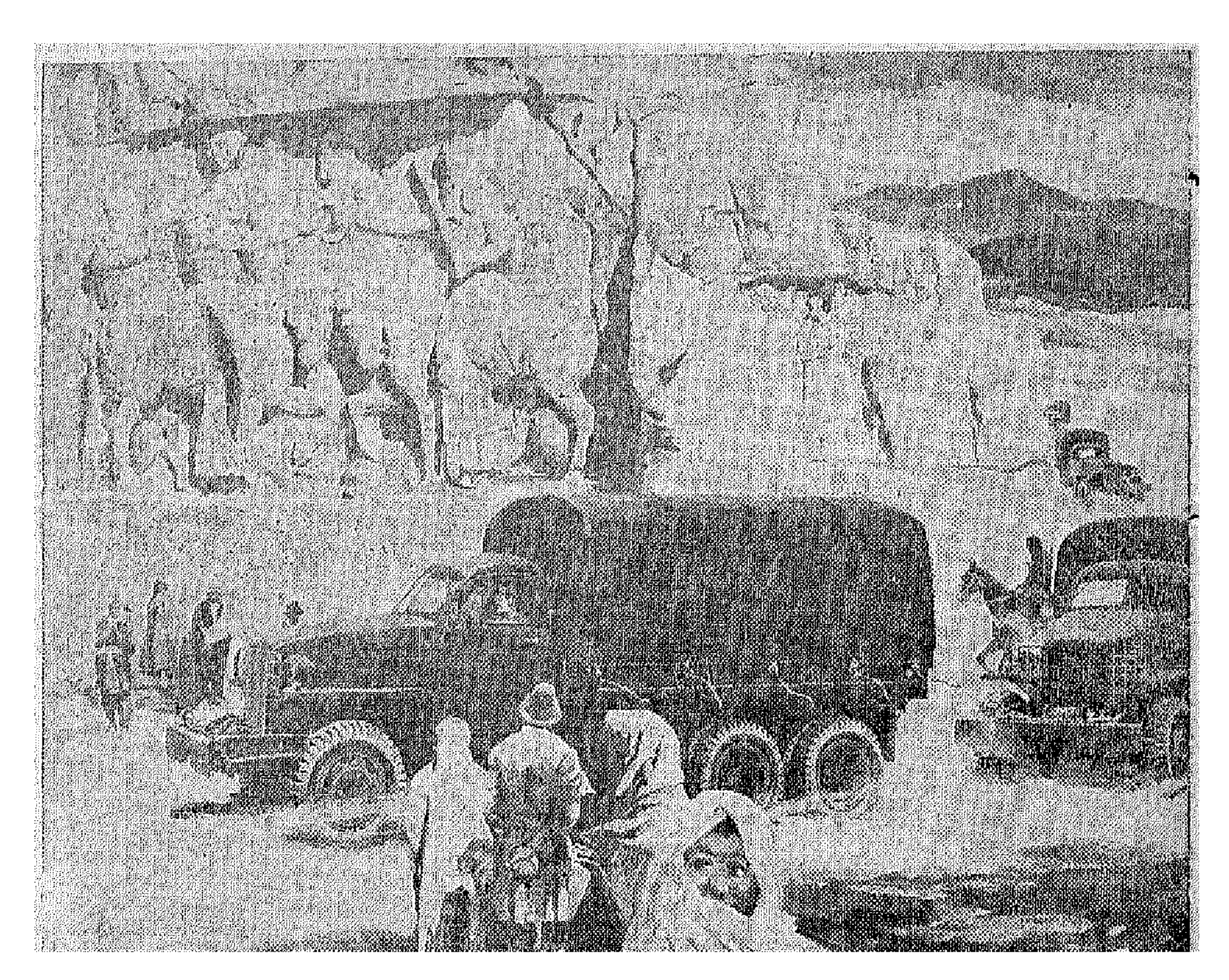


تفجير البرشام بالراديو : يفجر طرف البرشام المحتوى على مادة مفرقعة بواسطة طاقة أمواج الراديو . وهذه الطريقة الجديدة تسهل الإنتاج الصناعى وتعجله



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.



سيارات ستوديبيكر الحربية
مثل رجالنا المحاربين تجوب العالم ولاشك

إن رجال أمريكا المحاربين قطعوا مراحل شاسعة على سطح الكرة الارضية إبان أسفارهم خلال هذه الحرب . ومع ذلك فإنهم قلما يذهبون إلى مكان ويضعون أمتعتهم دون أن يطالعهم عدد كبير من سيارات نقل ستوديبكر المألوفة مرحبة بهم ومذكرة إياهم بالوطن .

فهم يرون صفوفاً طويلة من سيارات نقل ستوديبكر الحربية تمر بضجيجها وعجيجها بالمدن الأثرية فى إيران . وتنقل العتاد الثقيل فى الهند والاسكا والجزر البريطانية وفى جميع ميادين نشاط الحلفاء الحربى .

وهذا ولاشك تقدير عظيم لصناعة ستوديبكر التى بلغت اليوم ذروة التفوق وأصبحت أكبر مؤسسات العالم إنتاجاً لسيارات النقل الحربى الضخمة . ولعله من الاهمية بمكان أن نشير إلى أن عشرات الالوف من سيارات ستوديبكر القوية قد حصلت فعلا على أوسمة الخدمة الممتازة كما أن كثيراً منها تقوم فى جميع ساحات الميدان الروسى بنقل العتاد من قطر التموين إلى الجيوش السوفيتية التى لا تقهر .

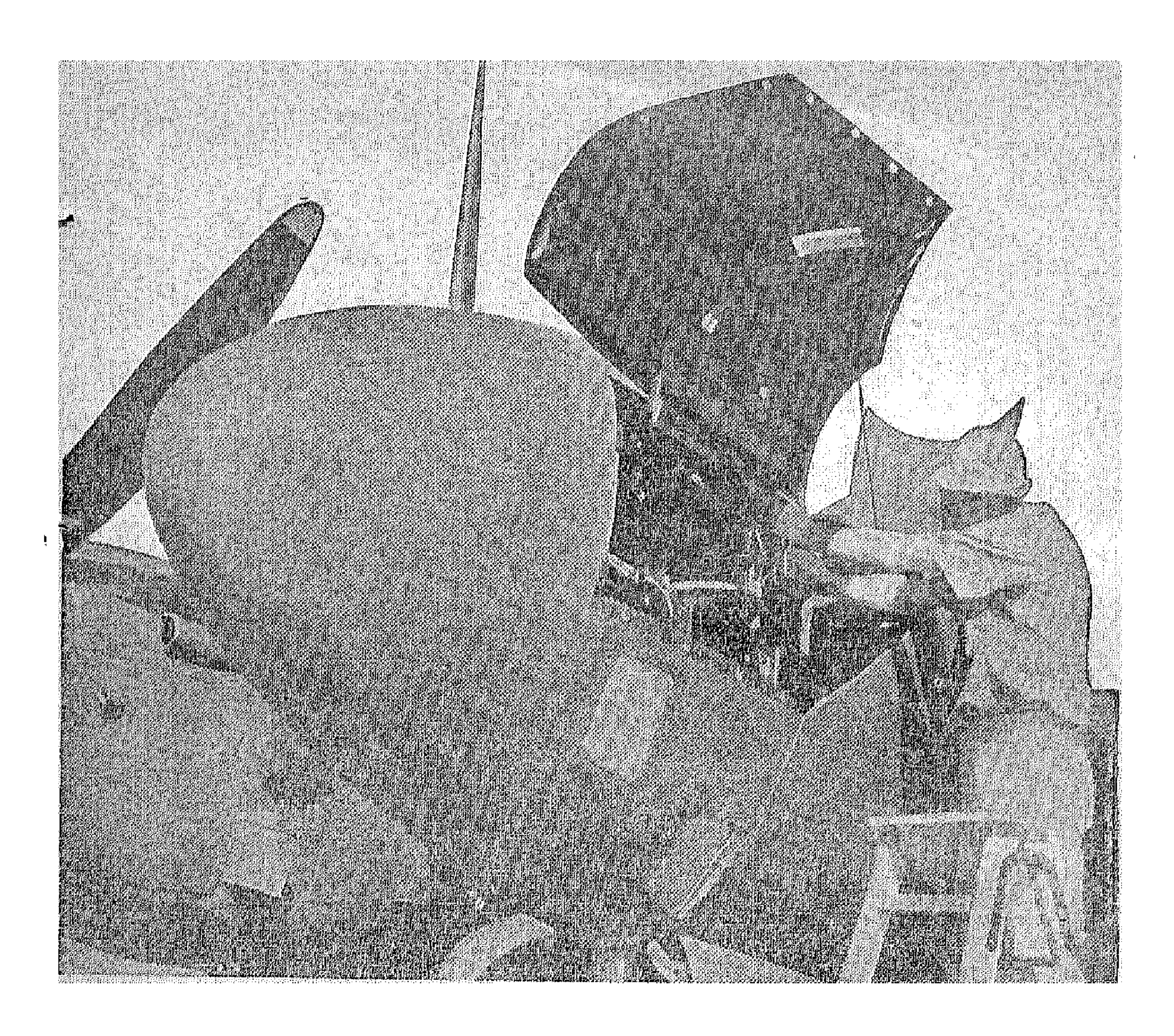
وستوديبكر تنتج كذلك معدات حربية بالغة الحيوية بما فى ذلك سيلا مطرد الزيادة من محركات رايت سيكلون التى تحرك قلاع بوينج الطائرة فى إغاراتها .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

SOUTH BEND, IND., U.S.A.

Cables: STUDEBAKER

ستوديبكر تنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة



عيونٌ لها أجنحة

إنّ طائرات لوكهيد 38-P من طراز لايتننج المستعملة للتصوير هي عيون جيش الولايات المتحدة . فهى حين ترتفع إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم ، لا تمكن رؤيتها لأنها طليت بحيث تتعذر التفرقة بينها وبين السماء .

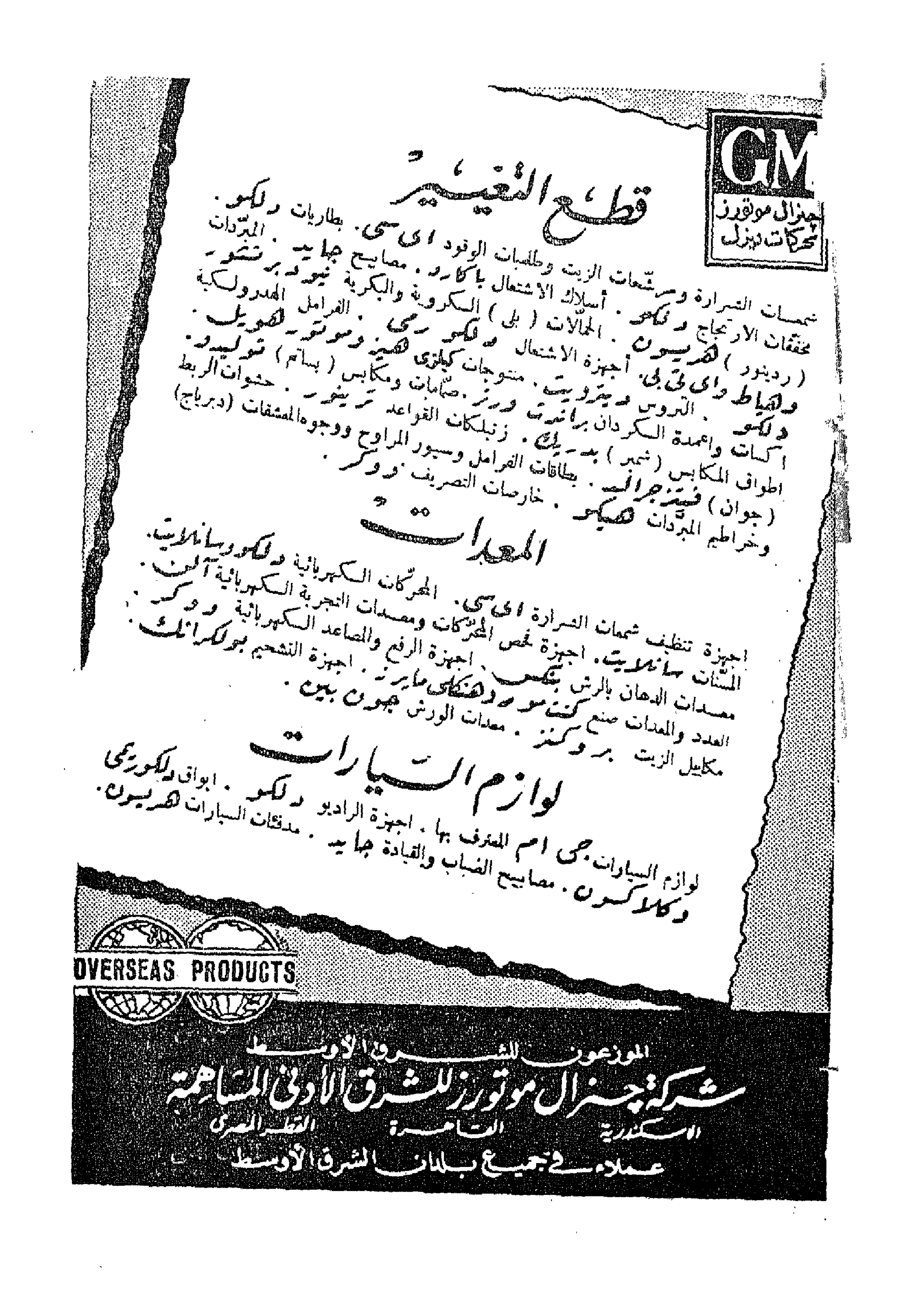
ومن هذا الارتفاع ، وهى منطلقة بسرعة عظيمة تزيد على أربعمئة ميل فى الساعة ، تستطيع طائرات التصوير 38-P أن ترسم خريطة لمنطقة تبلغ مساحتها ٢٠٫٠٠٠ ميل مربع فى أقل من ثلاث ساعات ..

بل لقد استطاعت هذه الطائرات المدهشة أن ترسم خريطة قارات بأسرها فى وقت لا يزيد على أسبوع إلا قليلا .

إن العمليات الحربية تدبر الآن وتنفذ وتكسب بالاعتماد على الصور التى تلتقطها طائرات الاستكشاف لايتننج 38 - P.

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

LOOKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S A.

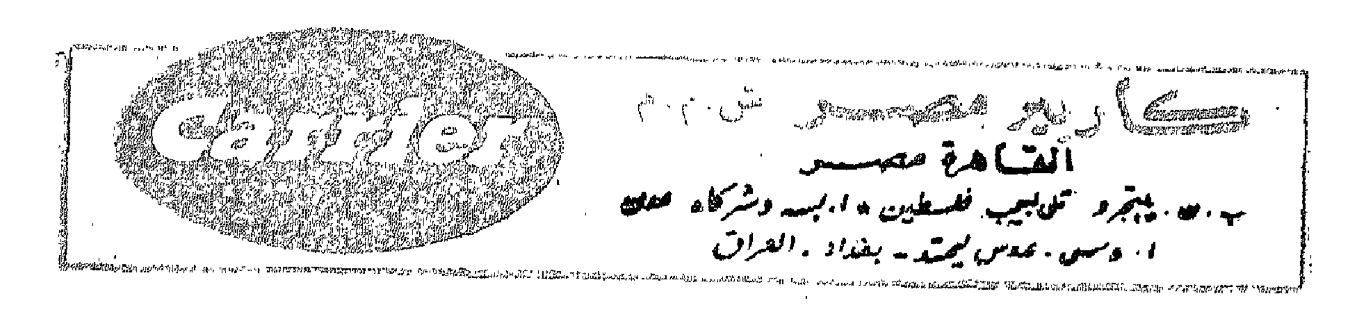


GM
جنرال موتورز
محركات ديزل
قطع الغيار
شمعات الشرارة ومرشحات الزيت وطلمبات الوقود اى سى. بطاريات ديلكو. المبردات
مخففات الارتجاج ديلكو. أسلاك الاشتعال باكارد. مصابيح جايد. البلى (بلى) الكروية والبكرية نيو دبارتشر
(رديتور) هاريسون. أجهزة الاشتعال ديلكو ريمي. الفرامل الهدروليكية
وهايات واى تى بى. التروس ديترويت. منوجات كبلرى. صمامات ومكابس (بسامم) تومبسون. حشوات الربط
ديلكو. اكسات واعمدة الكردان براونت. زنبلكات القواعد. وجوه المشقات (دبرياج)
اطواق المكابس (شمير). بطاقات الفرامل وسيور المراوح
(جوان) فيتزجرالد. خارصات التصريف
وخراطيم المبردات
المعدات
المحركات الكهربائية ديلكو
اجهزة تنظيف شمعات الشرارة اى سى. اجهزة التجربة الكهربائية
المسنات. اجهزة فحص المحركات ومعدات التجربة الكهربائية
معدات الدهان بالرش. اجهزة الرفع والمصاعد الكهربائية. اجهزة التشحيم
العدد والمعدات صنع. معدات الورش
مكاييل الزيت
لوازم السيارات
لوازم السيارات جى ام المعترف بها. اجهزة الراديو ديلكو. ابواق ديلكو ريمي
وكلاكسون. مصابيح الضباب والقيادة جايد. مدفئات السيارات هاريسون.
OVERSEAS PRODUCTS
الموزعون للشرق الأوسط
شركة جنرال موتورز للشرق الأدنى المساهمة
الاسكندرية
القاهرة
القطر المصري
عملاء في جميع بلدان الشرق الأوسط

لا تفكر فى مكيفات الهواء كاريير كعامل من عوامل الراحة والدعة فحسب — لأنها اليوم أداة قوية تساهم في تعجيل المجهود الحربي فهي تستعمل فى حظائر الطائرات لتحول دون تمدد المواد أو تقلصها عن طريق ضبطها للحرارة والرطوبة . وفى أفران الصهر تضمن الحصول على مقادير أوفر من الحديد بتجفيف التيار الهوائي ، وفى مصانع الذخيرة والطعام والمنسوجات والكيميائيات الطبية وسائر المنتجات الحربية الحيوية تساهم مكيفات كاريير فى إتاحة إنتاج أسرع وأدق وأفضل .

إن آلات كاريير للتبريد وأجهزة نشر البرودة ، ووحدات التبريد المتنقلة ، تقوم بمهمتها الآن فى جبهة القتال وميدان الإنتاج وفى البحار البعيدة ، فى حفظ الأطعمة الحيوية ونقلها وثلاجات كاريير ذات القوة الطاردة تحفظ الحرارة المنخفضة اللازمة لإنتاج بعض المواد الصناعية ، كما أنها تزيد سرعة الإنتاج وتقلل النفقات في تكرير الجازولين .

وفى هذه الأثناء ، إذا كنت فى حاجة إلى أجهزة التبريد لضرورة حربية أو مدنية حيوية فإن وكيل كاريير سيبذل لك المعونة الصادقة للحصول على الطراز الذى تحتاج إليه .



الحوائل الدولية . ففي صفحاتها نحس فعلا نبض الحوادث العالمية ، التي تهم الإنسانية جمعاء ، لا البلاد الأمريكية وحسب .

٤ — **مسز لوسيا ماجلايس** ، « ساعة الشباب » ، في محطة راديو ناسيونال ريودى جانيرو ، البرازيل :

إن مجلة « سيلكويس » (الطبعة البرتغالية) تجمع خير ما في مجلات العالم ، وتختار الموضوعات التي تحرك عناية الناس ، ثم تنتخب منها الفصول التي تتسم بسمة «المعنى الأدبي العالي » ، فالمجلة تسر القارئ وتوجه إلى الإنشاء . وشباب البرازيل يتأهب ليتبوأ مكانه في عالم معذب ، فهو يحتاج إلى هذه المطالعة « المنشئة » .

٥ — **تي سفدبرج السويدي** ، حائز جائزة نوبل :

« دت باستا » (الطبعة السويدية) خلاصة حوادث ومشاعر ، إنها مرآة تصف العالم ، فهي تفتح ، لشعب صغير كشعبنا ، كوّة يدخل منها هواء ربيع جديد . وهي تعيننا ، في زمن كالح يبدو لا رجاء فيه ، على أن نتحقق من مدى نجاح الأمم الحرة في حفظ أعلامها عالية خفاقة .

٦ — **ج . و . روبرتسون سكوت**، الكاتب البريطاني ومحرر مجلة «ذي كنتري مان» :

كان يلح عليّ خلال حياتي كلها ، شعور قوي بأن مصائب هذا العالم ،كالحرب، وأعباء التسلح ، تنشأ على الأكثر من عدم التعارف بين أمة وأمة وسلالة وسلالة .

هذا الجهل الذي يسود الأمم يرجع معظمه إلى حائل اللغة . فواجب علينا أن نزيد نصيبنا من مطالعة الآداب الأخرى .

وإن نجاح « ريدرز دايجست » (الطبعة الإنجليزية) في بريطانيا أثلج صدري على وجه خاص ، لأنه يحمل ألوفاً من أبناء أمتنا — ولا سيما الشباب — على معرفة ما تفعله الأمم الأخرى وتفكر فيه . ويسرني أن أتصور كل نسخة منها تظل تتداولها الأيدي حتى ينزع غلافها — ثم بعد ذلك .

٧ — **كلارا أ . ناتنج** ، طبيبة أمريكية في تينتسين بالصين :

إنكم تساهمون حقاً ، في تعزيز الصداقة الدولية ، ولو ازداد عدد الناس الذين يعرفون الأفعال الجيدة التي تفعلها الأمم الأخرى — وهو ما يكثر وصفه في مجلتكم — لكان ذلك أعظم خدمة تسدى إلى التعاون « المنشئ » بين الأمم .

صلة صداقة بين الشعوب
فى جميع أنحاء الارض

تصدر مجلة « ريدرز دايجست » وطبعاتها الدولية فى خمس لغات وتقرأ فى كل قارة . ومحرروها يتلقون من جميع أنحاء الأرض ألوفاً من الرسائل تبين ، برغم السلالة واللون والعقيدة ، وبرغم الحائل العظيم حائل اللغات المختلفة ، أن فى صدور الناس رجالا ونساء من مختلف الأمم ، تحقق آمال متماثلة ، ومخاوف متماثلة ، وأفكار متماثلة توثق الصلة فيما بينهم . وسواء كانت الصين أو مصر أو الولايات المتحدة مصدر المقالة ، فهى إن كانت وثيقة إنسانية حية ، تحلق فوق الحدود القومية ، وتتحدث إلى أذن الإنسانية المصغية .

وكل قول من الأقوال التالية ، الواردة من قراء فى البسيطة كلها ، يقول بطريقته الخاصة إن هذه « المجلة الدولية » لتسد فراغاً طالت الحاجة إلى سده ، فى حياة ملايين من الناس .

١ — **الأستاذ عباس محمود العقاد** ، المؤلف والناقد والشاعر المصرى :

ومن العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب واف من هذه المائدة العالمية المشتهاة . . . إن اشتراك الملايين فى نوع واحد من القراءة الطيبة هو نفسه قرابة ذهنية تساعد على التفاهم وتقارب الأفكار . . . كأنما هؤلاء الملايين يلتقون على موعد واحد كل شهر للمحادثة وتبادل الأفكار والآراء . . . فأرحب بالمختار على أنه رسول من رسل الثقافة العربية ، ووسيلة من وسائل الألفة بين بنى الإنسان ومصباح من مصابيح النور التى تبدد الظلام من زوايا الكرة الأرضية .

٢ — **إميل زيدان بك** ، أحد أصحاب دار الهلال :

إن النجاح المنقطع النظير الذى حازه « المختار » كشف أفاقاً كانت محجوبة . فهو بشير بتقدم المجلات الراقية . ولا شك فى أن المجلة التى تعوّد جمهوراً كبيراً من القراء القراءة الطيبة تمهد لزميلاتها سبيل الانتشار .

٣ — **چورج لويس كالڤيث** ، ٨٣٠ بارانا بونس إيرس الأرجنتين :

إننا ننتقل فى صفحات « سلكسيونس » (الطبعة الاسبانية) إلى جميع أقطار الأرض ، ونفيد علماً عن بلاد نائية ، وتحرك عنايتنا بموضوعات تهم الناس قاطبة فتتخطى

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية